تاريخ ابن دعيج

منظومة الشيخ أحمد بن دعيج -رحمه الله- التأريخية التي وصف بها حملة إبراهيم باشا على نجد ومانتج عنها، إلى قيام الإمام تركي بن عبدالله -رحمه الله- بطرد الغزاة.

اعتنى بها:

سليمان بن صالح الخراشي



روافد

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ ابن دعيج

أرجوزة الشيخ أحمد بن علي بن دعيج - رحمه الله - التاريخية، التي وصف فيها أحداث حملة إبراهيم باشا على نجد، وسقوط الدرعية، وما نتج عن ذلك.

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

روافد للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان – بيروت - خلوي / ٠٠٩٦١٣٢٦٥١٢٦

الطباعة الأولى ١٤٢٩ - ٢٠٠٨

البريد الالكتروني : rawafed@lubnan.cc-STConline

مقدمة

الحمد لله مُصَرِّف الأيام والليالي، ومُعرِّف العباد كثيراً مما سلف في الأزمان الماضية والدهور الخوالي، ومُشرِّف هذه الأمة في سائر الأشهر والأعوام بالضبط التام المتوالي، ومُعَلم من شاء من العلم النقلي والعقلي ما هو أنفس من الجواهر واللآلي، ومُفهِّم الألباء في التعريف بالإنسان والزمان الطريق المسنَد المدرَج في العوالي، بالعبارة الرائقة والإشارة الفائقة المنعِشة للرّمم البوالي، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمدٍ ذي الفضل والمعالي، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم من السادات والموالي[1]. أما بعد:

فإن من المعلوم المتواتر عند كل من له أدنى إلمام بالتاريخ أن نجداً قبل ظهور دعوة التوحيد السلفية التي قام بها ودعا إليها في القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية : شيخُ الإسلام، وعلمُ الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ قدس الله روحه، ونور ضريحه ـ وساعده على نشرها من وقف حياته للدفاع عنها، المجاهد لإعلاء كلمة الإله المعبود:

---

(1) اقتبستها من مقدمة السخاوي لكتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» بتصرف يسير.

محمد بن سعود، ـ طيب الله ثراه، وجعل جنة الخلد نزله ومأواه ـ.

من المعلوم أنها كانت في حالة من الشقاء يُرثى لها، حيث أنها كانت مأوىً للجَوْر والعدوان، ومسرحاً للفوضى والتقاطع وسفك الدماء، قد غلب على أهلها الجهلُ، وانتشر بينهم البغيُ والفسادُ، وتفشى بينهم دون نكير: التعلقُ بغير الله من الأولياء والصالحين، وغيرهم من الأوثان والأحجار والأصنام والأشجار، ينتاب بعضُهم قبر زيد بن الخطاب، يسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وقبرًا يزعمونه قبر ضرار بن الأزور، وشجرةً تسمى الطريفية، يعتقد فيها بعضُهم كما اعتقد قبلَهم في ذات أنواط مشركو الجاهلية، ومغارةً يسمونها مغارة بنت الأمير، لها قصة على زعمهم تأريخية، وطاغوتاً عندهم يسمى تاجاً، وثانياً يسمى شمسان، يعبدونها زاعمين أن لهما تصرفاً، وأن لهما نفعاً، وفَحَّالَ نخلٍ تختلف إليه نساؤهم إذا عقمن أو لم يتزوجن، يقلن له: يا فحل الفحول نريد زوجاً أو ولداً قبل الحول[1]. وبالجملة:

---

(1) يُنظر تاريخ ابن غنام لبيان حال البلاد قبل الدعوة السلفية المباركة. ومن شكك في هذه الأحوال المظلمة فهو إما جاهل أو متحامل؛ وخير ما يُرد به عليه وأمثاله: أن يُقال لهم: إن علماء السوء الذين عارضوا دعوة الشيخ أقروه على وجود تلك المخالفات وانتشارها، ولم يكذبه أحدٌ منهم في وقوعها؛ إنما كانت مخالفتهم له في حكمه عليها. وللمزيد ينظر كتابي «ثناء العلماء على كتاب الدرر السنية»، ففيه مبحث عن هذه المسألة. والله الهادي.

فكلُ قرى نجدٍ بهنَّ معابدٌ كثيرٌ بلا حَد يُحدُّ ولا عَدِّ

هكذا كان حال جملة من أهل نجد، وهكذا كانت سيرتهم قبل ظهور هذين المصلحين العظيمين. فلما رجع الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من رحلته العلمية، حاملاً زاداً كثيراً من العلم، وسلاحاً قوياً من المعرفة، عز عليه ـ رحمه الله تعالى ـ ما رأى عليه قومه من الفوضى والتناحر وسفك الدماء، بل عز عليه ـ رحمه الله تعالى ـ ما عليه بعضهم من الإشراك برب العالمين، والانحراف عن جادة الهداية والدين، وكان الله سبحانه وتعالى قد نوَّر بصيرته، وآتاه العلمَ الواسعَ العظيم، والفكرَ السليم، ومَنَّ عليه بفهم الإسلام الصحيح والدين، فأعلن ـ رحمه الله تعالى ـ دعوته، دعوة التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل من الأولين والآخرين، أعلنها بحريملاء حيث يقيم، وتبعه بعض أهلها، ولكنه لم يأمن على نفسه بها، فانتقل منها إلى بلدة العيينة، فتلقاه أميرها عثمان بن معمر بالقَبول والمناصرة.

فهدم الشيخ قبة قبر زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وقطع أشجاراً تُعَظم عندهم هناك، يعتقدون فيها، فعَظُم أمره واشتهر، وبلغ خبرُه سليمانَ بن محمد بن عريعر آل حميد حاكم الأحساء والقطيف في ذلك الوقت، فخشي أن يمتد سلطان هذه الدعوة، فتُقَوض حكمه، وتُطيح بسلطانه، فكتب إلى ابن معمر كتاباً يأمره فيه بإخراج الشيخ من

بلدته، ويهدده - إذا هو لم يخرجه - بغزوه وقطع مرتبه، وكان ابن حميد يدفع لابن معمر مخصصاً سنوياً، فانصاع ابن معمر لأمره، وأمر الشيخ بمغادرة بلدته، فخرج منها، وولى وجهه شطر الدرعية، فوصلها وحلّ ضيفاً بها على أحد علمائها، فما أن علم به أميرها محمد بن سعود - رحمه الله تعالى - حتى سارع بالمسير إليه، وقابله بالبشر والحفاوة والإكرام، وقال له : أبشر أيها الشيخ بالعز والمَنَعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك - إن شاء الله تعالى - بالعز والأجر والتمكين والغَلَبة، فتعاهدا رحمهما الله تعالى على إظهار دين الله، والجهاد في سبيله، وعلى طمس معالم الإشراك، ومحو آثاره، واقتلاع جذوره، وتصحيح العقائد، وتطهير الإسلام وتخليصه، مما علق به من البدع، وألصق به من الخرافات، وإزالة ما وقع في النفوس، وقام بها من الشبهات، وتعاهدا على جمع كلمة أهل نجد وإصلاح فسادهم، ولمّ شعثهم؛ لأن نجداً لم تكن في وقتها خاضعة لإمارة واحدة يحترمها الجميع، وينضوون تحت لوائها، بل كانت مفككة الأجزاء، كلُ واحدٍ أميرُ بلدته، وكلُ واحدٍ يرى الزعيم مَنْ في بُرْدته، وقد أدى هذا التفرق بأهل نجد إلى الفوضى واضطراب الأمن وسفك الدماء، فعمل هذان الإمامان على جمع كلمتهم وتوحيد صفهم، كما عملا على هدايتهم هداية الدلالة، فسارا في دعوتهما، هذا بالحجة والمناظرة والبيان، وهذا بالسيف والسنان، كما

قيل:

ومـا هــو إلا الــوحي أوحَـدٌّ مُرْهــفِ
تُزيــل ضِـباه أخْـدعي كــلِ مائــلِ
فهــذا دواءُ الــداءِ مــن كــلِ عاقــلِ
وهــذا دواءُ الــداءِ مــن كــلِ جاهــلِ

وهكذا سار هذان الإمامان في جهادهما ودعـوتهما، حتـى طهـر الله بهما أرض الجزيرة، وثاب أهلُ نجد إلى رشدهم، ورجعوا عـن غـيهم، ودخلوا في دين الله أفواجاً.

فأصبحوا بفضل الله، ثم بفضل هذين الإمـامين، وفـضل دعـوتهما إخواناً متآلفين، تجمعهم كلمة: لا إله إلا الله، محمـد رسـول الله، تحت راية الإسلام ولواء التوحيد المطهر، فصاروا بعد ذلك مضرب المثل في الدين والاستقامة[1].

ولما توفي محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ خلفه ابنه عبد العزيز، ثم ابنـه الإمام سعود بن عبد العزيـز؛ الـذي توسـعت الدولـة في عهـده حتـى شملت الحجاز؛ وهذا ما جعل الدولة التركية تـشعر بـالحرج الـشديد؛

---

(1) من قولي «أما بعد» إلى هذا الموضع أنقله من رسالة الشيخ عبـد الـرحمن بـن عبـد اللطيف آل الشيخ ـ رحمه الله ـ «دعوة الشيخ ومناصروها» (ص٥-١٠) بتصرف يسير.

نظراً لأن مكانتها بين المسلمين هي بسبب رعايتها للحرمين الشريفين؛ فرأت في استيلاء الدولة السعودية عليهما منازعة لسلطانها، وإسقاطاً لمكانتها وهيبتها، وزاد من حَنَقها على الدولة السعودية أنها مخالفة لها في العقيدة؛ حيث كانت دولة الترك في عهدها المتأخر تقوم على الإعلاء من شأن الصوفية القبورية، حامية لبدعها، مقربة لأهلها[1]، بخلاف دولة التوحيد القائمة على مذهب السلف في أمور المعتقد؛ خاصة في جانب توحيد العبادة؛ فكان لا بد من تصادم الفريقين المتخالفين.

فأوعزت الدولة التركية إلى ولاتها في العراق مهمة القيام بحرب الدولة السعودية، والقضاء عليها، ولكنهم ـ كما سيأتي ـ لم يُفلحوا في ذلك؛ فأدارت الوجهة إلى والي مصر الطموح: محمد علي باشا، الذي تمنع في بداية الأمر؛ لصعوبة المهمة؛ إلا أنه قَبل بها أخيراً؛ لأسباب كثيرة سيأتي تفصيلها ـ إن شاء الله ـ؛ فكانت حملاته المتتالية على أرض الجزيرة: إلى أن تحققت له السيطرة على «الدرعية» عاصمة الدولة السعودية الأولى، وتدميرها عام ١٢٣٣هـ، وهو الأمر الذي فرح له

---

(1) انظر لمعرفة شيء من هذه الانحرافات التي وصلت إليها الدولة العثمانية في نهاية عهدها: رسالة: «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة» للدكتور علي بن بخيت الزهراني، ورسالتي «كيف سقطت الدولة العثمانية»، إصدار: دار القاسم بالرياض.

كلُ شانئ للتوحيد وأهله، وحزن له ـ ولما صاحبه ـ من جرائم وظلم وبطش كلُ محب للإسلام وأهله.

فأصبح سقوط «الدرعية» ـ عند العلماء والكتاب وعند المؤرخين الصادقين ـ بمثابة «نكبة»، أو «مأساة»، أو «مصيبة» أصابت المسلمين في العصر الحديث، أسى لها عقلاؤهم، وتوجع منها شعراؤهم.

قال الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر ـ رحمه الله ـ متأسفاً على الدرعية التي فارقها بعد سقوطها بيد إبراهيم باشا:

إليك إله العرش أشكو تضرعاً ... وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا

إلى أن قال:

وكم قتلوا من عصبة الحق فتية ... هداة رضاة ساجدين ورُكَّعا
وكم دمّروا من مَربعِ كان آهلاً ... فقد تركوا الدارَ الأنيسة بلقعا
فأصبحت الأموال فيهم نهائباً ... وأصبحتِ الأيتام غرثى وجُوَّعا
وفر من الأوطان مَنْ كان قاطناً ... وفُرِّق إلْفٌ كان مجتمعاً معا

إلى أن قال:

مضوا وانقضت أيامهم حين أوردوا ... ثناء وذكرا طِيْبُهُ قد تَضوعا
فجازاهم اللهُ الكريم بفضله ... جنانا ورضوانا من الله أرفعا
فإن كانت الأشباح منا تباعدت ... فإنَّ لأرواح المحبين مجمَعَا

عسى وعسى أن ينصر اللهُ ديننا ... ويجبر منا كلَّ ما قد تصدعا
ويعمر «للسمحا»[1] ربوعا تهدمت ... ويفتح سُبْلا للهداية مَهيعا
ويَظهر نورُ الحق يعلو ضياؤه ... فيضحَى ظلامُ الشرك والشك
إلهي فحقق ذا الرجاء وكن بنا ... رؤوفا رحيما مستجيبا لنا الدُعا

إلى أن قال:

ألا أيها الإخوان صبراً فإنني ... أرى الصبرَ للمقدور خيرا وأنفعا
ولا تيْأسوا من كشف ما ناب إنه ... إذا شاء ربي كشفَ ذاك تمزَّعا
فما قلتُ ذا أشكو إلى الخلق نكبة ... ولا جزعا مما أصَاب فأوجَعا
فما كان هذا الأمرُ إلا بقدرة ... بها قهَر الله الخلائقَ أجمعا
وذلك عن ذنبٍ وعصيانِ خالق ... أخذنا به حينا فحينا لنرجعا
وقد آن أن نرجو رضاه وعفوَه ... وأن نعرف التقصير منا فنُقلعا
فيا مُحسناً قد كنتَ تُحسن دائما ... ويا راحماً قد كان عفوُك أوسعا
نعوذ بك اللهم من سُوء صُنعنا ... فإن لنا في العفو منك لمطمَعا
أغثنا أغثنا وادفع الشدةَ التي ... أصابتْ وصابتْ واكشفِ الضرَّ وارفعا
فجُد وتفضلْ بالذي أنتَ أهلُه ... من العفو والغفران يا غَوثَ مَنْ دعا[2]

---

(1) أحد أحياء الدرعية ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

(2) «عنوان المجد» (٢/ ٣٤) ط مكتبة الرياض الحديثة، و«مشاهير علماء نجد

وقال ـ رحمه الله ـ في رسالته إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ الذي رُحّل إلى مصر مع آل الشيخ بعد سقوط الدرعية:

فإن حالتِ الأحوالُ عما عهدتنا — وصارَ من الأعدا الصديقُ المشايعُ
وبثَّ عتاةُ الخلق[1] في الأرض بثهم — وراعت قلوبَ المؤمنين الروائعُ
فصالحةُ العقبى لكل موحّدٍ — وإن زعزعته النائباتُ الزعازع
وغوثُ إله الخلق فارْجُ نواله — قريباً ونصرُ الله لا بُدَّ واقعُ
وإني لأرجو الله حتى كأنني — أرى بجميل الظن ما الله صانع[2]

وقال الشيخ أحمد بن مشرف ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الأبيات جواباً لقصيدة عثمان بن سند البصري التي أقذع فيها بسب المسلمين، وذلك حين نزل إبراهيم باشا الدرعية[3].

وأول قصيدة ابن سند:

وغيرهم»، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ـ رحمه الله ـ، ص٢٢٢-٢٢٤.

(1) يريد بعتاة الخلق: إبراهيم بن محمد علي باشا وأعوانه من الأتراك الذين تسلطوا على أهل هذه الدعوة الإسلامية عداء وحسداً وبغياً، والحمد لله الذي رد الكرة لحماة الإسلام ودعاة الإصلاح والدين.

(2) المصدر السابق، ص(٢٢٤-٢٢٥).

(3) نقلاً عن ديوانه، ص(٥٠-٥٢).

لقد فُتحت للدين أعينُه الرّمد ... لدى لاح من بين السيوف له السَّعد

فأجابه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ:

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسودُ ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟
أم السُرُج النجدية الزُهر أطفئت ... فأظلمتِ الآفاقُ إذ أظلمت نجدُ؟
نَعم كوِّرت شمسُ الهدى وبدا الردى ... وضعضع ركنٌ للهدى فهو منهدُ
لدن حل بالسمحاء خطب فأوحشت ... مساكنها وازور عيشٌ بها رغدُ
تفرق أهلوها وسُلَّ على الهدى ... سيوفٌ على هامات أنصاره تشدو
وفُل حسام الدين؛ بل ثُل عرشه ... لدن غاب من آفاقه الطالع السعدُ
بأيدي غواةٍ مفسدين لقد عثوا ... وجاسوا خلال الدار وانتثر العقدُ
قضاء من الرحمن جارٍ بحكمةٍ ... ولله من قبلُ الأمور ومن بعدُ
فآه لها من وقعة طار ذكرها ... وكادت تميد الراسيات وتنهدُ
وفاضت دموعٌ كالعقيق لماجرى ... وكادت لعظم الخطب تنصدع الكبدُ
وقد أقذع البصريُ في ذم شيخنا ... وأنصاره؛ تباً لما قاله الوغدُ
أيهجو إماماً هادياً أرشد الورى ... إلى منهج التوحيد فاتضح الرشدُ
وبصَّرهم نهج المحجة فاهتدوا ... وآبو إلى الإسلام من بعد أن صدوا
سقى روحَه الرحمنُ وابلَ رحمة ... وعمَّ هتون العفو مَنْ ضمه اللحدُ

وأبناؤه العز الكرام قد اقتفوا محجته المثلى؛ وفي نصرها جدوا
فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم فكم قد أفادوا من يروح ومن يغدو
وكم سُنة أحيوا وكم بدعة نفوا وكم شبهة جَلوا وأبوابها سدوا
وكم فتنة جَلَّت فجَلوا ظلامها بنور الهدى حتى استبان لنا الرشدُ
ومهما ذكرتُ الحي من آل مقرن تهلل وجه الفخر وابتسم المجدُ
هموا نصروا الإسلام بالبيض والقنا فهم للعدى حتف وهم للهدى جندُ
غطارفةٌ ما إن ينال فخارهم ومعشرُ صدق فيهم الجِد والجَدُ
وهم أبحر في الجود إن ذُكر الندى وإن أشعلتْ نار الوغى فهم الأسدُ
فكم مسجد قد أسسوه على التقى وكم مشهدٍ للشرك بنيانه هدوا
بهم أمَّن الله البلاد وأهلها فهم دون ما يخشونه الردم والسدُ
فلما مضت تلك العصابة لم يقم بِعَدلهمُ من ضمه الشام والسندُ
ولكن فشا فيها الزنى وبدا الخنا فلم تُنكر الفحشا ولم يُقَم الحدُ
فكم فتنة عمّت؟ وكم طُلَّ من دمٍ حرام؟ وكم ضَلت عصائب وارتدوا
وكم قَطع السبلَ البوادي وأفسدوا فصاروا بها مثلَ الذئاب التي تعدوا
فإن كان هذا عنده الدين والهدى فقد فُتحت للدين أعينه الرُمدُ
فشكراً بني الإسلام قَدَّر ربنا لكم كرة من بعد أن يئس اللدُ

وأقسم قومٌ أنها دولة مضت ... وليس لما قد فات عود ولا ردُّ
وقلنا لهم: نصرُ الإله لحزبه ... به جاء في القرآن والسنة الوعدُ
فعادت كما كانت بفضلٍ ورحمة ... من الله مولانا له الشكر والحمدُ
فهذا إمام المسلمين مؤيدٌ ... له النصر والإقبال والحل والعقدُ
علينا دعاء الله سرًّا وجهرة ... له، وله منا النصيحة والودُّ
وصلِّ إله العالمين مُسَلماً ... على المصطفى ما حن في سُحبها الرعدُ
كذا آله الغُر الكرام وصحبه ... ومن لم يزل يقفو طريقتهم بعدُ

ورثى الدرعية أيضاً أحدُ أبنائها ممن شهد النكبة، وذاق حرارتها ومرارتها، وهو الشاعر الشعبي محمد أبو نهية ـ رحمه الله ـ، حيث قال[1]:

سهرت وكلّ العالمين هجيعْ ... بتغريدِ ورق بالغصون سجيعْ
من الشوق إلى قال الغني هز رأسه ... ومن الغني يشتاق كل وليعْ

---

(1) نقلاً عن: «الدرعية العاصمة الأولى» للشيخ عبدالله بن خميس، ص(٤٤٢-٤٤٦).

حرمني لذيذَ النوم تَرجيع صوته
وأجبته بدمعٍ بالعيون هميعْ
ناديتهن يالورق بسك من الغنى
لعلك تبكي يا حمام فجيعْ
تبكي وليف لك وتلقى سواته
منتب سواتي يا حمام وجيعْ
بعيدٍ عن الأوطان في دار غربة
أمسي وأصبح ما أشوف ربيعْ
أبكي على رَبع عفاف وأهل تقى
ذِبحو إبليا شافعٍ وشفيعْ
أبكي على رَبع بمصر تشتتوا
فهد وسعد والعيال جميعْ
وحسن وعبد الله وفهد وخالد
وباقي آل مقرن لو يكون رضيعْ
يا عين فابكيهم على ذا وزيدي
وشيوخنا اللي للضيوف ربيعْ
وابكي على عوجا ربينا برَبعها
صغار كبار نشتري ونبيعْ

للجن ميدان تطارد بركنها
مغير جدران كذا وسفيعْ
ما كن فيها صار للحكم منصى
ولا بني حصن في الطريف رفيعْ
ولا شدت الركبان منها لغيرها
ولا بركت فيها الطروش قطيعْ
ولا بني فيها للعلوم مدارس
ومساجدٍ يأتونها جميعْ
ولا عجت الأسواق بالبيع والشرى
ولا موسم فيه العقول تضيعْ
ولا دَرَج بأسواقها خرد المها
من كل عذرا كالغزال تليعْ
دارِ إلى جاها الغريب يوالف
جنابها للممحلين ربيعْ
تفكرتْ فيما صاب ربعي وديرتي
ولا نيب من صرف الدنيا بجزيعْ
خوف من العيلات والمال والدما
ومحرم عقب الدلال تضيعْ

ولـــو الجـــدا يـــا دار خـــذلان مـــرة
صـــبرت مـــير الـــشقّ فيـــك وســـيعْ
إلى صـــاح صـــيّاحنا نقلنـــا ســـلاحنا
يـــمّ الرفـــايع فـــازعين جميـــعْ
يامـــا قِتِـــل منـــا صـــبي مجـــروخ
وبـــالترك ناخـــذ للقـــضا سريـــعْ
ويامـــا ســـفكنا فيـــك مـــن ســـاخن الـــدما
ويامـــا وطينـــا بالمـــداس صريـــعْ
ويامـــا انجـــلي عـــن روســـنا فيـــك غبـــوة
لكنهـــا غـــيم الـــسحاب نقيـــعْ
ذبحـــت بالمـــدفع ثمانـــين لحيـــة
وأخـــذت واجبهـــا بـــلا مبيـــعْ
أيـــضًا وعـــلى هـــذا ثلاثـــين شـــاهد
وهـــرج بليـــا شـــاهد يـــضيعْ
غـــدت لنـــا كـــالأم وحنـــا عياهـــا
وســـور لهـــا دون العـــداة منيـــعْ
قعـــدت أســـايلها ودمعـــي ودمعهـــا
عـــلى الخـــد يجـــري والفـــواد يميـــعْ

فإن طابت الأيام والقِدَر سابق
فسيّور ما ناوي إليك رجيعْ
وإن حالت الأقدار بيني وبينك
فودعتك المولى خيار وديعْ
بكيت حولك عبرة بعد عبرة
كما صاح من حر الفطام رضيعْ
اللي ترددوا فيك واللي تخاذلوا
رزي لهم ثوب السواد جميعْ
خانَوا وهذا فعلهم في عمارهم
وعقوبة الله للعصاة سريعْ
ذي دعوة مظلوم على غير موجب
عنها غفلنا والإله سميعْ
وخيار ما قلنا ويقول غيرنا
صلوا على مَن للعباد شفيعْ

وفي عصرنا الحاضر قال الشيخ عبد الله بن خميس - وفقه الله - متذكراً «نكبة الدرعية».

لها غابرٌ من وارف المجد شافعُ
وعَون من الفعل الجميل بدائعُ

تسامتْ فمنها المكرمات نَواطق
وقالتْ وآذانُ الزمان سوامعُ

أشارت إلى الدنيا بأصبع هيبة
لها الحق ردءاً والعقيدةُ وازعُ

فللهدي ما يدعو إليه محمدٌ[1]
يقرره طوراً وطوراً يدافعُ

ويحميه من غيث الغواة محمدٌ[2]
فيهدي إليه تَارة ويقارعُ

وبينهما قامت على العدل دولةٌ
تُشير إليها بالخلود الأصابعُ

لها السيفُ من وادي حنيفةَ مُصْلتٌ
تناغيه أبطالٌ حماةٌ بواتعُ

أجادوا فنونَ الحرب من عهد تُبّعِ
كأن المنايا إن لقوها مراضعُ

إذا سمعوا العوجا تَداعوا كأنهم
ظماء دعتها للورودِ شرائعُ

---

(1) أي : محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ .

(2) أي : محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ.

هُمُ القوم إن يدعُ الوفاءُ فإنهم
ذووه وإن يدعُ الوغى فطلائعُ
إلى الراية الخضراءَ تَهفو قلوبُهم
لهم معمعان حولها وتَدافعُ
وما حذقوا قرْع الطبول تدلها
ولكن إلى الهيجا تهيجُ المقارعُ
وحالت أمورٌ واستحالت مباهجٌ
وللدهر في دنيا الأنام فجائعُ
أما هَهنا قد كان عزٌّ ودولةٌ
ومجدٌ يسامي هامة النجمِ فارعُ
وأودى فأما ساكنوه فغُودروا
رميماً لهم تحتَ التراب مضاجعُ
وأما الحصونُ الفارعات فإنها
طلولٌ تُهيج الذكرياتِ خواشعُ
تصابي وليستْ للصبا بأليفة
وتُخضب منها أشطاً فيُمانعُ

وتَرنَو إلى الماضي بعينٍ أسيفة

لعل لياليها الرغاب رواجعُ[1]

وقال - أيضًا - :

فلله من لطفٍ أتيح لأهلها

تبناه من آلِ السعودِ أماجدُ

لدنْ رَفَع الشيخُ الوقورُ نِداءه

بَأني للدين الحنيفِ مُجَدِّدُ

فَآزره آلُ سعود ولم يَنَوا

لإعلاء دينِ الله أبْلَوا وشَيَّدوا

فأرسوا على أرضِ الجزيرة دولةً

يَحوط حِمَاها مُصحفٌ ومُهندُ

فمِن هَهنا سادُوا ومِن هَهنا عَلَوا

ومِن هَهنا تَاجُ العُلى كان يُعْقدُ

ومِن هَهنا شوسُ الملوك تَتَابعوا

إذا ماتَ منهم أصيدٌ قام أصيدُ

---

(1) المصدر السابق، ص٤٣٧-٤٣٩.

ومِن هَهنا تغزو الجيوشُ جَحافلا
فكم أتهموا في كلِ صقعٍ وأنجَدُوا
ومِن هَهنا تَعَلَّم الناسُ دينَهم
نقياً كما أملاه مِن قبلُ أحمدُ
يروحون أفواجاً إليه كأنما
لهم فيه من شطآنِ دجْلة مَوردُ
فعادَ إلى الإسلام سابقُ مَجْدهِ
ولم يَبقَ مَنْ يعثو بظلمٍ ويُفْسدِ[1]

قلت: لقد كان سقوط الدرعية، بسبب حملات محمد علي باشا كارثة ومأساة على الأمة الإسلامية كلها، وليس على هذه البلاد وحدها؛ لأن المستفيد الوحيد مما حصل هم أعداء الإسلام، الذين يُبهجهم هذا التقاتل بين أهل الإسلام، واستنزاف قواهم، وإذاقة بعضهم بأس بعض، وانشغالهم عن دروب البناء والتقدم، التي انفرد بها الآخرون، في حين انشغل المسلمون عنها بمثل هذه المغامرات والحملات الظالمة، مما أخَّر الأمة عن ما يفيدها، وجعل الفرق شاسعاً بينها والأمم الأخرى في المجالات الدنيوية.

---

(1) المصدر السابق، ص٤٣٧-٤٤١.

لقد ودَّ كثيرٌ من المسلمين أن لو تعانقت دعوة التوحيد التي جددها الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ مع قوة محمد علي باشا وجرأته؛ لينتج عن هذا التعانق دولة إسلامية تجمع بين الدين الصحيح والدنيا النافعة.

ولكن هل كان محمد علي باشا، والدولة العثمانية التي تقف خلفه مؤهلان لمثل هذا الشرف؟ واقع حالهم يقول عكس هذا؛ لأسباب كثيرة.

يقول الشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمه الله ـ:

«وما كانت هذه الخلافة العثمانية الضعيفة إلا نكبة على الإسلام والمسلمين؛ لأنها لم تكن في وقت من أوقاتها تعمل على تدعيم بناء الصرح الإسلامي، ولا على تقوية الوشيجة الإسلامية بين المسلمين، بل ما كانت تعمل إلا لإرضاء نعرات سلاطينها وزعمائها، وقضاء مآربهم من الرياسة أو الشهوات، وما كانت فتوحها لأجل نشر الإسلام وتعميم نوره في البلاد التي تفتحها، وإلا لبقي لذلك آثار خالدة كبقية آثار الفتوح الإسلامية الأخرى، وإنما كانت حروبها في أغلب الأحوال للملك والرياسة فقط، ولذلك فإننا نراها صمَّت آذانها عن صراخ المسلمين بالأندلس، الذين كانت تُصبُّ على رؤوسهم

صواعق العذاب من النصرانية الظالمة، وما كان نصر الإسلام ودفع النصرانية عن محقه في الأندلس يكلف العثمانيين في ذلك الحين كبيرَ مجهود؛ لأن دولتهم كانت في أوج قوتها وعزتها، وأنت إذا تتبعت أحداث العثمانيين وأعمالهم في الدولة الإسلامية لوجدته على ما ذكرته لك، إلا قليلاً لا يذكر، بجانب إساءاتهم إلى الإسلام.

على أنه يغلب على ظني أنهم ما كانوا يعمدون إلى هذه الإساءات ولا يقصدونها، وإنما كان يقع منهم ذلك عن جهل، وعدم معرفة لنتائجه، فقد كان أكثر علمائهم لا يعرفون من الإسلام إلا قشوراً لا خير فيها، ولا يفقهون من الدين إلا بعض كتب الخلاف والجدل، وما يسمونه بعلم الكلام وفلسفته اليونانية، وكانت عنايتهم بالدين منصرفة إلى زخرفة المساجد وتزويق المصاحف، وتجويد كتابة الدلائل والبردة ونحو ذلك، وكانت فئة أهل الطرق البكتاشية والمولوية والنقشبندية والرفاعية وغيرها؛ صاحبة السلطان التام النافذ على الملوك فمن دونهم، وحسبك بأبي الهدى الصيادي[1] وسلطانه على

(1) هو محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الصوفي الرفاعي أبوالهدى: أشهر رجال التصوف في عصره، ولد في خان شيخون وتعلم بحلب وولي نقابة الأشراف فيها، ثم سكن الآستانة، واتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني العثماني، =

السلطان عبدالحميد ـ دليلاً على ذلك، وما تمكنت هذه الطائفة المدعية التصوف من دولة أو بلد أو جماعة إلا ألقت بها في مهاوي التهلكة السحيقة، وقضت على سلطان الإسلام والقرآن فيها بالفناء.

وما ظنك بعقلية تعتقد أن سلطانها لا تشتد أواصره، ولا تقوى دعائمه إلا إذا كان شيخ الطريقة البكتاشية أو المولوية هو الذي يتفضل بإلباس الملك الجديد والخليفة ما يزعمونه البُردة في حفل حاشد من الجمهور والدهماء؟ أي عقلية هذه العقلية؟ وأي تأثير في نفوس الجمهور ينطبع لهذا الشيخ الذي لا يعرف من الدين إلا إتقان رقصة المولوية على الناي والمزمار؟ وأي خلافة هذه الخلافة التي تستمد سلطانها ونفوذها من أولئك المشايخ الذين هم أبعد الناس عن هداية القرآن وأخلاق القرآن، وسنن النبي عليه الصلاة والسلام!!

= فترقى عنده حتى قلده مشيخة المشايخ، وحظي عنده فكان من كبار ثقاته. ولما خُلع السلطان عبدالحميد نُفي أبوالهدى إلى جزيرة الأمراء فمات فيها سنة ١٣٢٨هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي: (٦/ ٩٤). وللمزيد عنه وعن انحرافاته: تُنظر رسالة: «أبوالهدى الصيادي في آثار معاصريه»؛ لحسن سويدان، ورسالة: «جناية أبي الهدى الصيادي»؛ للأستاذ عبدالرحمن الشايع.

لقد خدع أولئك الشيوخُ ملوكَ آل عثمان شر خديعة، وغشوهم أعظم غش، إذ أوغروا صدورهم على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وشوهوا وجهها الجميل بما كذبوه عليها، وألصقوه بها من الفِرى والبهتان، حتى قامت هذه الدولة التي تدعي الخلافة الإسلامية تحارب الدعوة الإسلامية!!

ولو أن ملوك العثمانيين قبلوا في ذلك الحين دعوة الحق، واستجابوا لصوت القرآن وداعي التوحيد، وأحيوا العمل والحكم بما أنزل الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ؛ لعادت خلافتهم إسلامية حقيقية، والتفَّ المسلمون بقلوبهم وأرواحهم حولها، وسرت فيها روح العظمة والقوة، وتوطدت دعائمها، فما كانت تستطيع أن تنال منها ما نالت تلك المعاول التي سلطها عليها أعداء الإسلام أخيراً، فقوضوا بناءها المتداعي، وذهبوا بخيالها الذي كان كالعهن المنفوش، وأصبح المسلمون بعد هذه الأحداث بلا خلافة يعتزون بها، حتى ولو كانت صورية، وقرَّت عيون دول الغرب التي كانت هذه الخلافة غصة في حلوقها، وقذى في عيونها»[1].

---

(1) «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح...»، ص(٤٧-٥٠).

وقال الدكتور سليمان الغنام: «في بداية ذلك القرن ـ التاسع عشر ـ لم تكن المسافة الحضارية بين هذه المنطقة وأوربا شاسعة، بعيدة الـشُّقَّة، كما هو اليوم، وكانـت كـل الاحـتمالات والمـؤشرات تـوحي بإمكانيـة اللحاق بها... إلا أن الذي حدث ـ أي من محمد علي وحملته الآثمـة ـ لم يكن فقط تـدميراً وإضـعافاً للوحـدات الـسياسية، وإنـما كـان تـدميراً لمقاومات أمة، وأسس حضارة؛ مما ترتب عليه شللٌ كامل عـن التقـدم الحقيقي ـ إلى أن قال ـ مـن هـذا يتبـين لنـا مـدى عظـم الجريمـة التـي ارتكبها محمد علي باشا في حق هذه الأمة ـ بما فيها مـصر ـ، فهـو لـيس مجرماً سياسيًّا فقـط، لأسـاليبه البـشعة التـي ارتكبهـا.. ولـيس مجرمـاً للصوصيته وسرقته أموال الشعب المصري، والشعوب التي حكمهـا.. إنها جريمة حضارية قَلَّ أن نجد في التاريخ شبيهاً لها..»(1).

قلت: وممن قال شعراً في «مأساة الدرعية»(2)، واصفاً ـ عن قُـرب ـ مسير حملة إبراهيم باشا إليها، والأحداث التي واجهها أهلُ نجـد مـن

---

(1) «قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية»، (ص١٢٦-١٢٨).

(2) هكذا وصفها خالد الفرج في «الخبر والعيان في تاريخ نجد»، (ص٣٠٦).

جرائها : الشيخ أحمد بن علي بن دعيج ـ رحمه الله ـ؛ ذلك أن الشعر أسهل في الحفظ، وأمكن في الإثبات، في مجتمع كان يعتمد على الذاكرة والحفظ، أكثر من اعتماده على التدوين والرصد[1]، فجاد الشيخ بهذه الأرجوزة السهلة؛ لتتناقلها الأجيال من بعده، شاهداً ميسراً على أحداث جسام مرَّت بها الجزيرة؛ أطلق بعضهم ـ لأجلها ـ على الأرجوزة «تاريخ ابن دعيج».

ولأن هذه الأرجوزة التاريخية لم يُسبق طبعُها مفردة؛ فقد أحببت القيامَ بخدمتها والتعليقَ عليها؛ لتنضم إلى غيرها من تواريخ هذه البلاد التي حُققت وطُبعت. مع التنبيه إلى أنني أثبتُ أبياتها كما تُنطق محلياً؛ لعدم مراعاة ناظمها للقواعد العربية.

مقدماً بين يديها وصفاً للحملات التي تعرضت لها هذه البلاد ـ لا سيما حملة إبراهيم باشا ـ، وأسبابها، ونتائجها على البلاد: دينياً وسياسياً

---

(1) ولبيان أهمية الشعر في توثيق الأحداث التاريخية بنجد والجزيرة العربية؛ ينظر: بحث الدكتور عبدالله العثيمين: «الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد». ضمن كتاب «دراسات تاريخ الجزيرة العربية»، (١/ ٣٧٧-٣٩٦). ورسالة: «أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية» للدكتور عبدالله الشبل، (ص١٥ وما بعدها).

واجتماعياً، ليكون مُعيناً على فهم الأرجوزة المختصرة. ثم ناشراً صور أوراق المخطوط في آخر الكتاب.

أسأل الله تعالى الهداية والتوفيق، لي ولجميع المسلمين، وأن يديم على هذه البلاد وبلاد المسلمين الإيمان والأمن. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه/ سليمان بن صالح الخراشي
Alkarashi1@hotmail.ocm

تمهيد تاريخي[1]

يُعد حصار إبراهيم باشا للدرعية وسقوطها، من أبرز الأحداث التاريخية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي ـ باعتبار أن هذا الحصار، كان الوسيلة التي مكنت الدولة العثمانية، من تحقيق هدفها في القضاء على الدولة السعودية الأولى. فكان خاتمة لسلسلة من الحملات التي شنتها الدولة لتحقيق هذا الهدف، ونموذجاً مميزاً للصراع بين قوتين عظيمتين في المنطقة، كان لعدم توازن القوى العسكرية بينهما دور كبير في حسم الموقف، الذي

(1) كتب كثيرون عن حملات محمد علي باشا وأولاده على الجزيرة العربية، وعن معركة الدرعية، وسقوط الدولة السعودية الأولى، وأسباب ذلك ثم نتائجه، ما بين مُسهب وموجز. ومن أهم هذه الكتابات ـ في نظري ـ: «عنوان المجد» لابن بشر، و«تاريخ الفاخري»، و«بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة» للدكتور محمد السلمان، و«العاصمة التاريخية للدعوة السلفية» للدكتور عثمان الصوينع، و«حصار إبراهيم باشا للدرعية وسقوطها» للباحثة فاطمة القحطاني (رسالة ماجستير بقسم التاريخ بجامعة الملك سعود، عام ١٤٢٧هـ، لم تُطبع بعد)، وقد أجادت الباحثة في رسالتها، وميّزتها بكثرة المراجع، ودقة الوصف، والاعتماد على الوثائق والصور. وأنا أختصر هذا التمهيد من هذه الرسالة القيّمة، مع تصرف يسير، وزيادات.

نتج عنه سقوط الدرعية في النهاية، وما ترتب على هذا السقوط من انهيار كامل للدولة السعودية الأولى.

وفي مقدمتها كتاب عثمان بن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» الذي يعد من مصادر الدراسة الرئيسية، فابن بشر معاصر للأحداث، ويكاد يكون المصدر المحلي الوحيد الذي فصّل في أحداث حملة إبراهيم باشا وحصارها للدرعية.

ورغم أنه لم يكن شاهداً على أحداث الحصار رغم معاصرته إذ كان يبلغ من العمر وقتها حوالي ٢٣ عاماً، إلا أنه كان ينقل عن أناس شاركوا في حصار الدرعية، وقد وضح ذلك أثناء حديثه عن معارك الدرعية فقال: إن جيش إبراهيم باشا استمر في حصار الدرعية ستة أشهر، صار فيها «وقعات عديدة لا يحيط بها العلم، ولا يدركها من أرادها بالقلم، فرأيت أن أكتب بعضها؛ فسألت عنها رجالاً حضروها وشاهدوها، فلم يتفق اثنان على قول واحد وصرت متحيراً من هذا الاختلاف الزايد ثم تبين لي وجه الأمر، وهو أن كل رجل من أهل الدرعية في مترسه مع رفقته والروم ملازمون لهم، ولا يعلم أهل هذه الجهة بصفة قتال تلك الجهة الأخرى، ولا يعلم أهل الناحية الغربية بقتال أهل الناحية الشرقية، ولا يقدر الرجل يزول عن مترسه لملازمة بعضهم بعضاً، ولكثرة القتال، والبلد كبيرة واسعة، ونواحيها بعضها

عن بعض شاسعة، فلما علمت أني لم أدرك أن أذكر كل وقعة على حقيقتها وخفت من الزيادة والنقصان أعرضت عن ذكر صفة الوقعات إلا يسيراً منها»[1].

أثناء إمارة محمد بن سعود على الدرعية ـ التي استمرت ١٨ عاماً قبل قيام الدولة السعودية الأولى- ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، داعية إلى مبادئ وأهداف هامة؛ أهمها: إفراد الله بالعبادة، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه، والقضاء على البدع والخرافات المتفشية في تلك الفترة، والعودة إلى سيرة السلف الصالح، وتطبيق الشريعة الإسلامية في ظل دولة قادرة على تحقيق هذه الأهداف[2].

ولعل هذا المبدأ الأخير هو الذي جعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ينتقل من حريملاء إلى العيينة عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م، نتيجة قبول أميرها بهذه الدعوة ونصرته لها[3]، وخلال هذه الفترة كانت دعوة الشيخ قد انتشر أمرها في المنطقة، وبدأت تستقطب الأنصار من

(1) عثمان ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٩٨٢م، جـ١، ص ٤٠٨.

(2) د. عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة، جـ١، ص ٧١.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨.

جميع المناطق، فازداد عددهم بشكل كبير[1].

وقد انقسم الناس ما بين مؤيد ومعارض لها، وقد حاول المعارضون محاربتها بشتى الطرق، حتى وصل بهم الأمر إلى تحريض الأمراء والزعماء في نجد وخارجها ضدها. وكان أن وجهوا جهودهم لأمير الأحساء سليمان بن محمد آل حميد، الذي قام بالضغط على أمير العيينة عثمان بن معمر، ليتخلى عن تأييده للشيخ محمد ودعوته، وقد نجح في ذلك حيث أخرج ابن معمر الشيخ محمد من العيينة عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، فاتجه إلى الدرعية[2].

وقد لاقت الدعوة قبولاً حسناً لدى عدد من كبار رجال الدرعية وفي مقدمتهم أخوا الأمير محمد: مشاري وثنيان[3]، وكذلك ابنه الأمير عبدالعزيز بن محمد الذي راسل الشيخ وهو في العيينة يطلب منه تفسير سورة الفاتحة[4]، وكذلك تتلمذ على يديه حمد بن سويلم الذي نزل

---

(1) السابق، جـ١، ص٣٩.

(2) حسين ابن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٦٨هـ، جـ٢، ص٣، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٩-٤٠.

(3) السابق، جـ١، ص ٣١.

(4) السابق، جـ١، ص٢٢٢.

الشيخ في بيته عندما انتقل إلى الدرعية(1).

وهناك أتى إليه الأمير محمد بن سعود ومعه أخواه مشاري وثنيان، ورحب به ووعده بالحماية والتأييد(2).

وقد اتفق كل من ابن غنام وابن بشر، على أن الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ محمد مقابل تأييده ومساعدته على نشر دعوته، ألا يغادر الدرعية مستقبلاً(3). ويضيف ابن بشر شرطاً آخر للأمير محمد، وهو ألا يمنعه الشيخ عن أخذ الضريبة السنوية التي كانت مفروضة على سكان بلدته، وقد وافق الشيخ على الشرط الأول، أما بالنسبة للشرط الثاني فقد رد عليه بأنه يرجو الله أن يعوضه من الغنائم خيراً مما كان يأخذه(4). وبذلك تبايع الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب على أن يعملا في سبيل نشر الدعوة السلفية الإصلاحية. وعلى هذا الأساس قامت الدولة السعودية الأولى في الدرعية عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م(5).

---

(1) السابق، جـ٢، ص٣.

(2) السابق، جـ٢، ص٣، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٤١.

(3) السابق، جـ٢، ص٣، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٤٢.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٤٢، العثيمين، تاريخ المملكة، جـ٢، ص٨٥.

(5) ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص٣، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٢، العثيمين، تاريخ المملكة، جـ٢، ص٨٦.

وصلت أخبار ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣-١٧٩٢م) في نجد، إلى الدولة العثمانية منذ فترة مبكرة من تاريخها، فقد أرسل شريف مكة مسعود بن سعيد[١] إلى الدولة العثمانية، يخبرها بظهور الشيخ عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وذكر أن علماء مكة قد أفتوا بوجوب قتاله، إن لم يرجع عن دعوته[٢]. وقد ردت عليه الدولة العثمانية بكتاب جوابي طلبت منه فيه إقناع هذا الشخص بالعدول عن مذهبه[٣].

ولكن الدولة العثمانية في بداية الدعوة السلفية لم تتخذ أي إجراء مضاد لها، أو لنشاط الدولة السعودية المسلح في نجد، الذي بدأ منذ عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م. وقد وضع كثير من المؤرخين والباحثين

---

(1) الشريف مسعود بن سعيد: تولى إمارة مكة من ١١٤٦هـ/ ١٧٣٤م وبقي في منصبه أكثر من ثمانية عشر عاماً إلى أن توفي عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م. حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٧٨-١٨٠.

(2) سليمان عزي، تاريخ عزي، استانبول: طبعة متفرقة، ١١٦٥-١١٦٧هـ، ص١٠٧، العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ١٢٤.

(3) جارشلي، أشراف مكة، ص ١٧٩، نقلاً عن وثيقة عثمانية من أرشيف رئاسة الوزراء- وثائق الداخلية - تصنيف جودت- رقم (٦٧١٦) بتاريخ شوال ١١٦٤هـ.

عوامل وأسباباً مختلفة لاتخاذها هذا الموقف السلبي من الدعوة السلفية، والدولة السعودية القائمة على أساسها في هذه الفترة، من أهمها:

١- استهانة الدولة العثمانية بالدعوة السلفية، وبقدرتها على الانتشار والاستمرار[1]، خاصة أنها بدت ضعيفة في إمكانياتها وقوتها أمام المعارضة المحلية والخارجية على السواء، وأن هذه المعارضة قادرة على مواجهتها والتخلص منها[2].

٢- اعتقاد العثمانيين أن الدعوة السلفية مجرد حركة داخلية تدور في نطاق ضيق، واعتبارها نوعاً من المنازعات التي كانت تكثر بين القبائل في شبه الجزيرة العربية[3]. مع عدم فهمهم للبعد الدعوي والسياسي لهذه الحركة في تلك الفترة.

---

(1) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٢٩.

(2) تعرضت الدعوة لمعارضة قوية من بعض القوى النجدية خاصة الرياض، كما واجهت أخطاراً خارجية في تلك الفترة تمثلت في حملات بني خالد من الأحساء، وحملة الإسماعيلي المكرمي أمير نجران، لمزيد من التفاصيل انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص ٧-٩١، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٥٢-٩٨.

(3) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٢٩، عبدالفتاح أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١١٥٧-١٢٣٣هـ، الرياض: دار المريخ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٨٥.

٣- أن الدولة السعودية في الأربعين سنة الأولى من تاريخها، كانت تمتد في إقليم نجد، وكان هذا الإقليم غير خاضع للسيادة العثمانية المباشرة، فضلاً عن بعده عن مراكز الدولة الإستراتيجية والاقتصادية والعسكرية الهامة في شبه الجزيرة العربية وما حولها، وبالتالي عدم اهتمام العثمانيين بما يحدث فيه[١].

٤- ضعف الدولة العثمانية داخلياً، وقلة إمكانياتها المادية، والمشاكل التي تواجهها خارجياً في تلك الفترة[٢].

٥- أن الدولة السعودية نفسها كانت تتحاشى الصدام مع الدولة العثمانية في البداية، بدليل موقف الإمام عبدالعزيز بن محمد من لجوء سعدون بن عريعر إلى الدرعية عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، حيث رفض إعطاءه الأمان في أول الأمر، لأنه كان قد هادن ثويني

(1) أبو علية، محاضرات، ص ٨٥.

(2) للاطلاع: انظر كتب التاريخ العثماني ومنها: كتاب فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص٣٤١-٤١٠.

ابن عبدالله رئيس قبيلة المنتفق[1]، وكان الإمام يخشى استثارة ثويني، ومن ورائه باشوية بغداد العثمانية، وبالتالي الدولة العثمانية، بل إنه عندما أجاره[2] بعد ذلك وغضب ثويني حاول الإمام

---

(1) ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي، تولى مشيخة قبيلة المنتفق بعد والده، كانت علاقته بالدولة السعودية جيدة، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً؛ نتيجة تدخله في الصراع بين السعوديين وبني خالد في الأحساء، فهاجم تنومة في القصيم وحاصر بريدة عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، ولكن نتيجةً لبعض الاضطرابات في البصرة عاد مسرعاً، وقد حاول الاستقلال بالبصرة، فخرج عليه سليمان باشا والي بغداد وهزمه، ففر ثويني إلى الدرعية لاجئاً، وكان يراسل سليمان باشا ليعفو عنه، فلما عفا عنه رجع إلى بغداد عند الوالي، وظل عنده حتى كلفه بحرب السعوديين عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، وقد قُتل خلال هذه الحملة في ٤ محرم ١٢١٢هـ على يد طعيس، وهو أحد عبيد بني خالد، والمنتفق: أكبر قبائل جنوب العراق، وتمتد أراضيها من البصرة إلى السماوة، وزعماؤها من آل شبيب ثم من آل سعدون. ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص١٥٨-١٥٩-١٦٠-٢٢٥-٢٢٨، عثمان بن سند البصري، مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨هـ إلى سنة ١٢٤٢هـ تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، الموصل: دار الحكمة، ١٩٩١م، ص ٢١٢-٢١٣-٢١٧.

(2) أعطى الإمام عبدالعزيز سعدوناً الأمان بعد ذلك؛ لأنه دخل دون إذن إلى الدرعية، ولما استشار عبدالعزيزُ الشيخَ محمد بن عبدالوهاب أشار عليه بقبول أمانه، لعل في ذلك خيراً، ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص١٢٥، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص١٥٧.

عبدالعزيز أن يستعطفه[١] في محاولة منه لتأجيل الصدام معه.

ومن أدلة ذلك أيضاً ما ذكره الإمام سعود في رسالته إلى علي الكيخيا مساعد والي بغداد حينما قام بحملة على الأحساء عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، يستنكر فيها إرسال هذه الحملة، خاصة أنه لم يتعرض لأملاك الدولة العثمانية[٢] لأن الأحساء خارجة عن حكمها منذ ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م[٣].

من خلال ما سبق، يتضح أن الدولة العثمانية كانت تنظر للدولة السعودية، منذ قيامها وبدء جهادها العسكري نظرة سياسية بحتة، واعتبارها حركة قبلية غير جديرة بالاهتمام. إلا أن هذه النظرة تغيرت واتخذت طابعاً آخراً وتطورت بمرور الوقت بفعل عوامل وأسباب مختلفة؛ من أهمها:

١- سرعة انتشار الدعوة السلفية، وامتداد نفوذ الدولة السعودية بعد

---

(1) ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص١٢٤، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص١٥٧.

(2) رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٥م، ص٢٠٨، العثيمين، تاريخ المملكة، جـ١، ص١١٨.

(3) خرج براك بن غرير آل حميد في الأحساء على الدولة العثمانية، واستقل بحكمها عام ١٠٨٠هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ٢، ٣٣٠.

أن تجاوزت منطقة نجد إلى مناطق أخرى كانت خاضعة للسلطة العثمانية، مما أقلق الدولة العثمانية، باعتبار أن هذه الدولة الناشئة أصبحت قوة دينية وسياسية كبيرة غير خاضعة لسلطانها[1]، بل تهدد ولاياتها المحيطة بنجد في العراق والشام اوالحجاز، وبالتالي تهدد مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية في المنطقة.

٢- قيام أعداء الدولة السعودية والدعوة السلفية بالدعاية السيئة ضدها، دينياً وسياسياً[2]، فكان ذلك عاملاً مساعداً لحنق الدولة العثمانية وعدائها للدولة السعودية.

---

(1) بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ترجمة محمد بدران، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م، ص١٩، فريد مصطفى أبو عز الدين، آل سعود في التاريخ، بيروت: مطابع قوزما، ١٩٣٤م، ص ٤٦، سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، جدة: مكتبة تهامة، ط١، ١٤٠٠هـ ص ٢٥-٢٦.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٣٣، رسالة عربية من عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا، غير مؤرخة، ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص١٤٤، عبدالله القصيمي، الثورة الوهابية، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ط١، ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م، ص٢٧، محمود شاكر، شبه جزيرة العرب، نجد، بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٧٦م، ص١٩٤.

٣-حقد العثمانيين على أهل الدعوة؛ لأنهم فسروا هزائم العثمانيين في حروبهم مع أوربا وخاصة روسيا، بأنها بسبب تهاون الدولة في أمور الدين[١]. كما اتهموها بالتقصير والتقاعس في الدفاع عن أرض المسلمين ضد خطر الدول الغربية المسيحية الطامعة، وإفساح المجال لها للتدخل في شئون المسلمين[٢].

٤- كان قيام الدولة السعودية على أساس دعوة دينية، يشكل تهديداً خطيراً لهيبة الدولة العثمانية في العالم الإسلامي، كما كانت هذه الدعوة سيفاً مسلطاً على رقابهم في البلاد العربية، لأن تلك البلاد ما كانت لتخضع لهم، لولا أنهم كانوا ينتسبون إلى الإسلام ويعدون رمزاً له في مواجهة الخطر المسيحي آنذاك، فإذا آنس أهل هذه البلاد أن ثمة دولة إسلامية أخرى تدعو إلى الله وتنتقل من نصر إلى آخر انصرفوا عن الأتراك إليها[٣]. وقد زاد حنق السلطان

---

(1) ابن خميس، الدرعية، ص ٣٣٢.

(2) عبدالكريم غزال، المملكة السعودية أمام قدرها الكبير، دمشق: المطبعة التعاونية، ط١، ١٤٠٠هـ، ص٦٨.

(3) ابن خميس، الدرعية، ص٣٣٠.

على رجال هذه الدولة عندما وصلته أخبار تلقبهم بالإمامة، وهي صنو الخلافة التي يقوم عليها عرش العثمانيين[1]، فعدهم معتدين على سلطته الدينية، ومنازعين له في صفته الروحية كخليفة للمسلمين، خاصة بعد تطلعهم لضم الحجاز أرض الحرمين الشريفين[2].

٥- أثار قيام الدولة السعودية، ونمو قوتها في شبه الجزيرة العربية، القوى العالمية المتنافسة في المنطقة، التي كانت تحرص بشدة على أن لا تقوم في المنطقة العربية أي قوة تهدد نفوذها، وبما أن هذه الدول الاستعمارية، خاصة بريطانيا، كانت ذات نفوذ قوي في الدولة العثمانية، فقد كانت تحرص على تحريض العثمانيين لمواجهة هذه القوة والقضاء عليها[3].

---

(1) الزركلي، شبه الجزيرة، جـ١، ص٣٨.

(2) محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، ص٧، شاكر، شبه جزيرة، ص١٩٣، صلاح العقاد، «الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربية ١٨١١-١٨١٨م»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثانية، العدد٦، ربيع الثاني ١٣٩٦هـ، ص١٠٧.

(3) غزال، المملكة السعودية، ص ٦٩، سليمان الغنام، قراءة جديدة، ص ٢٨، حسن الفكهاني، الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية، القاهرة: الدار العربية للموسوعات، (د.ت)، ص٤٤.

نتيجة للأسباب السابقة، اتخذت الدولة العثمانية إجراءات مختلفة لمواجهة الدولة السعودية، والحد من خطرها، أو القضاء عليه على مراحل متعددة. فقام العثمانيون في البداية بنشر الدعاية السيئة ضدها، وعملوا على تشويه مبادئ الدعوة الدينية واتجاهاتها السياسية، وقذفوها بالزندقة والخروج عن الدين. وقد استخدموا في ترويج هذه السياسة بعض شيوخ الإسلام الرسميين في الدولة الذين قذفوا الدعوة على منابر المساجد وفي الدروس الدينية وغيرها[1]، وقام عدد من علماء الدين الموالين للدولة العثمانية بتأليف الرسائل والكتب للإساءة إلى سمعة أصحاب الدعوة حتى صوروهم بصورة غير حقيقتهم[2].

وقام العثمانيون لتقوية هذه الدعاية بعدم السماح للسعوديين بالحج[3] لأن اجتماعهم بالمسلمين في مكة قد يخفف من الدعاية السيئة ضدهم ببيان حقيقة دعوتهم، فرفضت الدولة العثمانية كل طلب يقدمونه للسماح لهم بالحج[4].

وعلى الرغم من جميع هذه الإجراءات العدائية لوقف مد الدولة

---

(1) القصيمي، الثورة الوهابية، ص ٢٧-٢٨.

(2) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٧٩.

(3) ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص ٧٩-١١٩ ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧.

(4) أحمد علي، آل سعود، مكة المكرمة: ١٣٧٦هـ، ص٣٧.

السعودية ومحاولة إحباطها، فإنها كانت تحقق انتصارات قوية ومتتالية، مما جعل الدولة العثمانية تفكر في اتخاذ إجراء أكثر فاعلية وعدائية لمواجهة هذه القوة، فكانت الحملات العسكرية المتتابعة التي قامت بها الدولة العثمانية عن طريق ولاتها في العراق ومصر.

فبعد أن اتضح للدولة العثمانية مدى قوة السعوديين، بعد ضمهم لجبل شمر عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، وتهديدهم لولاية الشام العثمانية، وبعد ضمهم للأحساء عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م، وتهديدهم للعراق العثماني، وانتصارهم على شريف مكة عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م، بدأت جدياً بالتحرك عسكرياً ضد الدولة السعودية الأولى، للحد من خطرها قبل أن يتسع نطاقها. فكلفت والي بغداد سليمان باشا[1] بهذه المهمة، بحكم تهديد السعوديين المباشر لأراضيه، ولأنه كان يحظى بدعم وتأييد كثير من العناصر الساخطة على الحكم السعودي التي هربت إلى جنوب العراق[2]. فكانت حملة ثويني بن عبدالله شيخ قبيلة المنتفق عام

---

(1) سليمان باشا: تولى ولاية بغداد لمدة تزيد على ٢٣ سنة من عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م وحتى توفي عن عمر يناهز الثمانين عاماً في الثامن من ربيع الآخر عام ١٢١٧هـ/ الثامن من أغسطس عام ١٨٠٢م، الكركوكلي، دوحة الوزراء، ص ٢١٨.

(2) أبو علية، محاضرات، ص ٨٨.

١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، التي باءت بالفشل[١]. ثم صدرت أوامر سلطانية مشددة لسليمان باشا، بأن يعد حملة قوية من الجنود النظامية ضد السعوديين، فأرسل حملة بقيادة نائبه علي الكيخيا عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، وانتهت بالفشل أيضاً[٢].

وبعد فشل هذه التحريض لوالي بغداد في محاولة كسر شوكة الدولة السعودية، اتجهت الأنظار إلى والي الشام، ومحاولة دعمه وتشجيعه للقيام بهذه المهمة، خاصة بعد تطور الأحداث في الحجاز، وقيام الدولة السعودية بضم مكة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٥م، إلا أن ولاة الشام امتنعوا عن القيام بهذا التكليف[٣]. ولم تؤت سياسة العزل التي لجأت

---

(1) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، جـ٢، ص١٨٦، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٢١٧، عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ط٦، ١٩٩٩م، ص ٢٠٦.

(2) للمزيد: انظر: ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٢٥٢، عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٢٠٩.

(3) نتيجة لسوء أوضاعهم الداخلية، وما كانت تعانيه أيالات الشام الرئيسة كدمشق وحلب وطرابلس من فوضى عسكرية بسبب انقسام وصراعهم. عبدالله حمد الحقيل، «علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ» مجلة الدارة، السنة السابعة، العدد ٤، رجب ١٤٠٢هـ.

إليها الدولة العثمانية لولاة هذا الإقليم ثمارها، فقد ظلوا عاجزين عن القيام بهذه المهمة مترددين فيها[1].

وقد كان خروج الحجاز عن حكم الدولة العثمانية، ضربة سياسية ودينية قوية موجهة لهيبتها في العالم الإسلامي أجمع، أفقدت السلطان العثماني لقب حامي الحرمين الشريفين الذي كان يعتز به، وتقوم عليه مكانته الدينية.

كما أن الإمام سعود بن عبدالعزيز بعد دخول مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م منع مجيء حجاج الولايات العثمانية إذا اصطحبوا معهم المحمل[2]؛ لأنه بدعة يجب محاربتها[3]. ولهذا زاد حماس السلطان

---

(1) أبو علية، محاضرات، ص ١٠٩.

(2) المحمل، عبارة عن صندوق خشبي مغطى بالأقمشة والستائر المزركشة، ويُحمل على جمل يسير في مقدمة قافلة الحج، وتُوضع به الهدايا المرسلة إلى الكعبة، كانت المحامل تأتي مع قوافل الحج القادمة من مصر والشام والعراق واليمن وتركيا وغيرها، وقد اكتسب المحمل أهميته السياسية بصفته رمزاً للحكومة التي ترسله، وقد كانت له أهمية دينية في نظر العامة مع تراكم البدع التي ألحقت به مع مرور الزمن، سيد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٦م، ص١٧٩-١٨٨.

(3) وقد اتضح ذلك من خلال رسالة سعود الكبير إلى السلطان سليم الثالث بعد دخوله مكة، انظر نص الرسالة عند أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، بيروت، دار الجيل، (د.ت) ص ٧٠، الزركلي شبه الجزيرة، جـ١، ص٣٨.

لمواجهة الدولة السعودية الأولى، بل أصبح لديه دافع جديد هو استعادة سيادته على الحرمين الشريفين[1].

(1) يذكر المؤرخ ميخائيل الدمشقي في تاريخه لحوادث الشام ولبنان، وكان معاصراً لتلك الفترة: أن الإمام سعود الكبير منع قافلة حجاج الشام وإستانبول من دخول المدينة المنورة، وكان مع القافلة والدة السلطان العثماني وذلك في سنة ١٢٢٠هـ. ميخائيل الدمشقي، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٩٢-١٢٥٧هـ/ ١٧٨٢-١٨٤١م، تحقيق أحمد غسان سبانو، دمشق: دار قتيبة، ط٢، ١٩٨٣/ ص٣٣. وتقول بعض الروايات: إن منع والدة السلطان من الحج هو السبب المباشر الذي حدا بالسلطان العثماني مصطفى الرابع إلى تكليف محمد علي باشا والي مصر بمهمة القضاء غلى الدولة السعودية الأولى. وقد ذكر مثل ذلك ضاري بن رشيد في كتابه، «نبذة تاريخية عن نجد»، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ ص٦٣. قد يكون هذا الأمر عامل مساعد في اتخاذ السلطان هذا الموقف خاصة مع ما هو معلوم من سلطة الحريم في البلاط العثماني لكنه بالتأكيد ليس السبب الوحيد، بدليل الفرمانات التي كان السلطان يرسلها إلى ولاة العراق والشام قبل هذا التاريخ للقضاء على الدولة السعودية. أما الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ فيقول في «المقامات»: «أما الدول التركية المصرية فابتلى الله بهم المسلمين لما ردوا حاج الشامي عن الحج؛ بسبب أمور كانوا يفعلونها في المشاعر، فطلبوا منهم أن يتركوها، وأن يقيموا الصلاة جماعة، فما حصل منهم ذلك؛ فردهم سعود ـ رحمه الله تعالى ـ تديناً؛ فغضبت تلك الدولة التركية، وجرى عندهم أمور يطول عدها، ولا فائدة في ذكرها» المقامات، ص(١١٠).

ويبدو أن الدولة العثمانية إزاء هذه الفشل من قبل ولاتها في الشام والعراق، حاولت أن تطلب الهدنة من الإمام سعود، على أن تبذل له كل سنة ألف مثقال من الذهب، ولكن الإمام رفض المهادنة إلا إذا قبلوا بالدعوة"(1).

وأخيراً اتجه السلطان العثماني إلى واليه الجديد على مصر: محمد علي باشا(2)، ليقوم بمهمة القضاء على الدولة السعودية، خاصة بعد فشل ولاة العراق والشام في هذه المهمة.

ويبدو أن هذا التكليف من السلطان العثماني لمحمد علي، قد صادف هوى وقبولاً في نفسه، خاصة وأنه كان يأمل في تحقيق مكاسب

---

(1) عبدالرحمن القاسم (جمع)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، بيروت: دار العربية، ط٢، ١٤٠٢هـ ج٧، ص ٢٦١.

(2) محمد علي باشا: ابن إبراهيم أغا بن علي ألباني الأصل ولد في قولة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م كان يعمل في تجارة التبغ، وقد جاء إلى مصر مع الجيش الذي أرسله الدولة العثمانية لإخراج الحملة الفرنسية من مصر ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وقد استطاع بمكره أن يصل إلى حكم مصر ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م وقد استمر في حكمها حتى عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م حينما اعتزل الحكم وتركه لولده إبراهيم. الزركلي، «الأعلام»، (٦/ ٢٩٨-٢٩٩). وينظر للمزيد عنه: «عصر محمد علي» للمؤرخ عبدالرحمن الرافعي، و«حلية البشر»؛ للبيطار (٣/ ١٢٤٠-١٢٤٢).

سياسية جديدة من ورائه، لرفع مكانته في الدولة العثمانية، في حال نجاحه في هذه المهمة، وعدّها فرصة لتحقيق أطماعه التوسعية في إنشاء إمبراطورية خاصة به. كما يبدو أن له أغراضاً أخرى محلية، من وراء هذا القبول، من أهمها: التخلص من طوائف الجنود الأرناؤوط، الذين أكثروا الشغب والتمرد في ولايته، وتنظيم جيشه تنظيماً جيداً، ولعله رأى في هذه المهمة أيضاً وسيلة جيدة للحصول على دعم مادي كبير من الدولة العثمانية، أو على الأقل تخفيف الضرائب المفروضة عليه[1].

ويبدو أن محمد علي كان يحسب للقوة السعودية حسابها في هذه الفترة، ويخشى من محاولاتها الاتصال بالحدود المصرية، ومد النفوذ السعودي إليها[2]، ففي تنفيذه لأوامر السلطان أيضاً حماية لولايته من خطر هذه القوة الضاربة في شبه الجزيرة، وخاصة بعد ضمها للحجاز، وهي منطقة قريبة من مصر وعلى اتصال قوي بها.

وتشير الوثائق العثمانية، إلى أن أول تكليف ورد من السلطان

(1) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٨٢، عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ط٦، ٢٠٠١م، ص١٢٠-١٢١. أحمد عسة، معجزة فوق الرمال، بيروت، المطابع الأهلية، ط٣، ١٩٧١م، ص ٢٥-٢٦. العقاد، الحملة المصرية، ص١٠٨. عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٣٠٨-٣٠٩.

(2) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٨٣.

العثماني إلى محمد علي للقيام بهذه المهمة، كان في شوال ١٢٢٢هـ/ ديسمبر ١٨٠٧م[1]. ولكن محمد علي تأخر في تنفيذ هذا التكليف، نتيجة لظروف مصر الداخلية[2]، وتعرضها لحملة بريطانية على الإسكندرية في نفس العام[3]، كما كانت خزينة الولاية خاوية، والقوات العسكرية في حاجة لدفع مخصصاتها[4]. لذلك رأى محمد علي ضرورة

---

(1) دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر رقم (١)، وثيقة رقم (٥)، من موسى باشا نائب السلطان إلى محمد علي بتاريخ ٨ شوال ١٢٢٢هـ، وقد ذكر ذلك الجبرتي في تاريخه في أحداث شوال ١٢٢٢هـ، عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل، (د.ت)، جـ٣، ص٢٢٩. كما صدر تكليف آخر في ذي الحجة من نفس السنة، دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر رقم (١) وثيقة رقم (٣)، من جناب الباب العالي إلى محمد علي بتاريخ ذي الحجة ١٢٢٢هـ.

(2) انشغال محمد علي بتثبيت حكمه، ومحاربة المماليك المعارضين له، ولمزيد من التفاصيل انظر: فيلكس مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، ترجمة، محمد خير البقاعي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٥م، ص٣٠-٣١، عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٣٠٦، الرافعي، عصر محمد علي، ص١١٩.

(3) الرافعي، عصر محمد علي، ص١١٨.

(4) جلال يحيى، مصر الحديثة ١٨٠٥-١٨٤٠، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة =

الإعداد الجيد لهذه الحملة عسكرياً ومالياً، فعمل على تقوية جبهته الداخلية بالتخلص من منافسيه، وتمهيد الطريق لغزو شبه الجزيرة العربية، والاتصال بأعداء الدولة السعودية هناك للتعاون معهم، وجمع الأموال من التجار وغيرهم، وبناء السفن، وتوفير المعدات والذخيرة، الأمر الذي استغرق أربع سنوات[1].

ولما أتم استكمال الترتيبات اللازمة للحملة، جعل قيادتها لابنه طوسون[2]، ووجهها إلى شبه الجزيرة العربية عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، فوصلت الحملة إلى ينبع، واستولت عليها بسهولة كبيرة[3]. ثم زحفت إلى المدينة، وفي طريقها إليها استولت على بدر[4]، وواجهت القوات

=

للكتاب، ١٩٨٣م، ص ٤٠٢.

(1) جوهان بوركهارت: مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، ١٩٩١م، ص١١٢، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٣٣-٣٦، العثيمين، تاريخ المملكة، جـ١، ص١٩٢.

(2) طوسون: كان الابن الأصغر لمحمد علي وقد توفي بعد عودته من الجزيرة العربية في السابع من شهر ذي القعدة ١٢٣١هـ الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص ٥٣٩.

(3) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١١٣، الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٣٣٣، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٣٧.

(4) بدر: قرية عامرة من قرى الحجاز بأسفل وادي الصفراء على بعد ١٥٥ كيلاً من المدينة جنوب غرب على الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة حيث تبعد عنها ٣٠٥

=

السعودية بقيادة عبدالله بن سعود في وادي الصفراء[1] واستطاعت القوات السعودية أن تكبد قوات طوسون هزيمة ساحقة في هذه المعركة، وعاد من نجا من الغزاة إلى ينبع[2]. إلا أن طوسون حصل على تعزيزات جديدة من مصر، مكنته مرة أخرى من مهاجمة المدينة المنورة، ومن ثم الاستيلاء عليها بعد حصارها فترة من الزمن، وقد نتج عن هذا الحصار استسلام الحامية السعودية فيها في ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ/ نوفمبر ١٨١٢م[3].

وكان لسقوط المدينة المنورة أكبر الأثر في تتابع سقوط مدن الحجاز الأخرى، حيث اتجه طوسون إلى جدة ودخلها دون مقاومة. ثم اتجه إلى

=

أكيال، عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة: دار مكة، ط١، ١٤٠٢هـ جـ١، ص١٨٩.

(1) وادي الصفراء: وادٍ كبير كثير النخل والزرع وهو جنوب غرب المدينة جنوب شرق ينبع، وهو يوازي وادي ينبع من الجنوب حيث يصبان في البحر. البلادي، معالم الحجاز، جـ٥، ص١٥٠.

(2) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١١٦، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٤٤، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٢٢.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٥١، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٢٨، الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٣٣٨-٣٤١.

مكة المكرمة ودخلها في محرم سنة ١٢٢٨هـ/ يناير ١٨١٣م بمساعدة الشريف غالب بن مساعد[1]. كما أرسل طوسون فرقة من الجيش استولت على الطائف[2]. وبذلك دخلت الحجاز تحت نفوذ محمد علي، وحققت الدولة العثمانية بذلك الهدف الأساسي من أهدافها من هذه الحرب باستعادة الحرمين الشريفين من السعوديين.

ثم عمل طوسون على متابعة انتصاراته، فبعث فرقة من الجيش إلى الحناكية[3]، لتكون طليعة جيشه إلى نجد، ثم أرسل فرقة أخرى إلى تربة[4]، إلا أن السعوديين تصدوا لهاتين الفرقتين واستطاعوا الانتصار

---

(1) الشريف غالب: بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد حكم مكة بين عامي ١٢٠٢هـ-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م، قبض عليه محمد علي باشا بعد دخوله مكة، وأرسل إلى الآستانة حيث نفي إلى سالونيك وتوفي بها عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، الزركلي، الأعلام، جـ٥، ص١١٥.

(2) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٢٥، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٥٧-٥٨، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٣١.

(3) الحناكية: بلدة حجازية عامرة متقدمة نسبياً تقع على طريق القصيم على بعد ثمانين كيلاً من المدينة المنورة، سكانها من قبيلة حرب، البلادي، معالم الحجاز، جـ٣، ص٦٧.

(4) تربة: بلدة عامرة لقبيلة البقوم تقع على وادٍ كبير يسمى باسمها من أودية الحجاز الشرقية، البلادي، معالم الحجاز، جـ٢، ص٢٠.

عليها[1].

وأمام هزيمة قوات طوسون في هذه الجهات، قـرر محمـد عـلي أن يجهـز حملـة جديـدة يقودهـا بنفـسه. ولـما وصـل الحجـاز عـام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤ عمل على عزل الشريف غالب ونفيه، وتعيـين ابـن أخيه الشريف يحيى بن سرور[2] بدلاً عنه[3]. ثم أمـر قواتـه بالتوجـه إلى تربة ولكنها هُزمت فيها من قبل السعوديين[4]، كما أرسل قوات أخـرى استولت على القنفذة[5]، إلا أن القوات السعودية انتزعتها منه، وكبـدت قواتـه

---

(1) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٢٧، ١٢٩، ابن بـشر، عنـوان المجـد، جـ١، ص٣٣٣.

(2) الشريف يحيى بن سرور: تولى شرافة مكة حوالي ١٣ سـنة حتـى عـام ١٢٤٢هـ حيث عزل عن الشرافة إثر قتله للشريف شنبر بن مبـارك رئـيس العربـان، أحمـد السباعي، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمـران، مكـة: نادي مكة الثقافي، (د.ت) جـ١، ص٥١٦.

(3) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهـابيين، ص ١٣٧، ١٣٩، مانجـان، تـاريخ الدولـة السعودية، ص٦٨-٦٩، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٣٨.

(4) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٧٥-٧٦.

(5) القنفذة: تقع في تهامة الحجاز وهي إحـدى محافظـات منطقـة مكـة المكرمـة تقـع جنوب غرب مكة، حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، معجم مختصر، الرياض: دار اليمامة، (د.ت)، جـ٣، ص١١٨٨.

خسائرَ فادحة[١].

ولكن الأوضاع تغيرت بعد ذلك لصالح محمد علي، بعد وصول إمدادات جديدة له من مصر حسَّنَت من وضعه في هذه الفترة. كما أن الإمام سعود بن عبدالعزيز توفي في تلك السنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م[٢]، وهذا أضعف الجبهة السعودية نوعاً ما، وذلك لأن عبدالله بن سعود الذي خلف والده لم يكن مثله في الصرامة وسداد الرأي[٣]. ورغم انتصار السعوديين على القوات المصرية في عدة مواقع، فإن الوضع تغير لصالح محمد علي، واستطاع الانتصار على السعوديين انتصاراً حاسماً في موقعه بِسْل[٤] عام ١٢٣٠/ ١٨١٥م، واستولى على زهران وتربة ورنية وبيشة وبعض مناطق تهامة[٥]. وتمكن من هزيمة القوات

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٨٠، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٤١.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٨١-٨٢، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٤٢.

(3) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٥٣، العثيمين، تاريخ المملكة، جـ١، ص١٩٨.

(4) بِسْل: وادٍ عظيم، كثير القرى والمزارع، غرب وادي تربة جنوب الطائف، البلادي، معالم الحجاز، جـ١، ص٢٢١-٢٢٢.

(5) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٦٨، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٠-٣٧٢.

السعودية التي كانت تحت قيادة طامي بن شعيب[1] في عسير، الذي أسر وأرسل إلى الآستانة، حيث أعدم ـ رحمه الله ـ هناك في نفس السنة[2].

وبعد هذه الانتصارات أصبح الطريق مفتوحاً للوصول إلى نجد، إلا أن محمد علي اضطر للعودة إلى مصر، في حين بقي ابنه طوسون لإكمال العمليات العسكرية، واستطاع الوصول إلى القصيم خلال هذه الفترة واستولى على عدد من بلدانه[3].

مما سبق نلاحظ، أن العمليات العسكرية لحملات محمد علي في هذه المرحلة تمركزت في منطقة الحجاز، بهدف استرجاع سيطرة الدولة العثمانية على الحرمين الشريفين، وبمهاجمة الحدود الجنوبية للحجاز بهدف تأمينه من خطر أتباع الدعوة في عسير. كما أن ابنه طوسون

---

(1) طامي بن شعيب: من أمراء عسير وقوادها، كان تابعاً مخلصاً للدرعية، خدم الدولة السعودية الأولى خدمات جليلة في عسير والمخلاف السليماني وغيرها، الزركلي، الأعلام، جـ٣، ص٢١٩.

(2) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٨٢، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٥، مقبل الذكير، حوادث عسير واليمن والحجاز (مخطوط من مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد، ١٣٩٦هـ رقم ٥٦٩) ورقة ٤.

(3) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩٠، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص٩١-٩٣، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨.

استطاع في هذه المرحلة أيضاً أن يتوغل في إقليم نجد ويستولي على عدد من بلدان القصيم.

وتشير الوثائق المصرية، إلى أن محمد علي لم يكن ينوي التوجه للدرعية خلال هذه المرحلة، وأنه أرجأ مهمتها إلى وقت آخر؛ لأنها تحتاج إلى إعداد وتنظيم شامل، وتجهيزات كبيرة وقوية، حتى يستطيع تحقيق هدفه في القضاء على قوتها. فقد وضح ذلك في رسالة بعثها إلى الباب العالي قال فيها بعد أن عرض انتصاراته في الحجاز: «أما الدرعية ... فمن أجل تطهيرها من الخوارج[١]... فقد أرجئ أمرها إلى وقت آخر من حيث أنها تحتاج إلى بعض التدابير والترتيبات في المهمات والقوة، وهذا أمر مسلم به للوصول إلى نتائج حسنة، ولهذا تحركتُ من المدينة إلى مصر»[٢].

---

(1) درجت الدولة العثمانية في خطاباتها على تلقيب السعوديين بالخوارج وغيرها من الألفاظ السيئة في محاولة لتشويه أتباع الدعوة السلفية، واعتبارهم خارجين على الإسلام لمخالفتهم لاعتقادات الدولة العثمانية، ومثل هذه الألفاظ لا أساس لها، فأتباع الدعوة لم يأتوا بشيء جديد أو خارج عن الدين الإسلامي، وكل ما دعوا إليه هو العودة بالإسلام إلى سيرة السلف الصالح.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٤٠ و٥/ ١-٢٢٢ (H.H19649) بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٠هـ.

والسؤال الذي يتبادر هنا هو: إذا كان محمد علي لم ينو الهجوم على الدرعية في هذه المرحلة، فلماذا توغلت قوات طوسون في نجد ودخلت القصيم؟

أشارت بعض المصادر، إلى أن توجه طوسون باشا إلى نجد خلال هذه الفترة، كان نتيجة للمراسلات التي تلقاها من بعض زعماء القصيم، الذين كاتبوه وحرضوه على القدوم، مما شجعه على أن يُصْدر الأوامر لقواته الموجودة في الحناكية بالتحرك نحو القصيم[1]. ولعله اتخذ هذا القرار كإجراء عسكري غرضه تأمين الحجاز وحمايته من الخطر السعودي من جهة القصيم، إذ سبق لمحمد علي أن أمّن طريق الحجاز من ناحية الجنوب وعسير.

وقد دفع تقدم طوسون إلى نجد الإمام عبدالله بن سعود إلى حشد قواته لنجدة القصيم، وأصبحت القوتان في مواجهة عسكرية من جديد. ولكن الأحداث تطورت بعد ذلك بشكل مغاير، وجنح

---

(1) عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، المقامات، تحقيق عبدالله المطوع، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ، ص١٢٠، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٧٧، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٦، محمد الخضيري (جمع وتعليق)، تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٦٥، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٤١.

الطرفان إلى الصلح، إذ يبدو أن طوسون أدرك مدى خطورة توغله في الصحراء، وامتداد خطوط مواصلاته من المدينة أو من الطائف نحو الداخل، وإمكانية قطعها بسهولة من قبل القوات السعودية[١]. كما أن ما سمعه عن ظروف مصر الداخلية في تلك الفترة لم يشجعه على الاستمرار في مواصلة عملياته العسكرية خشية انقطاع الإمدادات عنه[٢]. كما أن هناك روايات تذهب إلى أن من أمر طوسون بالصلح أو الهدنة هو محمد علي نفسه[٣]، ولعله أمر بذلك حتى لا يَسْتنزف قواته في شبه الجزيرة العربية، إلى أن يكمل استعداداته لحملة جديدة وقوتة.

كما أن الإمام عبدالله بن سعود ـ على ما يبدو ـ لم يكن متشجعاً - رغم تفوق موقفه العسكري على قوات طوسون في هذه المواجهة ـ على مواصلة القتال، ولعله كان موقناً أن أي انتصار سوف يحققه سيكون مؤقتاً، وأن محمد علي لن يلبث أن يرسل قوات جديدة وكبيرة

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٠٢، الرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٧، جلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٤.

(2) تعرضت مصر لفتنة قام بها لطيف باشا أحد مماليك محمد علي، انظر الرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٨.

(3) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص١١٩، بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٠، فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٤٣.

للوصول إلى الدرعية. فرأى أن من الأفضل ألا يُهدر قواته الآن، وأن يعمل على تحصين بلاده. وهذا ما حصل بالفعل[1].

ونتيجة لهذين الموقفين الداعيين للمهادنة والصلح؛ أمكن عقد اتفاقية صلح بينهما، اختُلف في بنودها بين المؤرخين، ويبدو أنها كانت في البداية تقديماً لمقترحات بين أتباع كل طرف، رأى فيها كل فريق أن يوافق على ما يناسبه ويترك مالا يناسبه.

لهذا نجد أن هناك بنوداً عديدة أمكن الحصول عليها من المصادر التاريخية المختلفة، كل واحدة منها تختلف عن الأخرى، مما يرجع غياب نص الاتفاقية المعقودة بين الطرفين عن المؤرخين، وأن ما كتب بعد ذلك هي تفسيرات لتلك النقاط التي تم طرحها من لدن كل طرف. ولعل أهمها بشكل عام ما يأتي:

١- إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين[2].

٢- أن يتخلى عبدالله بن سعود عن الحرمين الشريفين وما يتبعهما[3].

---

(1) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٠.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٧٨، إبراهيم بن محمد بن ضويان، تاريخ ابن ضويان، تحقيق إبراهيم الصقير، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ، ص٦٨.

(3) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩١، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٧٨.

٣- إنهاء التدخل العثماني في نجد بانسحاب طوسون باشا من القصيم[1].

٤- أن تمشي السابلة آمنة بين الطرفين، ويتعهد عبدالله بن سعود بتأمين طرق الحج، وعدم التعرض للقبائل[2].

٥- أن يحج كلٌ منهما آمناً[3].

٦- أن يعلن عبدالله التبعية الاسمية للسلطان العثماني، والدعاء له على المنابر[4].

ولكن يبدو أن الطرفين وصلا في النهاية إلى صيغة نهائية، كتبا بها عقداً كما تذكر الرسالة التي بعث بها الإمام عبدالله إلى محمد علي لإقرار

---

(1) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩١، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨، الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٦٨.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨، الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٧.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٧٨.

(4) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٦، وثيقة رقم ١٢٢، بدون تاريخ، بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩١، الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٦٨.

الصلح[1]، وعلى أن يُرسل الإمام عبدالله جماعة مـن أتباعـه كرهـائن
وقد انسحبت قوات طوسون باشا بالفعل إلى المدينـة المنـورة، وأرس
الإمام عبدالله بن سعود: عبدالله بن محمد بن بنيان[3] وعبدالعزيز بن
بن إبراهيم إلى مصر[4] في شوال ١٢٣٠هـ لإقرار الصلح مع محمد علي باشا[1].

---

(1) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤، وثيقة رقم ٣٣، بـدون تار
ولكن حسب أحداثها يبدو أن تاريخها في ١٢٣٠هـ.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-١٨ بتاريخ ٢١ شعب
١٢٣٠هـ.

(3) عبدالله بن محمد بن بنيان: من علماء الدرعية، وآل بنيـان مـن قبيلـة سـبيع، وق
وصفه ابن بشر بأنه صاحب الدرعية (وقد يكون القصد من ذلـك أنـه مـن ا
بنيان من أهل الدرعية تمييزاً له عن آخر يحمل نفس الاسم من غـير الدرعيـة) و
يعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، ويبدو أنه توفي في نجـد؛ لأنـه لم يـرد لـه ذكـر م
المنقولين إلى مصر بعد سقوط الدرعية. عبدالله بن عبدالرحمن البسام: علماء نج
خلال ثمانية قرون، الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ جـ٤، ص٣٩٤.

(4) عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم بن مشرف، ولد تقريباً حوالي عام ١١٩٠هـ حيـ
قدم والده في هذه السنة إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرعية وتـزوج ابـ
الشيخ، فهو ابن ابنة الشيخ، وقد تتلمذ على يد أبناء الشيخ عبدالله وحسين، وع
يد والده، حتى مهر في سائر العلوم، وتولى قضاء الدرعية في عهد الإمـام سعو
وابنه عبدالله، وبعد الهجوم على الدرعية ارتحل إلى عنيزة وتولى قضاءها، ثم رحل

وقد اختلفت المصادر حول إقرار هذا الصلح من قبل محمد علي، فنجد أن المصادر النجدية، تؤكد أن محمد علي وافق عليه وأقره[٢]، وأكدت الوثائق العثمانية هذا الموقف أيضاً[٣]. بل إن هناك وثيقة تؤكد أن محمد علي أرسل إلى السلطان العثماني، يطلب منه إقرار هذا الصلح بدوره، وقد ذكر فيها بعد أن شرح سوء أوضاع طوسون في القصيم، واضطراره إلى عقد الصلح «أنه أكد على تلك الشروط والتعهدات ووثقها، واكتفى بأن أخذ الرهائن وعاد إلى المدينة، وهو يرجو ويستصوب ربط ذلك بالموافقة عليه، حتى يُنَظم شأنه... وكتب إليّ في هذا... ولما كانت قضية الدرعية بعون الباري قد ظفرت بالتسهيلات التي تجعل الاستحواذ عليها في أي وقت ميسوراً؛ فإننا نلتمس

=

إلى سوق الشيوخ في العراق؛ فولاه شيخ المنتفق قضاءها، وتوفي بها حوالي ١٢٤١هـ، عبدالله البسام، علماء نجد، جـ٣، ص٣١٩-٣٢٠-٣٢١.

(1) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٤٩٣، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨-٣٧٩.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٧٨-٣٧٩، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٧٨.

(3) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم٤، وثيقة ٩، بتاريخ ٢٩ صفر دون ذكر سنة، رسالة عربية الأصل من عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا. دار الوثائق المصرية، وثائق ذوات، محفظة ٢، وثيقة ٢٥٨، بتاريخ ١ رمضان ١٢٣٠هـ.

المساعدة العلية بالموافقة على عروضه، حتى إذا بدر منهم مستقبلاً ما يخالف الرضا؛ فحينئذ ينظر فيما يجب، ونستأصل جذورهم بإقدام تام»[1].

كما أكد هذا الأمر الرجبي، وهو مؤرخ مصري معاصر لهذه الفترة، حيث ذكر أن محمد علي كان راضياً بهذا الصلح في ذلك الحين، مع عقد النية على نقضه في الوقت المناسب[2]. في حين أن بعض المؤرخين أكدوا أن محمد علي لم يقر هذا الصلح، ولم يكن راضياً عنه[3].

ويبدو أن الاختلاف في هذه الآراء، جاء نتيجة لموقف محمد علي بعد ذلك، فقد جرى الاتفاق على أن يُرسل عبدالله بن سعود جماعة من أتباعه كرهائن كل سنة لتجديد العهد[4]. فمن رواية ابن بشر يتضح أن موقف محمد علي قد تغير في السنة التالية، حينما أرسل عبدالله بن سعود

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩١، بتاريخ ٢٧ شعبان ١٢٣٠هـ.

(2) محمد خليل الرجبي، تاريخ الوزير محمد علي، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـ، ص١٣٥.

(3) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٤٩٣، مانجان، تاريخ الدولة السعودية ص١١٢، ١١٧، ١١٨، بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٦.

(4) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-١٨ بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٣٠هـ.

كلا من محمد بن حسن بن مزروع وعبدالله بن عون إلى محمد علي بهدايا ومراسلات تقريراً للصلح، «فوجداه قد تغير» ـ على حد تعبيره ـ[1]، فقد وضع محمد علي شروطاً قاسية على الإمام عبدالله بن سعود، فطالبه بالتخلي عن الدعوة السلفية، وأن يرد كل ما أخذوه من الروضة الشريفة، وأن يوافق على التبعية لحاكم المدينة المنورة، ويوافق على تسليم الدرعية لمن يُعَينه محمد علي حاكماً عليها، بحيث يكتفي بأن يكون شيخاً للبلد، وأن يتجه الإمام عبدالله إلى إستانبول، إذا طلب منه السلطان ذلك[2]. وهذه الشروط كما هو واضح: شروط تعجيزية غرضها رفض الإمام عبدالله لها، لتحقيق أمر مُبَيَّت عند محمد علي، وفعلاً لم يرضخ الإمام عبدالله لها.

أما بالنسبة للدولة العثمانية، فموقفها من هذا الصلح واضح وصريح، فقد رفضته قطعياً، وأمرت محمد علي بإتمام مسألة الدرعية في أقرب وقت[3].

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨١-٣٨٣، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٧٩.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١١٢، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة: (د.ن)، ط١، ١٣٤٠هـ/ ١٩٣١م، ص ٥٠١.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٦١ بتاريخ ١٢٣٠هـ «تقرير مجلس الشورى الذي رفض مفاوضات الصلح بين طوسون والسعوديين

وبناء على هذه الاختلافات، انقسمت آراء الباحثين حول هذا الموضوع بين من يرى أن هذا الصلح كان قائماً ورسمياً[1]، وبين من يرى أنه كان مجرد هدنة وقتية لمفاوضات صلح بين الطرفين لم تنجح في النهاية[2].

وقد أشارت المصادر[3] التي تؤيد إقامة الصلح، إلى أن هذا الصلح كان قائماً إلى أن انتقض في السنة التالية. وذكرت هذه المصادر أكثر من سبب لنقض هذا الصلح، فنجد أن عدداً من المصادر النجدية أشارت إلى أن سبب النقض هو قيام عبدالله بن سعود بعد خروج طوسون

ويأمر باستمرار القتال»، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤ وثيقة ٣٥، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ.

(1) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٨، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٤٣.

(2) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٠-١٤١، منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد الإمام عبدالله بن سعود، الرياض: دار الشبل، ط٢، ١٤١٤هـ جـ٤، ص٦٦، الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٦٩، عسة، معجزة فوق الرمال، ص٣١، أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٣٨٥هـ، جـ١، ص١١٧-١١٨.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨١-٣٨٢، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٧٨-١٧٩، الرجبي، تاريخ الوزير، ص ١٣٥، ابن ضويان، تاريخ ابن ضويان، ص ٦٩، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٠٥- ١٠٦.

باشا، بعمليات عسكرية واسعة النطاق، ضد المناطق والقبائل التي أعلنت ولاءها لمحمد علي. حيث أعد جيشاً كبيراً، يجمع بين صفوفه عناصر من البدو والحضر، من الأحساء وعمان ووادي الدواسر وجبل شمر والجوف، واتجه إلى القصيم واستولى على الخبراء والبكيرية وهدم أسوارهما. ثم قام بعمليات تأديبية واسعة ضد قبائل البدو الموالية لمحمد علي، حتى وصلت قواته إلى مناطق قريبة من المدينة المنورة. وفي طريق عودته أسر ثلاثة من رؤساء الرس، منهم أميرها شارخ بن فوزان الدهلاوي، واصطحبهم معه إلى الدرعية، مما أثار بعض العناصر الساخطة عليه في القصيم، فقصدوا محمد علي في مصر يستعدونه على عبدالله بن سعود، وقد عرفت هذه الغزوة باسم (محيط ومحرش)[1]، لأنه انتقض الصلح بسببها، فكانت سبباً مباشراً في تعجيل القتال من جديد، وإرسال الحملة بأسرع وقت[2]. وأشار الشيخ

(1) يفسر ابن بشر الذي سمى هذه الغزوة «محيط ومحرش» سبب التسمية بقوله: «وأحاط في هذه الغزوة على مياه القبلة الشمالية والجنوبية، وسميت هذه غزوة محيط ومحرش؛ لأنه حدث النقض من الروم بسببها»، فمحيط من أحاط على المياه، ومحرّش مأخوذ من اللفظ العامي النجدي حرّش بمعنى حرّض على القتال، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨٢.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٢، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥، عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٣٩.

عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - إلى أن سبب النقض هو إرسال عبدالله بن سعود رسائل إلى قبائل غامد وزهران، يطلب فيها أن ينضموا إليه مرة أخرى، ولكنهم بعثوا بهذه الرسائل إلى محمد علي، فلم يرض بذلك، لأنهم كانوا من القبائل التي وقع عليها الصلح بأن تكون في طرفه، مما أثار غضبه؛ فانتقض الصلح[1]. وقد أشارت رسالة من شريف مكة يحيى بن سرور إلى محمد علي بما يشابه ذلك، إذ ذكر له أن عبدالله بن سعود يكاتب بعض القبائل التي في طرفه، ويجمع منهم الزكاة، رغم ما نَصَّ عليه الصلح[2].

أسباب إرسال حملة إبراهيم باشا :

كما سبق، فقد حققت الدولة العثمانية هدفها باستعادة سيطرتها على الحرمين الشريفين، وانتزاعهما من أيدي السعوديين، ولكن السلطان العثماني محمود الثاني، وواليه على مصر محمد علي باشا، كانا يهدفان إلى تحقيق هدف آخر أهم، يتمثل في القضاء على الدولة السعودية الأولى في شبه الجزيرة العربية بشكل نهائي. فقد كانت أوامر الباب العالي

(1) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٤.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٢ك-٦٠ بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٣٠هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٢ك-٢٥ بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٠هـ.

الموجهة إلى محمد علي صارمة ومباشرة بالقضاء على قوة الدرعية، والقبض على الإمام عبدالله بن سعود؛ فقد ورد في وثيقة عثمانية عبارة عن تقرير لمجلس الشورى كان البند الثاني منه عن عقد طوسون للصلح مع السعوديين، ومما جاء فيه «أن إعطاء الأمر العالي لفئة الوهابي بالأمان سوف (ينشره) هذا بصورة أخرى للعربان ويتخذه الوهابي وسيلة لترويج عمله، وفي هذا محذور قائم» وقد وافق السلطان على الصيغة الواردة في التقرير، التي تتهرب من إقرار الصلح والأمان بوضوح، مكتفية بوقف الرهائن لدى والي مصر «مع استمرار قضاء المأمورية مع حلول وقتها»، وقد علق السلطان على هذا التقرير «لقد اطلعت على هذا التقرير وعلى مسوّدات الفرمان والتحريرات... وأن سبك المسوّدات جميل، فلتُبَيض على هذا الوجه بسرعة، ولتُرسل مع التاتار المعتمدين، وليُحَرر الجواب لوالي مصر كما ذكر في البند الثاني»[1]. وقد كانت وسيلته لتحقيق هذا الهدف، حملة عسكرية

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٦١ بتاريخ ١٢٣٠هـ «تقرير مجلس الشورى الذي رفض مفاوضات الصلح بين طوسون والسعوديين ويأمر باستمرار القتال»، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤ وثيقة ٣٥، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ.

جديدة، أسندت قيادتها هذه المرة إلى إبراهيم باشا[1] ابن محمد علي عام (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م).

لقد كانت قلة إمكانيات طوسون باشا القيادية من الأسباب التي جعلت محمد علي يرسل هذه الحملة الكبيرة، ذات القيادة الجديدة

(1) إبراهيم باشا: ولد في نصرتلي بالقرب من قولة في ألبانيا عام ١٧٨٩م/ ١٢٠٤هـ قدم إلى مصر عام ١٢٢٠هـ وقد تولى مناصب إدارية، فكان متصرفاً لدائرة جرجا، وقد كان قائداً لقوات والده في حروبه بدءًا من حملته على بلاد العرب، وحتى أرسله إلى حرب المورة عام ١٢٣٩هـ كما أرسله إلى الشام عام ١٢٤٧هـ وقد تنازل له والده عن الحكم عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م، ولكنه مرض بعد ٧ أشهر من تعيينه، فمات في نفس السنة.
فورستر سادلير، رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩، ترجمة أنس الرفاعي، تحقيق سعود بن غانم العجمي، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ ص ١٣٧، الزركلي، الأعلام جـ١، ص٧٠، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص٧٣.
وقد أحسن عبدالرزاق البيطار في كتابه: «حلية البشر» (١/ ١٥) عندما قال في ترجمته: «غشوم ظالم، وظلوم غاشم، خليفة الحجاج في أفعاله، وناهج منهجه في أقواله وأحواله، محتوٍ على الفساد، منطوٍ على الإنكاد، مجبولٍ على الغلظة والقساوة، مجعولٍ من الفظاظة، معدوم من اللطافة والطلاوة ـ إلى أن قال ـ سفاكٍ لدماء المسلمين...» إلخ.

المتمرسة، وإعفاء طوسون باشا من مهماته واستدعائه إلى مصر[1].

كما كانت عملية اختراق الصحراء في نجد الصعبة والشاقة من الأسباب التي دعته لإرسال هذه الحملة. فقد كانت هذه العملية تحتاج إلى حملة كبيرة باستعدادات ضخمة[2]، وكانت هذه الاستعدادات بحاجة إلى وقت طويل لتخرج بالقوة المطلوبة، وكانت قوات محمد علي الموجودة في شبه الجزيرة العربية غير كافية للقيام بهذه المهمة، ورأى محمد علي أن تتوقف هذه القوات عن الحرب، حتى لا تستنزف قواها؛ إلى أن تخرج الحملة الجديدة. وقد وضحت الوثائق العثمانية وجهة نظر محمد علي هذه في أكثر من موضع[3]، منها ما ذكره في رسالة إلى السلطان

(1) عبدالفتاح أبو علية، دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامة سي، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ، ص٥٧، الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٦٠، الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٠، بيير كريبتس، إبراهيم باشا، ص ٢٦، الرافعي، عصر محمد علي، ص١٣٧، فاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال ماشطة، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م، ص ١٧٤.

(2) بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص٢٧، فاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ص ٧٤.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٤٠، بتاريخ ١٢٣٠هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٣٠، بتاريخ ١٢ رمضان ١٢٣٠.

من «أن السيطرة على الدرعية تحتاج إلى إعداد شامل لأقصى درجة... وتنظيم المهمات والتجهيزات القوية التي ينتج عنها نتائج حسنة»[1].

كما كان محمد علي مدفوعاً بعوامل أخرى هامة لإرسال هذه الحملة، تمثلت في الدوافع الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وهي كالتالي:

أولاً: الدوافع الدينية:

كانت الدولة العثمانية وواليها على مصر محمد علي، يصوران مهمة القضاء على الدولة السعودية كمهمة دينية بحتة، غرضها ـ في نظرهم - خدمة الإسلام والمسلمين وحماية الحرمين الشريفين!! وقد اتضح ذلك من خلال المراسلات التي كانت تدور بينهما؛ من أمثلة ذلك «أن الخدمة الجليلة التي لم يوفق إلى تسجيل مثلها أي فرد من أفراد أسلافكم الكرام، والتي اتخذتم منها ذخراً للفخر والسعادة في الدنيا والآخرة، حيث بذلتم في سبيل آل بيت رسول الله الجهد العظيم»[2].

ويبدو أن تصويرهم هذه المهمة بهذا الشكل كان نابعاً من مخالفتهم لمبادئ الدعوة السلفية، وخوفهم من انتشارها في العالم الإسلام،

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٢٢٢. بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٠هـ.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ١٢، بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٣٤هـ.

وبالتالي تقوية النفوذ السعودي، حيث كانوا يدركون أهميتها ودورها البارز في القوة السعودية، فكان لابد مع القضاء على الدولة السعودية القضاء على الدعوة السلفية التي قامت على أساسها تلك الدولة. فقد كانت أوامر الباب العالي رغم استعادة الحرمين في تلك المدة، واضحة لمحمد علي في هذا الصدد، فقد ورد في إحدى الوثائق[1] ما نصه: وجوب صرف السعوديين «عما ألفوه من الاعتقادات... وإصلاحهم بالسيف».

ومما يوضح دوافع محمد علي في هذا الأمر ما ذكره الكاتب الفرنسي المعاصر لعهد محمد علي فولابل: إن من بين أسباب حماس محمد علي للقضاء على الدولة السعودية خوفه من انتشار مبادئ الدعوة السلفية في مصر، ويروي أن حواراً جرى بين علماء نجديين وعلماء الأزهر سنة ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ أُفْحم فيه الأزهريون؛ مما كان مدعاة لخوف محمد علي من الدعوة، فحرص على القضاء عليها في أقرب وقت[2].

---

(1) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٣٨، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠هـ.

(2) العقاد، الحملة المصرية، ص ١١٧.

ثانياً: الدوافع السياسية:

أ- محافظة محمد علي على المكانة التي حصل عليها في الدولة العثمانية، بإعادته الحرمين الشريفين إلى حكمها، وسعياً منه لزيادة هذه المكانة، ليس فقط باسترجاع الحرمين، بل بالقضاء على المناوئين للدولة، مما سيعطيه مكانة عظيمة تساعده على تحقيق طموحاته. ومما يدلل على ذلك ما حصل عليه محمد علي وابنه إبراهيم من التكريم والإجلال والمناصب إثر[1] قيامهما بهذه المهمة[2]. ولقد اتضح ذلك الدافع من خلال توجيهات السلطان العثماني لمحمد علي ببذل المهمة في القضاء على الدرعية، ومن ذلك قوله له: «تبذلون الهمة أيضاً بشأن استحصال أسباب حسن صيتكم وشهرتكم المضبوطة من طرف جميع الأقران، والروية بخصوص تزايد واستقرار لمعان شمس التوجهات

---

(1) أعطي إبراهيم رتبة باشا بما يوازي رتبة والده، كما أسندت إليه ولاية جدة، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٠، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٢.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ١١، بتاريخ ٢٣ محرم ١٢٣٤هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ٢٢، بتاريخ ٢٥ صفر ١٢٣٤هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٦، وثيقة ٣٣، بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٢٣٤هـ.

الملكية الساطعة بحق فخامتكم من جديد»[١].

ب- المحافظة على الحرمين الشريفين، وتأمين انتصاره في الحجاز، وليس أدل على ذلك من الأوامر السلطانية، التي كانت تدعوه دائماً للمحافظة على الحرمين، فقد وردت مكاتبة من السلطان إلى محمد علي يحثه فيها على «المداومة على إرسال العسكر والذخيرة والعمل على حراسة الحرمين»[٢]. كما ورد في مكاتبة أخرى «أنه وإن صار تصفية وتطهير الحرمين من وجود الخوارج بهمم فخامتكم الكامنة، إلا أن أمن طريق الحج وسلامة حجاج المسلمين على أي حال يتوقف على تخريب بيوت الخوارج الكائنة بالدرعية، لعدم وجود الأمنية التي تكفي لتوطين النفس في الأقطار الحجازية»[٣]. وفي وثيقة أخرى بيّن فيها محمد علي نفسه أهمية هذه الحملة في المحافظة على الحجاز «أنه إذا لم يحضر جيش كبير فإن الأقطار الحجازية سوف لا تكون آمنة من

---

(1) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٣٨، بتاريخ ١٩ شوال ١٢٣٠هـ.

(3) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ

شرهم»[1].

ج- إن بقاء الدولة السعودية، حتى وإن خضعت للدولة العثمانية، سيكون حائلاً دون استقرار حكم محمد علي في شبه الجزيرة العربيـة[2]، إذ إن وجود هذه القوة المنافسة في المنطقـة قـد يتـسبب في تـأرجح ولاء القبائل ما بين الحكم العثماني ـ المـصري، والـسعودي، ممـا سـيؤدي إلى اضطراب الأوضاع وخروجها عن السيطرة، فضلاً عن احتمال تقارب العرب لبعضهم وانضمام القبائل للسعوديين[3]، مما يـساعد عـلى تقويـة الحكم السعودي، وبالتالي إخراج محمد علي من شبه الجزيرة العربية، أو إضعاف نفوذه فيها.

د-تحقيق أهداف استراتيجية توسـعية في المنطقـة، حيـث أتـاح لـه الاستيلاء عـلى الحجـاز أولاً فرصـة التوسـع في شـبه الجزيـرة العربيـة لحسابه الخاص، فكانت محاولـة التوسـع في أمـلاك الدولـة الـسعودية الأولى في نجد والأحساء هي الهدف الجديد في هذه المرحلة.

هـ- اتخاذ هذه الحملة حجة جديدة لضم ولايـة الـشام إلى مـصر،

---

(1) دارة الملـك عبـدالعزيز، الوثـائق العثمانيـة، وثيقـة ٥/ ١-٤٦ (H.H 19648B) بتاريخ ٢١ محرم ١٢٣١هـ.

(2) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٠-١٤١.

(3) الرجبي، تاريخ الوزير، ص ١٥٢.

فالبرغم من أنه قد سبق وسعى لهذا الغرض قبل إرسال الحملات الأولى، فإن الدولة العثمانية لم تُلق لطلبه بالاً في تلك المرحلة، وقد زاد إلحاحه على هذا الطلب مع إرسال حملة إبراهيم باشا القوية والكبيرة، التي تحتاج إلى استعدادات ضخمة لتحقيق أهدافها المرجوة. كما أنه اقترح إخراج جيش من الشام لقربه من نجد، وهذا أيضاً يتطلب ضم الشام إلى ولايته، فكان ضغطه على الدولة بضم الشام أكبر من ذي قبل؛ لإنفاذ هذه الحملة[1].

ثالثاً: الدوافع الاقتصادية:

وقد تمثلت هذه الدوافع في عدة مصالح وأهداف اقتصادية تستطيع حكومة محمد علي الحصول عليها في حال القضاء على الدولة السعودية، واستقرار حكمها في شبه الجزيرة العربية ومن أهمها ما يلي:

أ-الحصول على عائدات مالية مختلفة أثناء الحملة وبعدها، ومن أهمها:

١ - الغنائم ومصادرة الأموال:

كعادة المنتصر دائماً يغنم ما تطال يده من أموال المغلوب، وعليه

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٩٤ (H.H19578) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

كانت انتصارات إبراهيم باشا المتعددة خلال حملته ستؤهله للاستيلاء على ما يقع تحت يده من أموال السعوديين، وكان سيستعين ببعض هذه الأموال في تموين جيشه وخدمته[1]. وقد اختلفت أنواع الغنائم التي استطاعت القوات المصرية الحصول عليها بالفعل فيما بعد، ما بين أموال وأسلحة وحيوانات ومحاصيل زراعية وبضائع وأطعمة وغيرها[2].

كما كانت مصادرة الأموال من العائدات والمكاسب الاقتصادية الهامة التي حصلت عليها قوات إبراهيم باشا، فكانت مصادرة أموال آل سعود في الدرعية والأحساء[3]، ومصادرة أموال بعض الأسر الغنية. ومن خلال الروايات يتضح أن حجم هذه الغنائم والمصادرات كان كبيراً، ولعل ما ذكره لوريمر[4] عن أن القوات المصرية استولت من بيت مال الأحساء فقط ما يقارب مليون قرش، دليل على حجم هذه الغنائم.

---

(1) فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦٩.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ٨٣، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٢٩-٤٣٠-٤٣٧-٤٣٨.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٢٩-٤٣٠، فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٧١.

(4) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص١٨٦.

كما يدل على حجم هذه الغنائم وعظمها واحتمالات طمع محمد علي فيها: الثراء الذي كانت تعيشه الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية قبل سقوطها، فقد وصف ابن بشر الدرعية ومستوى المعيشة المرتفع لدى سكانها الذين ظهرت عليهم علامات الغنى في الركوب والسكن، كما تحدث عن سوقها التجارية الضخمة، وانفتاحها على التجارة مع الأقطار الأخرى[1].

هذا فضلاً عن الثراء الذي حصل عليه كثير من الجنود المصريين، من خلال ما حصلوه من نهب وغرامات وغيرها[2].

٢- الزكاة والضرائب:

وهي من العائدات الاقتصادية الهامة التي قد تُطمع محمد علي في الدرعية، فقد كان حجم الزكاة التي تؤخذ من البلدان والقبائل البدوية في عهد الدولة السعودية الأولى كبيراً، بحيث كانت من أهم مصادر

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(2) ألويس موسيل، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة وتعليق سعيد فايز السعيد، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٠٠-١٠١.

الدخل في الدولة[1]، وبسقوط الدولة السعودية في قبضة محمد علي آلت جميع عائدات الزكاة له، ودليل أهمية هذا الأمر عند حكومة مصر حرص إبراهيم باشا على تنظيم جمع الزكاة في البلدان والبادية، كلٌّ في منطقته، وحذرهم من التقصير في جمعها[2]. كما أنه عمل على نشر حاميات في البلدان النجدية، لضمانات أمنية من جهة، ولجمع الزكاة وغيرها من الضرائب والغرامات من جهة أخرى[3].

ومن الدلائل الهامة التي تشير إلى اهتمام محمد علي بهذا المورد الاقتصادي الهام إرساله حملة حسين أبي ظاهر إلى نجد عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م، فقد أورد ابن بشر أنه «قال للناس في نجد: إنما جئت لأقاتل البدو حتى يؤدوا الزكاة وأرد المظالم للحضر ولا أريد إلا الزكاة»[4]، ويذكر في موضع آخر أنه رحل إلى جبل شمر وذكر لهم أنه

---

(1) قدر بوركهارت مجمل ما تحصل عليه الدولة السعودية من الزكاة بحوالي مليوني ريال فرنسي، بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص٦٤، وقدرها صاحب «لمع الشهاب» بما يقرب من ذلك، لمع الشهاب، ص ١٧٩.

(2) أبو علية، محاضرات، ص ٣٣٤.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٩، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٥٤، الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٢٩، أبو علية، محاضرات، ص ٢٢٤.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص٤٦١.

لا يريد إلا الزكاة «فطلب منهم الزكاة من رحيل الباشا عن نجد إلى يومه»[1].

وتشير الوثائق المصرية إلى أن محمد علي وابنه إبراهيم كانا يتعاملان بعنف مع من يمتنع عن أداء الزكاة والضرائب الأخرى التي تُطلب منهم، فكانوا يأمرون مسئوليهم في شبه الجزيرة العربية أن يأخذوا منهم الزكاة بالقوة «ويؤدبوهم ويجبوا منهم بضعة أضعاف زكاتهم»[2]، مما يدلل على أهمية هذا المورد الاقتصادي لمحمد علي، لتثبيت حكمه على شبه الجزيرة العربية.

وقد يشكك البعض في أهمية هذا المورد كدافع في تسيير حملة إبراهيم باشا على فرض عدم إدراك محمد علي لحجم هذا المورد وأهميته في ذلك الوقت، وللرد على ذلك هناك وثيقة[3] تؤكد حرص محمد علي -الذي كان قد استولى على الحجاز في تلك المدة- على جمع زكاة أهل الحجاز وبواديه في رسالة محافظ مكة من قبله، يخبره فيها أنه نفذ أوامره

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٤٦٢-٤٦٣.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر ١٠، وثيقة رقم ٧٩، بتاريخ ١ ربيع الآخر ١٢٣٧هـ، أبو علية، محاضرات، ص ٢٣٧.

(3) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة ١١٧، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ.

بتعيين مشايخ جدد على جميع القبائل وأنه خصص لهم الزكاة اللازمة من بلادهم. وبما أن قبائل نجد وبلدانه في سعة بلاد الحجاز وأكثر فلابد أنه على علم بما سيناله ـ في حال انتصاره ـ من زكوات وضرائب تُجمع من تلك القبائل والبلدان.

ب- الاستيلاء على الأحساء والوصول إلى الخليج العربي:

ذكر بوركهارت[1] أن محمد علي أبدى استعداده للصلح مع الإمام عبدالله بن سعود قبل قيام حملة إبراهيم باشا في حال تخلى له عن منطقة الأحساء التي تعد أهم مناطق السعوديين وأخصبها، إضافة إلى موقعها على الخليج العربي[2]. مما يدلل على أن رغبة محمد علي في الوصول إلى هذه المنطقة كان دافعاً قوياً للقضاء على قوة الدرعية، خاصة أنه سبق له أن حاول الحصول عليها بطريق المفاوضات، ولم تنجح المحاولة، فلم يبق أمامه سوى طريق القوة.

---

(1) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١٩٥.

(2) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٦٩، جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ترجمة محمد أمين عبدالله، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت)، ص ٢٢٦.

والوصول إلى الخليج العربي هدف استراتيجي اقتصادي هام بالنسبة لأي قوة عظمى في المنطقة العربية بأكملها، وبما أن محمد علي صاحب طموح كبير، وكان يسعى لتكوين إمبراطورية كبرى في المنطقة، فكان لابد له من السيطرة على الخليج العربي، وبالتالي إحكام السيطرة على الطرق البحرية التجارية في شبه الجزيرة العربية، إذا إنه سبق وسيطر على طريق البحر الأحمر باستيلائه على الحجاز، وبالتالي سيطرته التامة على تجارة السلع الهندية والبن وغيرها[1]، مما يساعده على مد نفوذه فيما بعد إلى اليمن، وبالتالي يكون منافساً لبريطانيا في السيطرة على تلك البحار، وعلى تجارتها العالمية. وحتى يتحقق هذا الهدف كان لابد من القضاء على القوة الحاكمة لهذه الأجزاء من شبه الجزيرة العربية، والمتمثلة في قوة الدرعية.

كما كانت حملة إبراهيم باشا سبباً جديداً في إجابة السلطان لمطالب محمد علي المالية من الدولة[2].

ولعل هذا السرد للدوافع الاقتصادية ينفي ما يدعيه بعض

---

(1) فاسلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٦٨.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٥٣، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٢٣١هـ، دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا محفظة ٤، وثيقة ١١٤، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ.

الباحثين من أن هذه الحملة قد أرهقت الخزانة المصرية، وأن دافع محمد علي في قيامها كان خدمة الدولة العثمانية وتنفيذ أوامر الباب العالي فقط[١]، وعلى فرض أن هذه الحملة أرهقت الخزانة المصرية، فعلاً فإنها قد جنت بانتصارها أضعاف ما خسرته.

رابعاً: الدوافع العسكرية:

سبق وذكرنا أن تكليف محمد علي بحرب السعوديين في شبه الجزيرة العربية كان ذا فائدة كبيرة لمحمد علي، الذي رأى في هذه الحروب فرصة لتدريب جيشه على معارك الصحراء خارج مصر، كما رآها وسيلة للتخلص من القادة والقوات التي يشعر أنها خطرٌ يهدد مركزه في مصر.

وكان محمد علي قد قرر بعد عودته من الحجاز في شعبان ١٢٣٠هـ/ أغسطس ١٨١٥م، أن يفرض على جنوده الألبان النظام الجديد على الطريقة الفرنسية، إلا أن جنوده كانوا رافضين لهذا النظام، وقد تآمروا على قتله، ولكنه علم بهذه المؤامرة في الوقت المناسب[٢].

---

(1) محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٦هـ، ص ٣٧.

(2) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٤٨١، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص

ونتيجة لذلك قرر أن يتخلص منهم بإرسالهم إلى شبه الجزيرة العربية في حملة إبراهيم باشا[1]، فقد كانت هذه طريقته في التخلص منهم خلال سنوات صراعه السبع مع السعوديين؛ حيث أرسل منهم موجة خلف أخرى في هذه الحرب، وبذلك تخلص عملياً من مضايقاتهم[2]. كما كانت هذه الحملة الكبيرة فرصة لمحمد علي لإعلاء مكانة مصر الحربية في الدولة العثمانية في تلك المدة[3].

استعدادات الحملة:

لم تكن النتائج التي توصل إليها محمد علي في حملاته السابقة على الدولة السعودية لترضيه وتحقق طموحه. لذا صمم على أن يتخذ كافة التدابير اللازمة للانتصار في هذه الجولة، مستفيداً من تجاربه السابقة في

١٠٦، الرافعي، ص ٣٢٢.

(1) عبدالرحمن زكي، أعلام الجيش والبحرية في مصر أثناء القرن التاسع عشر، القاهرة: مطبعة الرسالة، (د.ت)، ص١٩.

(2) محمد محمود السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م، ص ١٦، خالد فهمي، كل رجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة شريف يونس، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ١٢٢-١٢٣.

(3) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٢٠.

حرب السعوديين، فقضى أكثر من ستة أشهر[١] في الاستعداد للحملة، وقد تمثلت استعداداته في الإجراءات التالية:

١- متابعة الأوضاع في عسير بعد إخضاعها بالقوة، ومحاولة السيطرة على قبائلها، حتى يتسنى له مهاجمة الدرعية بعد ذلك وهو مأمون الظهر[٢].

٢- الدعاية للحملة وإبراز قوتها، في محاولةٍ لإرهاب السعوديين وإضعاف معنوياتهم[٣]، حتى إن محمد علي أتاح للمبعوثَيْن اللذَيْن بعثهما الإمام عبدالله بن سعود للتفاوض معه في مصر، النظر لحجم استعدادات الحملة ومدى قوتها[٤]، حتى يعملا على نقل أخبارها إلى الدرعية، ونشرها بين قواتها لإرهابهم وتخويفهم من مواجهتها،

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٢، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٢، وقد ذكر إدوارد جوان أن مدة الاستعدادات بلغت ٨ أشهر، ادوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٠.

(2) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٢، عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣٢٩.

(3) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص٣٩.

(4) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٠٧-٥٠٨.

شاناً بذلك حملة إعلامية قوية تسبق قيام الحملة العسكرية، لتسهيل مهمتها وإنجازها بأسرع ما يمكن.

٣- الاتصال بالقبائل البدوية في شبه الجزيرة العربية، واستمالتهم إلى جانب القوات المصرية، حيث عمل محمد علي على مراسلة مشايخ القبائل البدوية، قبل إرسال الحملة طالباً منهم الخضوع لإبراهيم باشا، ومساعدته بتقديم ما يحتاجه من مؤمن ووسائل نقل، وحماية قوافل الإمدادات من النهب[١]. وقد استخدم في سبيل ذلك أساليب مختلفة، إما باستمالتهم بالهدايا والرشاوي، أو بإرهابهم وتخويفهم من قوة إبراهيم باشا والعقاب الذي سينالونه في حال خروجهم عليه[٢]. كما قام محمد علي بإرسال الشريف راجح[٣]

---

(1) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٩٨، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢١، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٠٨، ضاري بن رشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٤.

(2) جلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٦.

(3) الشريف راجح بن عمرو الشنبري، كان أحد قواد ومعاوني الشريف غالب، وعندما قبض محمد علي على الشريف غالب خاف راجح وهرب إلى القوات السعودية وحارب معها، ولكن محمد علي استطاع بعد ذلك أن يستميله إلى جانبه، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٣٢-٣٣٤-٣٣٩-٣٤٠، أحمد زيني

برفقه إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة، للتأثير في قبائلها بنفوذه الشخصي، ليكسب إبراهيم باشا ثقتها، وبالتالي يضمن مساعدتها له[1].

٤- ميزانية الحملة ونفقاتها: تتطلب عملية إرسال هذه الحملة ميزانية ضخمة ونفقات هائلة، فعلى الرغم من الأموال التي كانت ترسلها الدولة العثمانية لمساعدة محمد علي لإنجاح مهمته الخاصة بالقضاء على الدرعية، فقد كان محمد علي يعمل من داخل مصر على تأمين ما يكفي لإنجاز هذه الحملة بالشكل المطلوب، فعمل على جباية ضرائب جديدة من الفلاحين وأرباب الحرف[2]، كما استعان ببعض التجار لتموين هذه الحملة[3]، وعمل على مصادرة أموال

= دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ، ص ٣٠٠.

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٠.

(2) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص ٥٢٥.

(3) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص ٥٤٧.

بعضهم لأتفه الأسباب[1].

وقد أشار سادلير ـ على الرغم من ضخامة ميزانية هذه الحملة ـ أن الجنود كانوا مسئولين عن تحمل نفقات أنفسهم وأسلحتهم الخاصة[2]، ومن الواضح أن هذا الأمر ينطبق فقط على الجنود المرتزقة والبدو المشاركين في الحملة، مقابل ما سوف يحصلون عليه من مخلفات الحرب والغنائم، أما الجنود النظاميين فالدولة متكلفة بنفقاتهم.

وبناء على ما سبق زودت الحملة بأموال ضخمة[3]، لاستعمالها في استمالة البدو، ودفع الرواتب، واستئجار الإبل ومصاريف النقل[4] وما

---

(1) عمل محمد علي على مصادرة أموال المعتمد المالي للأقباط في مصر: المعلم غالي وأخيه شكاً منه أنهما تلاعبا في حسابات أموالها، وزج بهما في السجن، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٥.

(2) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٩.

(3) دحلان، خلاصة الكلام، ص ٣٠١، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص٧٦.

(4) ذكر ابن بشر أن أجرة نقل الرصاصة الواحدة (من قنابل المدافع) من مصر إلى الدرعية بلغت ثمانية ريالات، وكان الجمل يحمل منها ست قنابل فقط، مع العلم أن القوات المصرية استخدمت منها الآلاف في هذه الحملة، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٨.

إلى ذلك من نفقات.

٥- التموين الغذائي والأمتعة: زودت الحملة بمخزون غذائي هائل، استعداداً لطول مدة الحرب وبُعد المسافات، فحملت كميات هائلة من البقسماط والقمح والطحين والفول وغيرها من أنواع الطعام[1]، ويصف ابن بشر اهتمام محمد علي بتزويد إبراهيم باشا بكل ما يلزم من غذاء؛ فيذكر أنه «حتى البصل أتى إليه من مصر»[2]. كما تم تزويد الحملة بكل ما تحتاجه من مستلزمات التخييم، من خيام وفرش للنوم وقِرَب للماء وأواني للطبخ والأكل وغيرها من الأمتعة[3]، فضلاً عن العلف والشعير المخصص للحيوانات[4].

٦- البعثة الطبية: حرص إبراهيم باشا على وجود بعثة طبية في حملته،

(1) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة رقم ١٤٩، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٢.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٨.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٢، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٨، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٠.

(4) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٤٩، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ.

مهمتها منع تفشي الأمراض بين جنوده، وإسعاف المصابين والجرحى منهم، وذلك تحاشياً لما حصل في جيش أخيه طوسون، حيث تفشت الأمراض بين أفراده؛ مما كان له أثر كبير في إضعاف تلك الحملة[1]. ولذلك كوَّن إبراهيم باشا بعثة طبية على رأسها الطبيب الإيطالي أنطونيو سكوتو، وبعضوية كل من أندريا جنتلي وتوديسكيني وهما جراحان، وسوشيو وهو صيدلي[2]. وزودها بكل ما تحتاجه، من أدوات طبية مختلفة علاجية أو جراحية.

٧- الأسلحة: زودت الحملة بأنواع مختلفة ومتقدمة من الأسلحة وآلات الحرب المستخدمة في تلك الفترة، ومن أهم أنواع هذه الأسلحة: المدافع بأنواعها والتي من أهمها:

- القبوس، والكولنبير، ومدافع الجاب، والهاون، وهي مدافع ثقيلة وكبيرة.
- مدافع الجرخة، وهي مدافع صغيرة سهلة الحركة.

---

(1) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٣١-١٣٢، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ٧٦.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٩، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١١.

- مدافع الصحراء، المخصصة لمعارك الصحراء المفتوحة، وتعرف بمدافع الميدان(1).

وقد قام محمد علي عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، بإنشاء مصنع مخصص لصناعة المدافع بالقلعة، ويسمى هذا المصنع الطوبخانة(2)، لتزويد الحملة بما تحتاجه من المدافع. إلا أن محمد علي كان يستورد أغلب مدافعه من أوروبا، عن طريق التجار الإفرنجيين في مصر(3).

كما زودت الحملة بأعداد هائلة من القذائف والبارود والذخائر(4).

وكان محمد علي قد عمل على إقامة مصنع في نفس هذه السنة لصناعة

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٢٠٢، وثيقة ٥/ ١-٧٥ (H.H19559) بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ دار الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-١٢٧ (H.H19591) بتاريخ ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٩٣ (H.H19606) بتاريخ ١٢٣١هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٢٣٦ (H.H19606) بتاريخ ١٢٣٣هـ

(2) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٥٢٥.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-١٢٧ (H.H19591) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(4) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٢، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٨.

البارود في جزيرة الروضة، لتزويد حملة إبراهيم باشا بما يلزم منه[1]. هذا فضلاً عن الأسلحة الشخصية من بنادق، ومسدسات، وأسلحة بيضاء، وغيرها.

٨- جمع العساكر وأفراد الحملة: عمل محمد علي على جمع عساكر هذه الحملة في معسكرات مختلفة، ويذكر سادلير أن المجموعة الأولى من الجنود كانت قد وضعت نفسها تحت تصرفه بصفتهم متطوعين، ولكن العدد لم يكن كافياً لذلك أجبر جميع الجنود الذين كانوا تحت الخدمة بمتابعة خدمتهم، وأصدر أمراً بعدم إعفاء أي منهم من الخدمة العسكرية[2]. هذا فضلاً عن إرسال فرقة الجيش النظامي الحديث، الذي عمل محمد علي على تكوين النواة الأولى منه عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م[3].

---

(1) كان البارود يستورد من إنجلترا، وقد أصبح البارود المصري يضاهي البارود الإنجليزي، الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص ٥٢٥.

(2) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٨.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٠٦، الرافعي، عصر محمد علي، ص ٣٢٢، جلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٦، خالد فهمي، كل رجال الباشا، ص ١٢٢-١٢٣.

كما ألحق بالجيش عدداً من أصحاب الصنائع والحرف المختلفة[١]، من حدادين ونجارين وطباخين وغيرهم ممن تحتاجه الحملة في صيانة الأسلحة والمعدات وإقامة المعسكرات وخدمتها، ويذكر مانجان أن إبراهيم باشا في طريقه إلى الحجاز توقف في أسيوط وجمع ألفين من الفلاحين ضمهم إلى جيشه للعمل على خدمته[٢].

٩- تدريب القوات العسكرية للحملة: حرص محمد علي على تدريب قواته تدريباً جيداً، خاصة بعدما لاحظ الكثير من المآخذ على هذه القوات، سواء في طبيعة الجنود، أو مستوى تدريبهم وانضباطهم. لذلك أقام معسكرات للتدريب بين القاهرة وطره وفي الصعيد وغيرها، شهدت تدريبات جادة لهؤلاء الجنود، في محاولة لضبطهم من جهة، وتدريبهم على تحمل معارك الصحراء من جهة أخرى[٣].

---

(1) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص٥٥١.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٢.

(3) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٠٧-٥٠٨، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠م، ص ٦٥، جلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤١٦.

قادة الحملة:

كان من المفروض أن يخرج محمد علي على رأس هذه الحملة بناء على أوامر الباب العالي، ولكن محمد علي لم يستطع الخروج، وتحجج لدى السلطان بأعذار تتعلق بصحته، حسبما تذكر الوثائق العثمانية، حيث أكد في رسالته للسلطان عجزه عن الخروج على رأس هذه الحملة، وأنه اختار ابنه إبراهيم ليحل مكانه[1]، ويبدو أن محمد علي كان يخشى الخروج من مصر، خوفاً من أن يطمع أحد منافسيه في ولايته، ويستغل فرصة غيابه، ويقنع السلطان العثماني بعزله. هذا فضلاً عن خوفه من حملات بريطانية أو فرنسية جديدة على مصر[2].

بعد وفاة طوسون باشا القائد العام للحملات المصرية في الجزيرة العربية، تم اختيار إبراهيم باشا لقيادة الحملة الجديدة نتيجة ما يتميز به من صفات أهلته في نظر والده للقيام بهذه المهمة، فقد ذكر عنه رغم صغر سنه ـ إذ لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره ـ أنه يتصف بالشجاعة والإقدام، وأنه كان صلب العود شديد البطش ومتفانياً في طاعة والده[3]، خاصة مع ما أبداه من مقدرة وبراعة في حكم الصعيد.

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٤٧ و٥/ ١-١٩٠ (H.H19588) تاريخ ٣ ربيع الآخر ١٢٣١هـ.

(2) الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٣٨.

(3) البطريق، ذكرى البطل، ص ١١-١٢.

كما عَين إلى جانبه عدداً من القادة على بعض الفرق التي تكوّن منها الجيش، ومن أهمها فرقة الفرسان المغاربة، وكان على رأسها حسن الكاشف أو القبرصي(١)، وفرقة المدينة التي كان على رأسها أوزون علي(٢). كما عين محمد علي بعض القادة الصغار ويسمون البكباشية، وهم الذين يكونون على رأس ١٠٠ أو ١٥٠ من الجنود، وهي رتبة عسكرية تركية، وقد ذكر محمد علي أنه قام بتعيين هؤلاء ليكونوا مع خيالة البدو مرافقين لهم، ويكونوا مساعدين لهم من الخلف في حال غزوهم(٣)، ومن هؤلاء البكباشية: قاسم أغا وبابا مصطفى وإسماعيل أغا(٤). هذا فضلاً عن قادة الإمدادات التي كانت تصل تباعاً إلى الحملة طول مدة بقائها في شبه الجزيرة العربية. كما كانت قيادة فصائل قبائل

---

(1) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٠، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٤٧ و٥/ ١-١٩٠ (H.H19588) تاريخ ٣ ربيع الآخر ١٢٣١هـ.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٤٧ و٥/ ١-١٩٠ (H.H19588) تاريخ ٣ ربيع الآخر ١٢٣١هـ.

(4) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٣، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٦٥.

البدو المشاركة في الحملة تحت قيادة شيوخها أو أبنائهم[1].

سير الحملة:

بعد أن استكملت الحملة كافة استعداداتها، بدأت بالتحرك من مصر إلى شبه الجزيرة العربية، لتحقيق هدفها بالقضاء على الدولة السعودية الأولى في الدرعية. وكانت أولى تحركات الحملة قوة مكونة من خمسمائة[2] فارس من المغاربة بقيادة حسن الكاشف، اتجهت براً إلى السويس، ومنها إلى ينبع؛ لتظل هناك في انتظار قدوم إبراهيم باشا مع بقية الحملة[3].

في حين اتجهت قوة مكونة من ألفين من المشاة بقيادة البكباشية قاسم أغا وبابا مصطفى وإسماعيل أغا في النيل إلى قنا في انتظار انضمام إبراهيم باشا إليهم[4]، كما أمر محمد علي بنقل المؤن والذخائر والمعدات

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-٤٧ و٥/ ١-١٩٠ (H.H19588) تاريخ ٣ ربيع الآخر ١٢٣١هـ.

(2) يذكر سادلير أنهم مائتا فارس فقط، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٩.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص٦٥، أحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، الرياض: دار الزهراء، ١٤١٦هـ، ١١٦.

(4) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي،

الحربية إلى قنا بالمراكب عبر النيل أيضاً[١].

وفي ١٠ شوال ١٢٣١هـ/ ٣ سبتمبر ١٨١٦م[٢]، غادر إبراهيم باشا القاهرة مبحراً عن طريق النيل إلى قنا، حيث اجتمع بجنوده هناك[٣]. وانصرف من فوره إلى تدبير أمور شحن معدات الحملة، حيث عمل على تدبير ستة آلاف جمل قدمها له عرب العبابدة لشحن الأمتعة

=

ص ٦٥.

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٢.

(2) إدوارد جوان يذكر أن خروجها في ٥ سبتمبر / ١٠ شوال ١٢٣١هـ، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١١، ونقل عنه ذلك عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٦٥، والبطريق، ذكرى البطل، ص ١٢.

(3) ذكر الدكتور عبدالرحيم في كتابه الدولة السعودية الأولى، ص ٣٤٠، «أنه بعد أن استكمل جميع معدات الحملة اتجهت إلى ينبع لتبقى هناك إلى حين وصول القائد العام، الذي أبحر صوب ينبع في ١ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٨١٦م، فوصل إليها بعد ثلاثة أيام» وقد كان مرجعه في هذه المعلومات كتاب التاريخ الحربي للدكتور عبدالرحمن زكي، وفيلبي. وبالرجوع إلى هذه المراجع يتضح أن ما ذكره لا يطابق ما وُجد فيهما؛ إذ إن إبراهيم باشا خرج مع حملته من مصر ولم تسبقه سوى فرقة حسن الكاشف؛ كما هو موضح في المتن أعلاه، بناء على جميع المصادر المتوافرة، والتي لم يتفضل المرجع السابق بالرجوع إليها.

إلى ميناء القصير على البحر الأحمر، في حين قطع المشاة هذه المسافة سيراً على الأقدام، وعندما وصل إبراهيم باشا إلى القصير مكث فيها بضعة أيام عمل خلالها على تحميل السفن بمعدات الحملة، ثم غادرها مع قواته في أول ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٨١٦م. وبعد ستة أيام في ٧ ذي القعدة / ٢٩ سبتمبر وصلت الحملة إلى ينبع[1].

كان على الحملة أن تختار أحد الطريقين الرئيسين التي تؤدي إلى نجد من الحجاز: أحدهما عن طريق ينبع ـ المدينة ـ القصيم مخترقاً شمال نجد إلى الدرعية، والآخر عن طريق جدة ـ مكة ـ الطائف ـ تربة مخترقاً غرب نجد إلى الدرعية.

اختارت الحملة الطريق الشمالي عن طريق ينبع – المدينة –القصيم للوصول إلى الدرعية بناء على توصيات من محمد علي[2]، وذلك لعدة أسباب أهمها:

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٣-١٢٤، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٠-٥١١-٥١٣، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٢، بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص ٢٨، أحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص ١١٧.

(2) عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م، ص ١٣٢.

١- أن السلطة العثمانية في المدينة كانت دائماً أقوى منها في مكة، فلم يكن العثمانيين يثقون بالشريف الذي كان يرفض دائماً الخضوع لسلطتهم المباشرة.

٢- مراسلات بعض أهل القصيم واتصالاتهم مع طوسون باشا ثم مع محمد علي بعد ذلك كما سبق.

٣- أن هذه المنطقة مأهولة بكثافة، مما يعني أنه لابد من إخضاعها، ومن ثم تتحول إلى مراكز مهمة للتموين في الطريق إلى الدرعية.

٤- وجود اضطرابات قوية في جنوب الحجاز في تلك الفترة في بيشة ورنية وتربة[1]، مما سيعطل الحملة لو أنها سلكت ذلك الطريق في هذه المنطقة التي لم يستقر حكم محمد علي فيها، في حين كانت الأوضاع شمال الحجاز أكثر استقراراً.

٥- لتحتفظ الحملة بخط رجعتها، ولوصول الإمداد إليها بسهولة؛ نظراً لسهولة طبوغرافية أراضي الطريق الشمالي، إضافة إلى توافر آبار المياه فيها على طول الطريق، إذ كان إبراهيم باشا يخشى من انقطاع طرق إمداده إذا سلك طريق تربة؛ نتيجة قلة الآبار في تلك

(١) الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٠.

المنطقة[١].

٦- الطريق الشمالي أقرب إلى ولايات الدولة العثمانية في العراق[٢] والشام، بحيث تكون الحملة على اتصال دائم بهما لوصول أي مساعدات منهما.

الحملة في ينبع:

تم اختيار ميناء ينبع لرسو سفن الحملة[٣] نتيجة لبعدها عن الحدود الغربية لنجد، ولأنها ذات أبراج حصينة، كما أن مواصلاتها

---

(1) الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٢، بيير كربيتس، إبراهيم باشا، ص ٣٣، الإسكندري، تاريخ مصر، ص ١٣٢.

(2) محمد مرسي عبدالله، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨م، ص ٢٥٢.

(3) يذكر فريد بك المحامي في تاريخ الدولة العلية، ص ٤٠٨، «أن إبراهيم باشا سار إلى بلاد العرب عن طريق قنا فالقصير فجُدة»، وفي الحقيقة لم أجد أي مصدر يشير إلى أن إبراهيم اتجه من القصير إلى جدة، بل إن كل المصادر المتوافرة لدي تشير إلى اتجاهه إلى ينبع مباشرة، ولا أعرف من أين أتى المؤلف رحمه الله بهذه المعلومة إن صح وجودها في غير خياله، وقد يكون اعتقاده هذا ناتجاً عن شهرة ميناء جُدة باعتباره أكبر موانئ الحجاز، فظن أن الحملة دخلت عن طريقه، أو لأن إبراهيم باشا كان والياً لجُدة فظن أنه دخل عن طريقها.

سهلة مع القاهرة والإسكندرية بحيث يمكن للحملة أن تستمد كل ما يلزمها من مصر، كما أنها كانت منذ أن استولى عليها المصريون عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م مستودعاً لمعداتهم العسكرية، هذا فضلاً عن أن هناك رأساً في الماء تشقها من وسطها، والماء فيها عميق يكفي لرسو السفن الضخمة ووقايتها من الأمواج في هذه المنطقة، وبناء على ذلك اختيرت ينبع لتكون مرسى لسفن الحملة ومستودعاً أول لمعداتها[1]، خاصة أن هذه الحملة قررت الوصول إلى الدرعية عن طريق القصيم من الشمال، وكان ميناء ينبع هو الأقرب والأفضل لذلك.

ألقت سفن الحملة مراسيها في ميناء ينبع في ٧ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٨١٦م، ونزل إبراهيم باشا مع كبار ضباطه في قصر حاكمها. وتم إنزال القوات والمعدات من السفن، حيث أمر إبراهيم باشا بإقامة معسكر للجنود خارج أسوار ينبع[2]، في منطقة

---

(1) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٣.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٤، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٣، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٦٦، أحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص١١٧.

قريبة منها تسمى ميلقا[1]. ثم أمر بإقامة مناورة عسكرية عرض فيها جيوشه، وقد ذهب البعض إلى أن إبراهيم باشا قام بهذه المناورة للوقوف على الإمكانيات والاستعدادات الفعلية لحملته، وتدريب قواته في المقام الأول[2].

ولعله هدف أيضاً من وراء إجراء هذه المناورة إلى شيء آخر، وهو ما يعرف بالحرب النفسية التي غالباً ما تسبق الحروب، وهي أمر معروف منذ القدم، وذلك للتأثير في نفوس أهالي المنطقة وترهيبهم. كما يبدو أنه أراد أن تكون هذه المناورات رسائل تصل إلى الإمام عبدالله بن سعود ليدخل في روعه مسبقاً ضآلة حجم قوته أمام قوات الحملة، إذ لا يغيب عن الذهن أنه لابد أن تكون هناك عيون للإمام عبدالله تتابع تقريباً كل تحركات الجيش المصري، وهذه العيون سوف تقوم بنقل الأخبار إلى الإمام عبدالله.

ويبدو أن سياسة إبراهيم باشا هذه قد آتت ثمارها، فلما أرسل إبراهيم باشا إلى القرى والقبائل المجاورة لتقديم وسائل النقل اللازمة للجيش، اضطر هؤلاء إلى تقديم خيولهم وإبلهم بإعداد كبيرة،

---

(1) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٩.

(2) إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٤، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٦٦.

وحضروا في وفود مختلفة لتقديم الولاء والطاعة له[1].

وقد اختلفت المصادر المتوافرة في المدة التي بقيتها الحملة في ينبع، فبينما يذكر مانجان أن الحملة تحركت إلى المدينة بعد عشرة أيام من وصولها إلى ينبع بعد أن توافرت لها الجمال اللازمة لنقلها[2]. يذكر سادلير أن الحملة انتظرت في معسكرها قرب ينبع مدة أربعين يوماً، تترقب دعمها بالجمال من القبائل المجاورة[3]. أما الوثائق العثمانية فلم تعط معلومات عن مدة بقاء الحملة أو تاريخ تحركها من ينبع، وإن كانت قد أشارت إلى الوقت الذي دخل فيه إبراهيم المدينة؛ وهو منتصف شهر ذي القعدة تقريباً، مما يجعل رواية مانجان هي الأقرب للصواب.

إبراهيم باشا في المدينة:

خرج إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة برفقة حرسه الخاص فقط[4]،

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٤، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٤، البطريق، ذكرى البطل، ص١٣.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٥.

(3) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٣٩.

(4) وقد قطع إبراهيم باشا الطريق إلى المدينة ماراً بقرية بريكة جنوب ينبع، مجتازاً كثبان الرمل المتحركة إلى بدر، ثم برحها مجتازاً أودية عريضة ومتعرجة ماراً بقرية =

بعدما أمر جيشه بالتحرك باتجاه المدينة، وقد دخلها في ١٢ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٥أكتوبر ١٨١٦م[1] من الباب المصري، حيث استقبل بطلقات البنادق، وكان في استقباله أغا الحرم ومعه ثمانون من حراس الحرم ووفد مؤلف من القاضي والسادات والشيوخ، ثم قام بالصلاة وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

= الجديدة، ثم صعد إلى ثنية واسط متقدماً نحو الصفراء، وهي سوق القبائل المجاورة، ثم الجديدة مقر قبائل حرب، ثم إلى بلدة الكيف، فوادي مدك، وصعد بعد ذلك إلى الفريش والسلسلة، ثم هبط إلى وادي العقيق، ثم سار حتى دخل المدينة، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥١٥.

(1) اختلفت المصادر في تاريخ دخول إبراهيم باشا المدينة، يذكر مانجان أن دخوله كان في ٣٠ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٩ أكتوبر ١٨١٦م، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٥، ويذكر إدوارد جوان أن وصوله كان في ٢٧ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٦م، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥١٤، ولكن هناك وثيقة من والي الشام إلى السلطان يذكر فيها وصوله إلى المدينة بصحبة حجاج الشام في ٢٣ ذي القعدة وأنه قابل إبراهيم باشا الذي وصل قبله إلى المدينة بأحد عشر يوماً أي في ١٢ ذي القعدة، دارة الملك عبدالعزيز وثيقة ٤/ ١-١٨ (H.H19651) تاريخ ٢٦ ذي القعدة ١٢٣١هـ.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٥، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع =

ولما وصل خبر وجود إبراهيم باشا في المدينة إلى الإمام عبدالله بن سعود، رأى الإمام أن من الحكمة مراسلته لتذكيره بشروط الصلح الذي عقده مع طوسون، في محاولة لثنيه عن التقدم إلى الدرعية في الظاهر، أو محاولة تأخير تحرك الحملة لحين الاستعداد لها بالشكل المناسب. ويبدو أن هذه الرسائل لم تلق بالاً عند إبراهيم باشا، الذي سبق وتلقى الأوامر من الباب العالي بعدم الرد على رسائل الإمام عبدالله بن سعود[1]، كما رفض السلطان السماح لوالي الشام في تلك الفترة حافظ باشا بالرد على رسائل عبدالله للتوسط عند إبراهيم باشا، نظراً لما قد تشكله هذه المراسلات من خطر على أهداف الباب العالي لو تم تفعيلها بين القوات السعودية والقوات المصرية الغازية[2]. وفي رابع أيام عيد الأضحى غادر إبراهيم باشا المدينة المنورة[3]، والتقى بجيشه

عشر، ص ٥١٥-٥١٦-٥١٧، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٦٦.

(1) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة ٤، وثيقة رقم ١٦٣، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٤/ ١-١٨ (H.H19651) تاريخ ٢٦ ذي القعدة ١٢٣١هـ.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٨.

خارجها وأمره أن يعسكر في قرية الصويدرة[1].

الحملة في الصويدرة:

اتخذت الحملة من هذه القرية مستودعاً مؤقتاً للمؤن والذخائر، وطالب الجيش المصري القبائل المجاورة لها بتقديم المسادات اللازمة. ولكن شيوخ القبائل هناك رفضوا تقديم أي معونات للجيش المصري متمسكين بولائهم للإمام عبدالله بن سعود، مما جعل إبراهيم باشا يسير ألفي رجل من المشاة والفرسان لمعاقبتهم، وقد التقت هذه القوات على مسيرة يومين من المعسكر بما يقارب المئة من رجال تلك القبائل فهاجمتهم، وتغلبت عليهم بعد مقاومة ضعيفة، فانهزموا راجعين إلى خيامهم فلحقهم أفراد الجيش المصري حتى بلغوها وأباحوها للنهب والسلب، ثم عادوا إلى المعسكر. وقد أسر منهم حوالي مئة رجل وكان معهم جمع من النساء والأطفال وقطعان الأغنام، إلا أن إبراهيم باشا رد النساء

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٨، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٢٨. الصويدرة: بلدة عامرة تقع على وادي نجاز (ويسمى أيضاً وادي الصويدرة) على الطريق من المدينة إلى القصيم على بعد ٥٣ كيلاً من المدينة، سكانها من قبيلة حرب، البلادي، معالم الحجاز، جـ٥، ص ١٧١.

والأطفال إلى أهليهم[1]، ويبدو أنه فعل ذلك عملاً بسياسة استمالة البدو لضمان مساعدتهم. وقد كانت هذه هي أولى المواجهات العسكرية بين السعوديين وحملة إبراهيم باشا. وقد أقامت الحملة في الصويدرة حوالي خمسة عشر يوماً تلقت بعدها الأمر بالسير نحو الحناكية[2].

الحملة في الحناكية:

كان إبراهيم باشا قد أرسل قوة من الصويدرة قوامها ٤٠٠ فارس للاستيلاء على الحناكية، التي خربها السعوديون قبل انسحابهم إلى داخل نجد، لكي لا يستفيد منها الأعداء بشكل جيد. ولما كانت المدينة المنورة غير بعيدة، فقد عرج عليها إبراهيم باشا مع بعض ضباطه لأداء الصلاة في المسجد النبوي، وأقام فيها ١٥ يوماً لحين وصول جيشه إلى

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٢٩-١٣٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٢٨-٥٣٠، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٢، عبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي، ص ٦٧-٦٨.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٣١.

الحناكية وقيامه ببناء الاستحكامات اللازمة والقلاع في الحناكية، ثم توجه إبراهيم باشا إليها بعد أن أصبح المعسكر جاهزاً[١] في ٧ محرم ١٢٣٢هـ[٢].

أما بالنسبة لإبراهيم باشا ـ الذي كان يرقب أيضاً تحركات الإمام عبدالله بن عسود ضد القبائل البدوية الموالية له ـ فقد خاف من تبدل مواقف بعض القبائل بعد خروج الإمام عبدالله إليها. فهب من فوره لقتال بعض القبائل التي كانت متخذة موقف الحياد ليعوق انضمامها إلى الإمام عبدالله، فقام بعدة معارك كانت الغلبة فيها للقوات المصرية، إذ قتلت أكثر من ثمانمائة رجل، وغنمت حوالي ألفي جمل وأعداداً كبيرة من الأغنام[٣]. كما رأى إبراهيم باشا أن من الأفضل أن يستولي على موقع الماوية[٤] ليوفر لأتباعه الحماية اللازمة من تحركات عبدالله بن

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٣١.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر برا، محفظة رقم ٤، وثيقة ٨٣، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٥، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٣٨.

(4) الماوية: اسم لماء يقع بين الحناكية والنقرة، الواقعتين على الطريق المتجه من القصيم إلى المدينة المنورة، محمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد القصيم، الرياض: دار اليمامة، ١٤١٠هـ، جـ٦، ص =

سعود، لذلك أرسل في ٩ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ/ إبريل ١٨١٧م قوة بقيادة أوزون علي، استولت على هذا الموقع دون قتال[1]، على أن يظل إبراهيم باشا في الحناكية ينتظر وصول التعزيزات العسكرية من والده. وأثناء ذلك وصلته رسالة من فيصل الدويش[2] شيخ قبيلة مطير يعرض فيها رغبته في التحالف معه ضد عبدالله بن سعود انتقاماً منه لقتله أخيه، وأنه سيوافيه إذا وصلت قواته إلى الماوية، وقد سر إبراهيم باشا بهذا الأمر ودفعه ذلك إلى التعجيل بالتحرك إلى الماوية، فغادر الحناكية في ١٣ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ/ ٣٠ إبريل ١٨١٧م، على رأس قوة مكونة من ٤٠٠ فارس وعدد كبير من المشاة مع قافلة من ثلاثة آلاف جمل، تحمل ذخائر ومؤناً تكفي القوات المعسكرة في الماوية

=

٢١٩٠-٢١٩٤.

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٦، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤١، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٦، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٠٦.

(2) فيصل بن وطبان الدويش تولى مشيخة مطير مدة طويلة، وقد تحالف مع القوات العثمانية المصرية، وكان دليلها للوصول إلى الدرعية، وقد استمر في تعاونه مع القوات المصرية التي قدمت إلى نجد بعد سقوط الدرعية، توفي عام ١٢٤٨هـ ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٤٤٦-٤٤٨-٤٦٤، جـ٢، ص٢٧.

مدة شهر كامل، وبعد يومين من مسيرة وصلته أخبار معركة الماوية بين قوات أوزون علي والإمام عبدالله بن سعود[1].

هُزم جيش الإمام عبدالله بن سعود بعد معركة دامت ساعتين ونصف[2]. وقد خسر الجيش السعودي في هذه المعركة ٣ مدافع، وكميات كبيرة من الذخائر الحربية، و٥٠٠ جمل، وحوالي ٣٠٠ قتيل[3]

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٧، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤١، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٣٨، أحمد مرسي عباس، العسكرية السعودية، ص ١٢١. يذكر صاحب لمع الشهاب، أن إبراهيم باشا حضر هذه المعركة وانقض بمن معه على السعوديين، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٦هـ، ١٢٥، ولكن أغلب المصادر والوثائق تؤكد عدم حضوره لها وأنه وصل إلى الماوية بعد انتهائها.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٥٤ (H.H19632) بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٣ك-١ (H.H19534) بتاريخ ١٢٣٢هـ. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٨.

(3) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا، رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣ رمضان ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٩-٣ (H.H19674) بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٥٤ (H.H19632) بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ. وقد ذكرت وثائق أخرى أن أعداد قتلى السعوديين في هذه

و٢٠٠أسير من بينهم بعض أقارب الإمام عبدالله[1]. وتذكر الوثائق العثمانية أن من بين القتلى عم الإمام عبدالله بن سعود وابن عمه[2] وأحد أمراء القصيم الكبار[3].

= المعركة بلغ ٨٠٠ قتيل، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢-٣٤ (H.H19652A) بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك-٤٢ (H.H19652A) بتاريخ ١٢٣٢هـ. ويذكر ابن بشر أن مجمل الخسائر سواء القتلى أو الأسرى بلغ حوالي ٢٠٠ رجل، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨٦.

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٨، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

(2) في وثيقة أخرى ذكر أن ثلاثة من أقارب عبدالله إضافة إلى عمه قتلوا في هذه المعركة، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢-٣٤ (H.H19652A) بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك-٤٢ (H.H19652A) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(3) الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ - دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣ رمضان ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢-٣٤ (H.H19652A) بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٢ك-٤٢ (H.H19652A) بتاريخ =

وفي اليوم التالي للمعركة وصل إبراهيم باشا إلى أرض المعركة، وقام بضبط المدافع والغنائم الأخرى[١]، وأمر بقتل الأسرى[٢] !! ثم استقدام من تبقى من الحملة في الحناكية إلى موقع الماوية، ما عدا أربعين رجلاً بقوا فيها لحمايتها، كما كتب إلى المدينة

١٢٣٢هـ.

وقد أشارت هذه الوثائق إلى أنه حجيلان بن حمد، ومن الواضح أن هناك التباساً أو خطأً في الأمر، لأن حجيلان بن حمد لم يُقتل في هذه المعركة، فقد أشار ابن بشر إلى وجوده في بريدة على إمارتها عندما قدم إليها إبراهيم باشا في وقت لاحق، كما ذكر أن الباشا اصطحبه معه بعد سقوط الدرعية إلى المدينة عام ١٢٣٤هـ حيث توفي هناك في نفس السنة، كما أشارت الوثائق العثمانية نفسها إلى وجوده في بريدة لما قدمها إبراهيم باشا. ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٠-٤٣٨.

(1) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٢، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٤، وثيقة رقم ١٢٥، بتاريخ ٣ رمضان ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٥٤ (H.H19632) بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٦ (H.H19632) بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٨، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ٨١.

يطلب المؤمن والذخائر الحربية، وأرسل إلى مكة يستقدم الفرسان الذين وصلوا إليها حديثاً من مصر، ومعهم مدفعان وكان عددهم ١٢٠٠ فارس[1]. وعسكر في هذه المنطقة استعداداً للتقدم نحو القصيم، وقرر إمضاء شهر في هذا المعسكر حتى ترتاح القوات التي تجمعت عليه هناك بعد عناء المعارك والسفر[2].

وبعد أن حقق إبراهيم باشا أهدافه من البقاء في الحناكية، وجد أن الوقت قد أصبح مناسباً للتوغل في نجد. حيث أراد استغلال حماس جنوده بانتصارهم في الماوية في مقابل اهتزاز عدوه إثر هزيمته فيها، كما أراد استغلال حماس فيصل الدويش رئيس مطير الذي انضم له، ووعده بأنه سيوافيه في الرس[3]، فتحرك إبراهيم باشا أمام هذه الظروف بالفعل نحو القصيم بعد أن أخذ جيشه المدة الكافية من الراحة.

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٩، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٧. العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ٨١.

(2) لمع الشهاب، ص ١٢٥، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٩، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٨.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٩.

غادر إبراهيم باشا الماوية في الأيام الأولى من شهر يوليو ١٨١٧م[1] منتصف شعبان ١٢٣٢هـ[2]، على رأس ٤ آلاف من المشاة و١٢٠٠ فارس غير البدو المصاحبين له[3]، مع مئة من رجال سلاح المدفعية المزودين بثماني قطع مدفعية عادية ومدفع قاذف ومدفع هاون[4]. وقد تعرض إبراهيم باشا أثناء سيره لوعكة صحية أجبرته على التوقف في الطريق، ولزوم خيمته مدة ستة أيام، ولكنه طلب من أوزن علي أن يسبقه في طليعة مكونة من ألفي رجل ومصحوبة بثلاثة مدافع، وأبقى

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٩، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

(2) ورد تاريخان مختلفان في الوثائق العثمانية لتحركه ولكنهما متقاربان فوثيقة تذكر أنه في ١٣ شعبان ١٢٣٢هـ من مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (HH.19541-C) وأخرى تذكر أنه في ١٥ شعبان ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٣٢ و٥/ ١-٥٩ (H.H19584) بتاريخ ٢٣ شوال ١٢٣٢هـ.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٣٩-١٤٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨. ولكن سادلير يذكر أن عدد قواته يبلغ ١٤٠٠ من المشاة و٦٠٠ فارس، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٢.

(4) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٢.

أكثرية الجيش معه حتى تماثل للشفاء، ونهض للسير في إثر هذه الطليعة، وأدركها على بعد يومين من الرس[1].

كانت الحملة تتقدم بحذر شديد، وتعمل على اتخاذ كافة التدابير اللازمة لاتقاء المفاجآت، سواء بملاقاة السعوديين فجأة أو بإنقطاع طرق مواصلاتها أو التعرض لمشكلة ندرة المياه. إلا أن الأمور سارت بشكل جيد، خاصة بعد أن قام فيصل الدويش بملاقاة الحملة، وتوفير المؤن ووسائل النقل اللازمة للحملة، وأصبحت قواته جزءًا من الجيش المصري[2].

دخلت الحملة أثناء تقدمها إلى الرس بلدة الشنانة، التي كانت خاوية تقريباً من سكانها، بعد أن نقل الإمام عبدالله بن سعود القادرين من أهلها على حمل السلاح إلى الرس، لتعزيز القوات الموجودة فيها، في حين نقل الشيوخ والنساء والأطفال والماشية إلى الوشم، وقام بردم آبارها حتى لا تستفيد منها القوات المعادية.

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٨.

وكانت القوات المصرية قد أنهكت أثناء سيرها، لذلك أقامت عدة أيام في هذه البلدة، لأخذ قسط من الراحة قبل مواصلة السير إلى الرس[1]. وبعد فترة الراحة في الشنانة تحركت الحملة يتقدمها إبراهيم باشا في خمسمائة فارس من رجاله، وقبيل وصولهم إلى الرس، قام إبراهيم باشا بمن معه بعملية استطلاعية لمراقبة الوضع ومعرفة المكان قبل تقدم جيشه. ولكنه واجه مفرزة من جنود الحامية السعودية في الرس، واشتبك معها، وقد قُتل اثنان من رجاله وجرح خمسة، وفي اليوم التالي صدرت أوامره بالتحرك إلى الرس وضرب الحصار حولها[2].

حصار الرس وسقوطها:

كانت الرس من أكبر بلدان القصيم في تلك الفترة ومن أقواها تحصيناً، إذ كانت محصنة بقلعة حربية قوية، وأسوار منيعة مبنية

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

بالأحجار الصغيرة والطين الأصفر الذي يجف بسرعة، وذي المتانة العالية[1]، وكانت أسوارها تتكون من ثلاثة جدران، وبذلك يصعب اختراقها[2]، كما حُفر حول البلدة خندق عميق لحمايتها[3]، وقد جُمعت فيها قوات مختلفة من المناطق المجاورة[4]، كما أرسل إليها الإمام عبدالله حامية عسكرية بقيادة حسن بن مزروع وتركي بن عبدالله الهزاني لتعزيز قواتها، هذا فضلاً عن اشتراك الأهالي في الدفاع عنها[5].

وصلت حملة إبراهيم باشا إلى الرس في اليوم الخامس والعشرين من شعبان عام ١٢٣٢هـ[6]/ ٩يوليو ١٨١٧م، وفي الحال أمر إبراهيم

---

(1) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٥٤ و٢/ ١-٢٠ (H.H19584) بتاريخ ١٢٣٢هـ.

(3) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٣.

(4) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٤٩.

(5) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٧.

(6) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥ وثيقة رقم ١٢، بتاريخ ٢٣ محرم ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، ص ٣٨٧، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨٠. هناك وثيقة تذكر أن بداية حصار الرس في يوم ٢٧ شعبان، ولكن رشح =

باشا عساكره بضرب الحصار حولها، فنُصبت المدافع في أماكن متعددة[1] وبدأ على الفور إطلاق المدافع على هذه الأسوار بشكل كثيف ومتواصل لمدة خمسة أيام[2] ويبدو أنهم استطاعوا هدم ثلاثة من أبراجها وقسم من سورها[3]، ولكن أهالي الرس كانوا يبنون ما تهدم بشكل سريع[4]، وبهذا فشل إبراهيم باشا في جميع هجماته على الرس، وطالت

= يوم ٢٥ لاتفاق الوثيقة الأخرى مع المصادر النجدية في تقريره. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٧ (H.H19700) بتاريخ ٢٧ ذي القعدة ١٢٣٢هـ.

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤١، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٩.

(2) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (H.H19541-C)، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/ ١-١٣٢ و٥/ ١-٥٩ (H.H19584) بتاريخ ٢٣ شوال ١٢٣٢هـ مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤١، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص٥٤٩. ذكر سادلير أنها ثلاثة أيام، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٣.

(3) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (H.H19541-C).

(4) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٧.

مدة حصارها إلى ثلاثة أشهر ونصف[1].

ومع وصول الإمدادات لإبراهيم باشا قام بإنشاء برج قريب من قلعة الرس يناظرها في العلو والمتانة، ووضع فيه المدافع الموجهة إلى سور القلعة، وبدأ حرباً عنيفة بالمدافع والبنادق استمرت ٢٤ يوماً، تم خلالها هدم أجزاء من قلعة الرس، وتم التضييق بشكل قوي على أهاليها، حتى كانت حركتهم داخل البلد من أصعب ما يكون[2]، واشتد الحصار حتى يوم عيد الأضحى ١٠ ذو الحجة من عام ١٢٣٢هـ ٢١ أكتوبر ١٨١٧م[3] ويذكر ابن بشر أن أهالي الرس راسلوا الإمام عبدالله في عنيزة وناشدوه التدخل بشكل سريع لفك الحصار عنهم، أو أن يأذن لهم بالتفاوض مع إبراهيم باشا[4]، وقد عجز الإمام عبدالله عن التدخل في هذا الوقت، بينما كانت الإمدادات تتدفق إلى إبراهيم باشا وتزيد موقفه قوة، وهنا علا صوت أهالي الرس الذين

---

(1) الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٨٠، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص١٤٣.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ.

(3) ذكر ابن بشر أنه في يوم ١٢ ذي الحجة، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨٧.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨٧.

طاولهم الحصار وأنهكهم يطالبون بالصلح[1]. فتم عقد الصلح على إعطاء أهل الرس الأمان، وإخراج الحامية الموجودة لديهم إلى الإمام عبدالله بن سعود[2]، وتضيف الوثائق العثمانية شرطاً آخر تمثل في إحضار ثلاثة من شيوخ الرس إلى إبراهيم باشا كرهائن لديه يضمن بهم هذا الصلح[3]. اتفق الطرفان على أن يُرفع الحصار عن الرس، وأن يذهب إبراهيم مع جيشه حيث يشاء على ألا يدخلوا الرس، وأن الأهالي ليسوا مجبرين على أن يقدموا شيئاً للجيش ولا يطلب منهم لا مؤن ولا غرامات، وأن لا تقام في الرس حامية مصرية إلا إذا استطاع

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ، الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٦٥ (H.H19592) بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨٧، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨٠.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ، الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٦٥ (H.H19592) بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٨٨.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ، الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٦٥ (H.H19592) بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٣٣هـ.

إبراهيم باشا الاستيلاء على عنيزة، وأنه إذا لم يتمكن من ذلك، فإن المعارك ستبدأ من جديد بين الطرفين[1].

سقوط الخبراء:

ما أن انتهى إبراهيم باشا من حصار الرس حتى وجه أنظاره إلى بلدة الخبراء القريبة منها[2]، حيث أرسل فرقة من جيشه مع عدد من المدافع[3] حاصرت هذه البلدة لمدة يوم واحد[4]، تعرضت فيه لنيران المدافع بشكل قوي؛ مما جعل أهل الخبراء يستسلمون ويطلبون الأمان. فأرسل قادة هذه الفرقة إلى إبراهيم باشا بما حدث، فأذن لهم بمنح الأمان وأخذ الرهائن منهم، وتم الاستيلاء على هذه البلدة.

واستسلمت بعض القرى القريبة منها؛ مثل: البكيرية والهلالية،

(1) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٣، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٦، إدوارد جوان، مصر في لاقرن التاسع عشر، ص ٥٥٤-٥٥٥.

(2) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٨، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٧، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٥٥.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ.

(4) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤.

وعند ذلك تحرك إبراهيم باشا بمن معه من الرسل ودخل الخبراء[1]، واستقرت بها الحملة مدة ١١ يوماً طلباً للراحة، وتزويد الحملة بالمؤمن والحاجيات من أهالي هذه البلدة[2].

سقوط عنيزة:

اقتربت قوات إبراهيم باشا من بلدة عنيزة التي كانت من أكبر بلدان القصيم في تلك الفترة، ومن أقواها تحصيناً[3]، فضلاً عن الحامية العسكرية التي أبقاها الإمام عبدالله فيها، فكان ذلك عاملاً قوياً شجع أهالي عنيزة على حرب إبراهيم باشا، وعلى عدم الاستسلام مباشرة كما توقع إبراهيم باشا، الذي جر عليهم مدافعه وصوبها على أسوار البلدة

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٧، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٥٥.

(3) يفسر البعض أن هذا هو سبب شرط أهل الرس في أن لا يسمحوا بإقامة حامية مصرية في الرس إلا إذا سقطت عنيزة، وذلك اعتقاداً منهم أنها قوية وحصينة ويصعب سقوطها في أيدي إبراهيم باشا، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ٩١.

القوية[1].

على إثر هذا القصف استسلمت البلدة، ولكن الحامية العسكرية الموجودة في قصر الصفا قاومت بشدة، مما جعل إبراهيم باشا يشدد عليها القصف لمدة يومين بلياليهما[2]، حتى هدم أجزاء من جدران القصر، وضعف موقف الحامية التي فقدت وسائل دفاعها، بعد أن وقعت قنبلة على مستودع البارود في القصر، مما أدى إلى إحداث انفجار قوي هدم ما حوله، ومات بسببه رجلان[3]، فاضطرت الحامية عند ذلك إلى طلب المصالحة والأمان من إبراهيم باشا، الذي منحها الأمان

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٣٢هـ. في رسالة من القنصل الفرنسي في مصر إلى وزير الخارجية الفرنسي بباريس، ذكر أن فيسيير الضابط الفرنسي مستشار إبراهيم هو من نظم حصار عنيزة والمعركة التي دارت حولها، حيث لم يستطع المقاتلون فيها المقاومة أكثر من ستة أيام واستسلموا، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ٩١.

(2) يذكر مانجان أنها ستة أيام، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٧، في حين يذكر سادلير أنها ٥ أيام، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤.

(3) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٩، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٧، ابن ضويان، تاريخ ابن ضويان، ص ٧١.

واستولى على مدافعها وعتادها، وأخذ منها الرهائن لضمان عدم تمردها في المستقبل(١)، وسمح لها بالخروج إلى حيث تريد(٢)، بينما ألزم أهل البلدة بتزويد جيشه بما يحتاجه من الضروريات، أو بدفع المال اللازم لشراء ذلك(٣).

سقوط بريدة:

بعد سقوط عنيزة أرسل حجيلان بن حمد أمير بريدة موفداً إلى إبراهيم باشا في ٢٨ ذي الحجة ١٢٣٢هـ/ ٨ نوفمبر ١٨١٧م، يطلب الأمان، وقد وافق إبراهيم باشا على ذلك شريطة أن يرسل ابنه عبدالله كرهينة لديه(٤).

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H.H19592) بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٦٦ (H.H19592) بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٣هـ، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٢٢، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٢هـ.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٩، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٧.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٨.

(4) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٣٣ (H.H19592) بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٤ (H.H19592) بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٣٣هـ.

وتحرك إبراهيم باشا في أول محرم ١٢٣٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٨١٧م نحو بريدة لاستلامها، ولكن حجيلان غير رأيه في شأن الاستسلام، وقرر مواجهة إبراهيم باشا، فاستعدت الحامية العسكرية فيها لمواجهة إبراهيم باشا، ومنعه من دخول البلدة، فسلطوا مدافعهم وبنادقهم على الجيش المصري الذي قدم مدافعه إلى قرب أسوار البلدة، ودارت حرب قوية بين الطرفين، استطاع خلالها الجيش المصري أن يهدم جدران أربعة من أبراج بريدة، وأن يقتحمها ويقتل ٦٠ رجلاً[1] من مدافعيها، مما دفع المدافعين الموجودين في الأبراج الأخرى للاستسلام. وبذلك لم يبق على إبراهيم باشا إلا الدخول إلى البلدة، لمنع دخول الجيش المصري إليها، وجرت بين الطرفين معركة استمرت يوماً وليلة، اضطر بعدها حجيلان إلى طلب الأمان، فوافق إبراهيم باشا على أن يسلم له حجيلان مدافعه وعتاده، وأن يجعل ولده عبدالله رهينة لديه، فوافق حجيلان على ذلك، وتم الصلح بينهما[2].

---

(1) تذكر وثيقة أخرى أنهم خمسون رجلاً، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٦، بتاريخ ٩محرم ١٢٣٢هـ. بينما يذكر مانجان أنهم ٢٠٠ رجل، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٤٩.

(2) مكتبة الملك فهد الوطنية، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (H.H19592)، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم٥، وثيقة رقم٦، بتاريخ ٩ محرم ١٢٣٢هـ

يُعَد استسلام حجيلان بن حمد وخضوعه لإبراهيم باشا خضوعاً كاملاً لإقليم القصيم، حيث أرسل أمراء بلداته إلى إبراهيم باشا يعلنون خضوعهم[1].

الحملة في الوشم:

وصلت الحملة إلى الوشم في اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول، وأقام إبراهيم باشا معسكره في موقع بين قريتي الفرعة وأشيقر، اللتين أذعنتا بالطاعة له، بعد أن علمتا أن لا فائدة من المقاومة؛ اعتباراً بما حدث لمن قاومه من القرى[2].

=

دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٥ (H.H19560) بتاريخ ٩ محرم ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٤٥ (H.H19562) بتاريخ ٩ محرم ١٢٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٣ (H.H19562) بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٣٣هـ.

(1) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٠، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٢، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٦٢.

حصار شقراء وسقوطها:

كانت شقراء قاعدة إقليم الوشم من أكبر البلدان النجدية التابعة للدولة السعودية الأولى، وكان على إبراهيم باشا أن يُخضعها حتى يضمن خضوع إقليم الوشم بأكمله، فيسير للدرعية مأمون الظهر.

فبعد سقوط الرس خافت كثير من البلدان النجدية من تقدم إبراهيم باشا، ومن أهمها شقراء، التي عملت على تعزيز تحصيناتها لمواجهة أي حصار محتمل من قوات إبراهيم باشا فقامت بالتالي:

١- إكمال حفر الخندق الذي بدأوا به وقت حملة طوسون باشا بعد تغلغله في نجد، ولما تصالح طوسون مع الإمام عبدالله في الرس تركوه، حيث أمر حمد بن يحيى بن غيهب[1] أمير شقراء بإعادة حفره في نهاية ذي الحجة عام ١٢٣٢هـ/ نوفمبر ١٨١٧م، فاشترك أهل شقراء في حفره، فكان خندقاً عظيماً واسعاً وعميقاً، كما قاموا ببناء

---

(1) حمد بن يحيى بن غيهب: كان أميراً على الوشم في عهد الإمام سعود ثم في عهد الإمام عبدالله، وقد كان من المخلصين للدولة، وقد كان من رجال الإمام تركي بن عبدالله الذين حاربوا معه لاستعادة الحكم، وقد عينه الإمام تركي على سدير، ثم أرسله الإمام فيصل إلى ثغور عمان وقصورها ليضبطها عام ١٢٥٣هـ ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٢٩٥-٤٢٣، جـ٢، ص١٢٢-١٥٨.

جدار عليه من جهة السور[١].

٢- تموين البلدة بكل ما تحتاجه من الطعام، وإلزام أغنيائها بتوفير مقادير معينة من القمح، استعداداً لحصار قد يطول أمدة[٢].

٣-تشذيب أشجار النخيل بقطع عسبانها، بحيث لا تحجب طلقات الرصاص، فتسلم نخيلهم من القطع والتخريب، ولكي لا تحترق عند ضربها بالذخيرة[٣].

٤-تجميع أعداد كبيرة من القوات في شقراء، إذ انضم للدفاع عنها كثير من أهالي القصيم الذين خرجوا من بلدانهم بعد سقوطها في يد إبراهيم باشا[٤]، كما انضمت لهم الحامية العسكرية التي كانت في بريدة، وعددها ٤٠٠[٥]، والتي تكفلت بحماية قلعتها، وقد قدرت

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٩.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٩.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٠.

(4) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٧ (H.H19538) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ.

(5) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٢، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ.

وقد انفردت وثيقة أخرى بذكر عدد آخر لهم فذكرت أنهم ٧٠٠، دارة الملك =

الوثائق العثمانية مجمل أعداد المدافعين داخل شقراء بحوالي ٤ آلاف رجل[1].

٥- كانت شقراء محاطة بمزارع النخيل، وأغلب مزارعها في الجهة الشمالية والغربية[2] ولها قلعتان: قلعة قديمة وسط مزارعها، وقلعة أخرى داخلية بعد هذه المزارع[3]، يحيط بهذه القلعة الداخلية سور به ٢٧ برجاً[4] للمراقبة والرماية، وهذا السور ذو بناء سميك من

عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٥٣ (H.H19538C) بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ.

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦ (H.H19538) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٧ (H.H19538) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٦ (H.H19538C) بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٠.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٦ (H.H19538C) بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ.

(4) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ. تذكر الوثائق المصرية أن عدد الأبراج في هذا السور ٢٠ فقط وهذا يخالف عددها الصحيح إذ ثبت الآثار المتبقية من هذا السور صحة عددها البالغ ٢٧ برجاً. محمد الشويعر، شقراء، الرياض: دار الناصر، ط١، ١٤٠٥هـ، ٣٠٦.

بأسلحتهم الشخصية من بنادق وغيرها[(١)].

وفي اليوم السادس عشر من ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ١٣ يناير ١٨١٨م خرج إبراهيم باشا من معسكره قرب أشيقر بنفسه على رأس ٨٠٠ فارس[(٢)] ومعه مدفع صغير[(٣)]، ليستطلع الأوضاع في شقراء، وليختار المكان المناسب لإقامة معسكره، وليحدد مواقع نصب مدافعه لحصار البلدة[(٤)]. وأثناء خروجه هذا اشتبك مع حامية شقراء، وقُتل اثنان من رجاله وجُرح عدد منهم، ولكنه عاد في المساء إلى مقر قيادته قرب أشيقر، وأمر القادة بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للخروج إلى شقراء وحصارها[(٥)].

وفي صباح اليوم التالي ١٧ ربيع الأول/ ١٤ يناير تحرك إبراهيم باشا بجميع قواته ومدافعه إلى شقراء، ووصل إلى أسوار البلدة؛ فأقام

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٢٦ (H.H19538C) بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٢.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩١.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩١. مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٢.

(5) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٢.

معسكره في شمال البلدة وشرقها[1]. وعمل على إطلاق القنابل من موقعين رئيسين: أحدهما في شمال البلدة؛ حيث نصب عدداً من المدافع تطل على برج المراقبة الخاص بالقلعة القديمة على الجبل الشمالي للبلدة، والآخر في شرق البلدة؛ حيث نصب ثلاثة مدافع تطل على مزارع النخيل، وقد استمرت هذه المدافع في القصف يوماً وليلة، فهدمت محلاً في السور، فاستطاعت قوات إبراهيم باشا أن تدخل إلى هذه المزارع من الناحية الشرقية، والتحمت وسط هذه المزارع بالقوات السعودية، ورغم المقاومة العنيفة، فإن القوات المصرية انتصرت وقتلت مائتي رجل من المدافعين[2]، وجُرح أمير شقراء حمد بن يحيى في هذا الاشتباك جُرحاً بالغاً[3]، في حين قُتل من الجانب المصري حوالي ٤٠ رجل وجُرح ٥٠ آخرون[4]. كانت نتيجة هذا الانتصار أن سقطت

---

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦ (H.H19538) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩١.

(2) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦ (H.H19538) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩١.

(4) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ١-٥٣ (H.H19538C) =

المناطق الخارجية من شقراء في يد إبراهيم باشا، وبدأت مرحلة أخرى من حصار شقراء، حيث تراجع المدافعون إلى داخل القلعة الداخلية للبلد، وتقدمت قوات إبراهيم باشا وضربت حصاراً محكماً حول هذه القلعة(1)، وشيدت متاريس مقابل متاريس مدافع شقراء الخمسة، لضرب دفاعاتها، ولما أنهت القوات أعمال الحصار، بدأت على الفور المدفعيات بقصف البلدة قصفاً عنيفاً(2) لمدة أربعة أيام بلياليها، إلى أن انتهى الأمر بالصلح بين الطرفين.(3)

= بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ، أعطى مانجان أعداداً مختلفة للقتلى والجرحى في كلا الطرفين، فذكر أن عدد القتلى في الجانب السعودي حوالي ١٦٨ قتيل، وفي الجانب المصري ٤٢ قتيلاً و ١٠٠ جريح وأسر رجلين، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص١٥٣.

(1) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩١، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٣.

(2) يذكر ابن بشر أنهم رموها في ليلة ٣٠٠ حمل من الرصاص، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٣٩١.

(3) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦ =

اختلفت المصادر في رواية كيفية هذا الصلح، فابن بشر يذكر أن إبراهيم باشا عجز عن اجتياز الخندق الكبير الذي حُفر حول القلعة الداخلية، وأنه ما فتئ ينادي أهل شقراء للمصالحة حتى استجابوا له. فخرج له رجلان منهم؛ هما عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى وغيهب بن زيد، فصالحا إبراهيم «على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلادهم» وعلى ألا يذهب أحد من مقاتليهم لمناصرة الدرعية[1]، ويضيف ابن بشر: أنه بعد أيام من المصالحة وشى رجل عند إبراهيم باشا بأنه ارتحل من أهل شقراء عدة رجال إلى الدرعية، وأنهم يريدون أن ينقضوا العهد بعد أن يرحل الباشا عنهم، فأفزع ذلك الباشا، فدخل شقراء وهو غاضب يرفع بيده ورقة الصلح[2] الذي نقضوه، وكاد

=

(H.H19538) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٤.

(1) لم يشر ابن بشر إلى هذا الشرط صراحة، ولكن يُفهم من سياق كلامه لما ذكر غضب إبراهيم باشا عليهم بعد ذلك أنه كان يُلوح لهم بورقة الصلح ويذكر أنهم نقضوها بخروج بعض رجالهم إلى الدرعية، مما يدل على أن هذا الشرط كان من ضمن الشروط فعلاً.

(2) من الواضح أن إبراهيم باشا كان يوثق عقود الصلح، والأمان التي يقيمها مع البلدان النجدية في وثائق مكتوبة، ولكن للأسف لم يصل إلينا أيٌّ من هذه =

يفتك بأهلها لولا حكمة الشيخ عبدالعزيز الحصين، فعفا عنهم وخرج من البلد بعساكره[١].

بقيت الحملة حوالي شهر واحد في شقراء[٢] قام خلالها إبراهيم باشا بعدة أعمال:

العقود حسب علمي.

(1) عبدالعزيز الحصين: من علماء الدعوة المعتبرين، وقد أرسله الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى مكة لمناظرة علمائها، كان قاضياً للوشم في عهد كل من عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود ثم في عهد الإمام عبدالله، وقد توفي في ١٢ رجب ١٢٣٧هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص٢٨٩-٣٤٦-٤٢٤-٤٦٤. ومما يتناقله المهتمون بشقراء تاريخياً من كبار السن أن الشيخ الحصين عندما رأى غضبة الباشا صار يردد: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ حتى هدأت نفس الباشا، ثم قال: عفونا يا عجوز (إشارة إلى أن الشيخ عبدالعزيز كان طاعناً في السن)، ثم سأله إبراهيم باشا قائلاً: ماذا تراني؟ فأجابه: أراك غاشية من عذاب الله، يُصيب بها من يشاء، ويَصْرفها عمن يشاء، فقال: صدقت. الشويعر، شقراء، ص ٢٧٦.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩٣، يذكر سادلير أنه بقي ٣ أشهر، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٤، وهذا وقت طويل مخالف لما عُرف من تواريخ تحرك الحملة.

١- إخضاع الأقاليم المجاورة للوشم.

٢- القيام بغارات على بعض القبائل الموالية للإمام عبدالله بن سعود؛ لإخضاعها أو تخويفها.

٣- هدم أسوار شقراء وردم خندقها، وذلك لضمان عدم نقضها لعهدها معه[1].

٤- تموين جيشه بما يلزم من المؤن الضرورية، وتوفير الجمال للركوب[2].

٥- إقامة عيادة طبية في شقراء[3] تحت إدارة الطبيب جنتلي؛ لعلاج مرضى الجيش المصري.

٦- انتظار وصول إمدادات لتقوية جيشه الذي صار قاب قوسين أو أدنى من مواجهته مع الدرعية، الهدف الأساسي لحملته.

٧- بعد سقوط شقراء وخضوع بلدان الوشم وسدير والمحمل وغيرها لإبراهيم باشا، توقع ألا يكون هناك قتال منتظر بعد ذلك

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٢٩٣.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٥.

(3) يذكر ابن بشر أنه طلب من الأهالي إخلاء بعض البيوت للجرحى. ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩٣.

إلا في الدرعية[١] ولكن توقعاته هذه خابت عندما وصل إلى ضرما[٢].

سقوط ضرماء:

كانت طاعة الوشم وسدير والمحمل لإبراهيم باشا تعني تقدمه المباشر إلى الدرعية، لذا فكر عبدالله بن سعود في إقامة نقطة دفاع متقدمة للدرعية في ضرما، فأرسل إليها كلاً من سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود[٣] في عدد من رجال الدرعية، ومتعب بن إبراهيم بن

---

(1) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٣٣هـ.

(2) يُذكر أن إبراهيم باشا بعث إلى أهل ضرما وهو في طريقه إلى الدرعية يطلب منهم علفاً لخيله، فردوا عليه بصُرة فيها بارود، وقذائف ! فقرر غزوها. ابن خميس، معجم اليمامة، جـ ٢، ص ٩٥. أما ابن رشيد فيذكر أن أهل ضرما عندما مرت بهم حملة إبراهيم باشا، أخذوا يعيرونه ويلقون عليه الشتائم، فغضب وقرر تدميرها. ابن رشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٥.

(3) سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود: كان من قادة آل سعود، قائد فرقة من المدافعين عن الدرعية، وبعد سقوطها حاول الهرب ولكن جنود الباشا قبضوا عليه، فأمر الباشا بقتله عام ١٢٣٣هـ، ابن شر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩٩-٤١٨.

عفيصان[1] أمير الخرج في جماعة من أهل الخرج، ومحمد العميري[2] في عدد من رجال ثادق والمحمل[3]، وكان وصول هذه القوات إلى ضرما حافزاً مشجعاً لأهلها على المقاومة. فلما وصلها إبراهيم باشا وجدها محصنة[4]، وعلى أهبة الاستعداد لمقاومته.

استطاعت قوات إبراهيم باشا دخول البلدة من جهة الجنوب في صباح يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٢٣٣هـ/ ٢٤ فبراير ١٨١٨م، إذ يبدو أن قوات ابن عفيصان القليلة لم تستطع المقاومة فتوقفت عن القتال[5].

---

(1) متعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، من آل عائذ من قحطان، قُتل عام ١٢٢٤هـ بأمر من إبراهيم باشا على يد جوخ آغا الذي تولى أمر قتل آل عفيصان ومصادرة أموالهم. ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص٤٣٧-٤٣٨.

(2) محمد العميري: كان من رجال الدولة المخلصين، وقد اشترك في الدفاع عن الدرعية إلى أن سقطت ثم عاد إلى بلده في المحمل إلى أن قامت الدولة السعودية الثانية، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٠٥، جـ٢، ص ٣٠.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٤.

(4) كانت ضرما محاطة بسور كبير يتخلله ٢٠ برجاً.

(5) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٦، هذا ما فُهم من رواية ابن بشر للحدث، رغم أن الفاخري ذكر في تاريخه أنه (قيل) إن إبراهيم باشا استطاع الدخول عنوة إلى ضرما واستباحها بسبب الخيانة من متعب بن عفيصان حيث كان هو وعمه بها معهم عدة رجال، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٤٨. وفي =

وعندما وجـد المـدافعون في الـشمال أن قـوات إبـراهيم باشـا قـد دخلت البلد من الجنوب، خرجوا من مواقعهم إلى داخل البلد للـدفاع عن ذويهم، فكرّت خلفهم القواتُ المـصرية التـي كانـت تـواجههم في الشمال، وبذلك دخلت قوات إبراهيم باشا من كل الجهـات إلى البلـد. ولكن أهالي ضرما لم يستـسلموا لـذلك، فقامـت حـرب شـوارع بـين الطرفين، جاهـد فيهـا أهـل ضرمـا بكـل قـوة، إلا أن عـساكر الحملـة اسـتطاعوا هـزيمتهم بـشكل دنيء، حيـث لجـؤوا إلى الحيلـة للتغلـب عليهم، وذلك بأن يتقدموا إلى البيوت أو الجماعـات وينـادوا بالأمـان، فإذا اطمأن الأهالي لهم أخذوا سلاحهم ثم قتلوهم، وقد سمح إبراهيم باشا لجنوده بنهب البلدة وسلبها(١)!!

الحقيقة لم أجد ما يؤيد ذلك؛ لا في الوثـائق أو المـصادر الأخـرى التـي تـوافرت لدي، ويبدو أن موقف ابن عفيصان الضعيف وعدم قدرته على مواجهـة قـوات إبراهيم باشا فُسرت ـ تعجلاً من البعض ـ على أنها سماح طـوعي منـه لـدخولهم البلد وبالتالي خيانة منه، وهذا الرأي ضعيف؛ لما عرف عن آل عفيصان مـن ولاء للدعوة والدولة السعودية الأولى واعتبارهم من رجال الدولة المخلـصين الـذي قدموا لها خدمات جليلة على مدى تاريخها.

(١) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩٦.

استمرت حرب ضرما هذه حوالي ثلاثة أيام فقط، إلا أن أعداد القتلى فيها كانت هائلة، فقد خسرت ضرما حوالي ثلثي أهلها كما يصف ابن بشر الذي قدر أعداد القتلى بحوالي ٨٠٠ رجل من إجمالي أهلها البالغ عددهم ١٢٠٠ رجل، كما قُتل خمسون رجل من رجال التعزيزات التي كانت تساعدهم[١].

سقوط الدرعية:

إن أهم ما يوضح معالم الدرعية في تلك الفترة هو واقع أرضها والآثار الباقية فيها، إضافة إلى ما يعرفه أهلها عنها. فقد امتد العمران في الدرعية في منطقتين متباينتين، بحيث قامت عدة مواقع سكنية وزراعية في بطن الوادي وروافده، ومن أهم هذه المناطق: العلب، وسمحة، وقري قصير، وغبيراء، والسليماني، ومشرفة، وقليقل، وكتلة، والرفايع، وخيس نصر الله، والسهل، والطوالع[٢]. بينما قامت مناطق

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٣٩٦. أما الوثائق العثمانية فتشير إلى أن أعداد قتلى ضرما بلغ ١٥٠٠ قتيل، دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ٩٤، بتاريخ ١٥ رجب ١٢٣٣هـ. هذا العدد يتجاوز عدد رجالها كما ذكر ابن بشر، وقد يكون تقديرهم هذا مبالغاً فيه في محاولة من إبراهيم باشا ليُظهر لوالده مدى تفوقه في المهمة التي أوكلت له.

(2) ابن خميس، الدرعية، ص ٤٠٢-٤٠٤.

سكنية أخرى على جانبي الوادي في المرتفعات المجاورة، شكلت أهم أحياء الدرعية؛ وهي: الطريف، وغصيبة، وسمحان، والظهرة، وناظرة، والقرين. ويلاحظ أن أغلب هذه الأحياء تقع في الجهة الشرقية للوادي، وذلك نظراً لانبساط الأرض فيها، في حين أن المنطقة الغربية منه تحفها المرتفعات الجبلية وكثرة الروافد.

وسنتطرق بقليل من التفصيل لأهم أحياء الدرعية؛ وهي كالتالي:

١- **الطريف**: يقع على رأس جبل مثلث جنوب غرب الدرعية، على الضفة الغربية لوادي حنيفة، وهو مقر مؤسسات الدولة، ففيه قصر الحكم وبيت المال إضافة إلى قصور آل سعود، وهو محاط بسور ضخم محكم التحصين، وبجانبه حي الموالي أو «العبيد» الذي يقع إلى الغرب منه[1].

٢- **السهل**: إن هذا المصطلح يحمل معنىً جغرافياً لمنطقة بطن الوادي الواقعة في جنوب الدرعية أكثر من كونه مسمى لحي مستقل في الدرعية، فقد ضمت هذه المنطقة عدة أحياء صغيرة، هي المنازل التي ذكرها ابن بشر عندما أشار إلى أهل السهل، أثناء الحديث عن

---

(1) ابن خميس، الدرعية، ص ٤٠٥، الناصر، أحياء الدرعية، ص ٧، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ٤٢-٤٣.

حروب الدرعية قائلاً «أهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريح»[1].

ويقع حي البجيري أهم أحياء السهل في سفح الوادي على الضفة الشرقية من مجراه إلى الشرق من حي الطريف، وقد كان البجيري من أهم الأحياء في الدرعية كلها، رغم صغر مساحته؛ لأن فيه سكنَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وجامعه، وسكنَ أبنائه ومدارسهم التي تستقطب طلاب العلم من جميع الجهات، مما جعل حي البجيري أهم مراكز النشاط العلمي والديني في الدرعية[2].

٣- غصيبة: يقع هذا الحي على مرتفع شاهق من سفح وادي حنيفة في مثلث محصور بين وادي حنيفة من الغرب وشعيب قليقل من الجنوب الشرقي، ويحيط بهذا الحي سور كبير محصَّن، وهو مقر آل دغيثر[3].

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٥. وقد أيد ناصر بن عبدالله الدخيل أحد كبار السن في الدرعية أن السهل بالفعل مصطلح لمنطقة تضم عدداً من الأحياء، أهمها ما ذكره ابن بشر سابقاً.

(2) عبدالله المطوع، مجتمع الدرعية، ص ٦٣. الأطلس التاريخي، ص ٤٢-٤٣.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٤-١٨ (H.H19538C) بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٢٣٣هـ، ابن خميس، «الدرعية معالم وأطلال»، مجلة =

٤- **سمحان**: يقع إلى الجنوب من حي غصيبة، على مرتفع يطل على وادي حنيفة من الغرب وشعيب قليقل من الشمال، وشعيب قري عمران من الجنوب، وهو محاط بسور ضخم ومحصّن من جميع الجهات، ويُعَد أكبر أحياء الدرعية مساحةً؛ نظراً لامتداد الأرض في هذه المنطقة بين شعيبي قليقل وقري عمران[1].

٥- **ظهرة سمحان**: يقع على جبل عند ملتقى مجرى الوادي الرئيس مع رافد قري عمران في أقصى الجنوب الغربي لسمحان، وهو محصن بسور مستقل، وله بوابة ضخمة، وهو مقر سكنى بعض الأعيان، وقد سكنت فيه بعض الأسر القادمة من الشعراء، وقد سمي قصرها باسم الشعراء، وهو من القصور المشهورة في الدرعية[2].

٦- **حي الطرفية**: ويقع شمال سمحان على الضفة الشرقية لوادي

=

الدارة، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع أول ١٣٩٥هـ، ص ١٦-٢١، ابن خميس، الدرعية، ص ٤٠٥. الأطلس التاريخي، ص ٤٢-٤٣، وآل دغيثر أسرة من أعيان الدرعية من آل يزيد من بني حنيفة من وائل، حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر، جـ١، ص ٢٣٥.

(1) الأطلس التاريخي، ص ٤٢-٤٣.

(2) ابن خميس، الدرعية، ص ٤٠٦، الأطلس التاريخي، ص ٤٢-٤٣.

حنيفة، وهو حي أسرة آل سويلم المعروفة في الدرعية[١].

٧- **حي العودة**: يقع في الناحية الغربية لبطن الوادي مقابل حي غصيبة، وهو من أقدم أحياء الدرعية[٢].

وهناك بعض الأحياء الأخرى في الدرعية التي اندثرت، مثل: ملوي والحويطة والظويهرة وغيرها[٣].

من خلال ما سبق نجد أن الدرعية لم تكن وحدة مستقلة محاطة بسور، كما هي العادة في بناء البلدان في تلك الفترة، بل كانت تتكون من عدة وحدات مستقلة مسورة ومحصنة. وقد كان لهذا النمط من التخطيط العمراني الذي فرضته طبيعة الأرض في الدرعية دور كبير في مواجهة الحصار؛ إذ كان من الصعب على الجيش الغازي أن يحكم حصاره حول كل هذه الأحياء المستقلة والمسورة، خاصة أن البلدة مستطيلة تتخللها الكثير من الشعاب والممرات، ولعل هذا يفسر طول مدة الحصار من جهة، وعدم سقوط الدرعية كوحدة كاملة من جهة أخرى، إذ نجد أن أحياءها أخذت تسقط واحدة تلو الأخرى، كما سنرى لاحقاً.

---

(1) ابن خميس، الدرعية معالم وأطلال، ص ١٩، الناصر، أحياء الدرعية، ص ٢١.

(2) ابن خميس، الدرعية معالم وأطلال، ص ١٩.

(3) ابن خميس، الدرعية معالم وأطلال، ص ١٩.

لقد بقيت حملة إبراهيم باشا في ضرما بعد سقوطها في ١٧ ربيع الآخر ١٢٣٣هـ/ ٢٤ فبراير ١٨١٨م مدة[1] تزودت خلالها بالكثير من المؤن والذخائر التي نهبتها من هذه البلدة[2]، ولم تتحرك مباشرة إلى الدرعية، نظراً لسوء الأحوال الجوية، إذ تعرضت المنطقة لعواصف وأمطار غزيرة عرقلت سير الحملة[3].

بعد ذلك تحركت الحملة من ضرما باتجاه الدرعية، متخذة الطريق

---

(1) حسب ما أورد مانجان من تواريخ تحرك الحملة أشار إلى أن الحملة تأخرت في ضرما ما يقارب الشهر ولم تتحرك إلا في ٢٢ مارس ١٨١٨م/ ١٤ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٩، وهذا يخالف ما اتفقت عليه الوثائق العثمانية والمصادر المحلية المعاصرة التي تشير إلى أن مدة تحرك الحملة منذ انتهائها من ضرما وحتى وصولها إلى الملقا على مشارف الدرعية لا تتجاوز أكثر من أسبوعين. دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٨ (H.H19587) بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢ (H.H19587) بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٧.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٦، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٢.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٩، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٦٨، الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٥.

الشمالي عبر شعيب الحيسية، حتى وصلت إلى وادي حنيفة. وقد كان من الطبيعي أن تأخذ الحملة هذا الطريق للدخول إلى الدرعية؛ نتيجة لأن جبال طويق كانت تفصل بين ضرما والدرعية، وكان طريق الحيسية أكثر الطرق تمهيداً وأماناً، نظراً لأنه طريق مرور قوافل الحج القادمة من الشرق منذ القدم، ويقال إن هذا الطريق هو الذي دخلت منه جيوش خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في حروب الردة لقتال مسيلمة الكذاب[1].

وقد مرت الحملة في طريقها على بلدتي العيينة والجبيلة، ثم سارت على طول الوادي، حتى وصلت في أول جمادة الأولى ١٢٣٣هـ/ ٩ مارس ١٨١٨م إلى الملقا[2] على بعد ساعة شمال الدرعية، حيث

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥، جـ١، ص ١١٨.

(2) الملقا: هو اسم لمكان التقاء وادي حنيفة من الشمال ووادي العمارية من الغرب، وقري الملقا من الشرق، حيث تجتمع هذه الأودية الثلاثة مارة بالعلب، ثم العودة، ثم الدرعية، ثم عرقة، فالرياض، وهكذا، وكان به نخل لعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٦، ابن خميس، معجم اليمامة، جـ٢، ص ٣٨٩. ويُعد حالياً أحد أحياء مدينة الرياض الحديثة.

عسكرت الحملة هناك[1].

ثم تحرك إبراهيم باشا بكامل قواته من الملقا في اليوم الثالث من جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ١١ مارس ١٨١٨م[2]، بعد أن أعد الخطط العسكرية المناسبة لحصار الدرعية مستعيناً في ذلك بمستشاره الفرنسي فيسيير[3]، وعندما وصل إلى منطقة العلب[4] اتخذها مقراً عاماً لقيادته،

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٦، فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٥٢. ذكر مانجان أن إبراهيم باشا عسكر في العيينة، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥٩، كما ذكر لوريمر مثل ذلك، الخضيري، تاريخ البلاد السعودية، ص ١٧٥، وبذلك انفردا بذكر هذا الخبر الذي لم تشر إليه الوثائق العثمانية أو المصادر المحلية التي كانت أقرب إلى الأحداث وذكرت فقط مروره على العيينة وإقامة معسكره الأول في الملقا.

(2) ذكر مانجان أن تقدم إبراهيم باشا إلى الدرعية كان في ٦ إبريل/ ٢٩ جمادى الأولى، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٦٠، وهو تاريخ متأخر عما ذكرته الوثائق العثمانية والمصادر المحلية التي كانت أقرب إلى الصواب لاتفاقها واتصالها المباشر بالحملة.

(3) فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٠٩، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٧، البطريق، ذكرى البطل، ص ١٦.

(4) العلب، منطقة من مناطق الدرعية تقع في شمالها وبها نخل لفيصل بن سعود بن عبدالعزيز، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٧، ابن خميس، معجم اليمامة، جـ٢، ص ١٧٣.

وبدأ بتنفيذ خططه العسكرية[1].

استمر حصار إبراهيم باشا للدرعية ستة أشهر وخمسة أيام[2] حصلت فيها العديد من المعارك والمناوشات العسكرية، حتى قيل إن إطلاق النار لم يتوقف بين الطرفين يوماً واحداً[3].

وقد استماتت أهل السهل في الدفاع، وكان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب على رأس هؤلاء المدافعين، ورغم تقدمه في السن فإنه حرص على تشجيع أهل السهل على الدفاع، وقد استطاعوا بالفعل إجبار قوات إبراهيم باشا على التراجع عن هذه المنطقة. وكان لدفاعهم القوي هذا أثره في قبول إبراهيم باشا طلب الصلح الذي تقدموا به،

---

(1) دار الوثائق المصرية، محفظة بحر برا رقم ٥، وثيقة رقم ١٨٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٨ (H.H19587) بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢ (H.H19587) بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٩٧، فيلبي، العربية السعودية، ص٢٥٢.

(2) من ٣ جمادى الأولى إلى ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ من ١١ مارس إلى ٩ سبتمبر ١٨١٨م.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٠٧.

وذلك في اليوم السابع من ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ الثامن من سبتمبر ١٨١٨م[1].

أشاع سقوط غصيبة والسهل[2] اليأس والقنوط بين السعوديين؛ فخرج كثير من أهل الدرعية[3] ومن المدافعين عنها إلى خارجها، وقد سمح لهم إبراهيم باشا بمغادرتها والذهاب إلى حيث يحلو لهم[4].

ويذكر مانجان أنه لم يبق حول الإمام عبدالله سوى عدد قليل من

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٦، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص١٨١، لم تورد الوثائق العثمانية شيئاً عن هذه المعركة أو هذا الصلح المنفرد.

(2) كانت المعارك قائمة في وقت واحد في هذين الحيين وقد استسلما لإبراهيم باشا في نفس الوقت أيضاً، ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٨، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٥.

(3) يذكر مانجان أن من بين الفارين في هذا الوقت الأمير سعود بن عبدالله بن محمد الذي كان حاكماً لضرما (لم يكن حاكماً لها بل أمير الحامية التي أرسلها لها الإمام عبدالله عندما هاجمها إبراهيم باشا)، وأن جماعة من الفرسان قبضت عليه وسلمته لإبراهيم باشا؛ فأمر بقتله لأنه حنث بوعده الذي قطعه لإبراهيم باشا قبل مغادرته ضرما بألا يحمل السلاح في وجهه بعد ذلك، مانجان ص ١٧٦، في حين يذكر ابن بشر أن سعود بن عبدالله فر من الدرعية بعد سقوط الطريف، ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٨.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، ص ٤١٧، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦.

المقاتلين إلى جانب حرسه الخاص، والمؤلف من ٤٠٠ رجل"[1].

بعد سقوط السهل تقدمت قوات إبراهيم باشا لمحاربة الإمام عبدالله المتحصن في الطريف[2]، وبدأ إبراهيم باشا يعد العدة لهجوم قوي على هذا الحي[3] الذي كان أقوى أحياء الدرعية تحصيناً، فضلاً عن الحماية الطبيعية التي يوفرها له موقعه الجغرافي.

فقدم إبراهيم باشا مدافعه إلى رأس جبل باب سمحان[4] على

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٧.

(3) هناك روايتان حول معركة الطريف: إحداهما لابن بشر، والأخرى في الوثائق العثمانية، وهي في الأصل عبارة عن رسالة من رجل يقال له الشيخ سالم من أهل الكويت إلى الشيخ محمد بن إبراهيم العبد الرزاق الذي بعثها بدوره إلى داود باشا والي بغداد حول المعارك التي دارت في قلعة الطريف، وقد استقى أخباره من مكاتيب بعثها الشيخ ماجد العريعر له، وصورة من رسالة لإبراهيم باشا تتضمن هذه الأحداث ويوجد بين هاتين الروايتين عدة جوانب متشابهة.

(4) تذكر الوثائق العثمانية أنه نصب مدافعه في مكان يقال (الزلال) أو (التلال)، وفي الحقيقة لا يعرف تحديد موقع هذا المكان في الدرعية بدقة، ولعله قريب من رأس جبل سمحان، فهو المكان الذي ذكر ابن بشر أن إبراهيم باشا قذف الطريف منه. دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨-٤ =

الضفة الشرقية للوادي؛ لضرب الطريف بالقنابـل[1]، وقـد اسـتطاعت هذه الضربات أن تهدم أجزاء من قصور آل سعود في الطريـف، ولكـن الإمام عبدالله استطاع أن يواجه هذه الضربات بمن انحاز إليه من أهل البجيري وأهل النواحي، فـصارت معركـة كبـيرة، حيـث قـام الإمـام

=

(H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ. وقد ورد ذكر الزلال في قصيدة لبنـت الأمـير محمد بن سعود تصف فيها حملات عثمان بن معمر على الدرعية حيث قالت:

ما شاقني كود شربة لابن معمر   تطل على الزلال كل عشية

وقد ذكر البسام أنه موضع قرب سور الدرعية، ولكنه لم يحدد في أي جهة، فالـسور يحيط بجميع جوانب الدرعية، عبدالله البسام، علماء نجد، جـ ١، ص ١٤٥.

كما ذكر ابن بشر أن عريعر بن دجين أمير الأحساء حاصر جهة من الدرعيـة عـام ١١٧٨هـ فوزع جنـوده في المنطقـة بـين قـري قـصير وقـري عمـران، وذكـر أن المهاشير من بني خالد نزلوا على الزلال وأهل الأحساء وبقية بني خالـد قـصدوا جدار سمحان، وأهل سدير والوشم قصدوا قري قصير، ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٩٧-٩٨، وهذا يعني أيضاً أن الزلال في الجهـة الـشرقية للدرعيـة في منطقة قريبة من سمحان، ويبدو أنه يطل على الوادي.

(1) تبلغ المسافة بين رأس جبل سمحان والطريـف حـوالي نـصف كيـل، ورغـم أن وادي حنيفة يفصل بين المنطقتين، فإن ارتفاع منطقة سـمحان عـن الطريـف قـد ساعد في سهولة قذف المنطقة من هذا المكان.

عبدالله بإخراج المدافع الموجودة في قصره ووضعها في مصلى العيد لمواجهة القوات الثمانية المهاجمة له من جهة مصلى العيد، ورمى بها هذه القوات[1].

قرر إبراهيم باشا أن يهجم على الطريف من جميع الجهات؛ فقسم قواته إلى أربع فرق: فرقة تقدمت للطريف من جهة النصرية من شرق الطريف، وفرقة من جهة مناخ الحاج من شمال شرق الطريف، وفرقة من جهة الظهرة من شمال الطريف، وفرقة من جهة مصلى العيد شمال غرب الطريف[2]، ويلاحظ أنه لا توجد قوات من جهة جنوب الطريف؛ لأنها منطقة جبلية وعرة يصعب تسلقها.

وقد اشتد القتال بين الطرفين بالمدافع والبنادق، ولكن الإمام عبدالله قرر أخيراً الاستسلام وطلب الصلح[3] بعد أن تفرق عنه أكثر

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٧.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨-٤ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨-٤ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ. ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٧.

من كان عنده[1] ورأى أن لا فائدة من مطاولة القتال، فبعث بذلك إلى إبراهيم باشا، فتوقف القصف المدفعي وبدأت مفاوضات الصلح[2]، وذلك في اليوم التاسع من شهر ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ ١٠ سبتمبر ١٨١٨م[3].

على إثر الهجوم الكبير الذي قام به إبراهيم باشا على ما تبقى من الدرعية في السهل وغصيبة والطريف استسلمت الدرعية بأكملها، وقد عقد إبراهيم باشا ثلاث اتفاقيات منفصلة للصلح في الدرعية ـ حسب رواية ابن بشر ـ كانت أولها مع أهل السهل، وذلك في يوم الأربعاء السابع من ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ الثامن من سبتمبر ١٨١٨م حيث خرج إليه وفد من أعيان الدرعية مكون من: عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد، والشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن مشاري بن معمر، وفاوضوه على عقد صلح عام على كامل الدرعية،

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٧.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦-١٧٧.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ١-٤٢ (H.H19579) بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤١٧، حيرت أفندي، رياض الكتبا، ص ١٠١، ويذكر مانجان أن استسلام الدرعية في ٩ سبتمبر، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦، انظر خريطة رقم ١٢.

ولكن إبراهيم باشا رفض ذلك، وشرط تسليم الإمام عبدالله لنفسه أولاً، وأصر على أن يكون الصلح مقتصراً على السهل فقط، فصالحوه بالأمان على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه ديارهم، ودخل جيش إبراهيم باشا السهل لمحاربة الإمام عبدالله في الطريف[1].

وقد أشار مانجان إلى هذه الاتفاقية أيضاً، فيذكر أن أهل السهل - ويضيف لهم أهل غصيبة - استسلموا لإبراهيم باشا بشرط أن لا يدخل جيشه هذين الحيين إلا بعد الاستيلاء على الطريف[2].

ولكن إبراهيم باشا لم يوف بتعهداته، فابن بشر ذكر أن قوات إبراهيم باشا دخلت حي السهل لمحاربة الإمام عبدالله في الطريف كما سبق وذكرنا، ويذكر مانجان أن قوات إبراهيم باشا اضطرت إلى الدخول إلى غصيبة أيضاً لتسهل عليها العمليات الحربية ضد الطريف[3].

أما الاتفاقية الثانية، فهي التي عقدها إبراهيم باشا مع الأمير سعد بن عبدالله، الذي اعتصم في قصر غصيبة، وقد عقد معه إبراهيم باشا

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤١٦ ص ٤١٧، فيلبي، العربية السعودية، ص ٢٦٣.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٥.

(3) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٦.

اتفاقاً في نفس اليوم الذي صالح فيه أهل السهل، على أساس الأمان والخروج من القصر[1]. ويذكر مانجان أن سعد بن عبدالله لم يوقع اتفاقية تسليم مع إبراهيم باشا، ووثق في أريحية إبراهيم باشا، الذي أخذه أسيراً[2].

أما بالنسبة للوثائق العثمانية فقد أشارت إلى أن أهل الدرعية عرضوا على إبراهيم باشا الصلح أكثر من مرة منذ بداية الحصار، ولكنه رفض التفاوض معهم إلا بتسليم الدرعية، وخروج الإمام عبدالله إلى السلطان[3].

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٨.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى، ص ١٧٥.

(3) دار الوثائق المصرية، وثائق ذوات، وثيقة رقم ١/ ٩٤، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وقد أشار الرجبي إلى أن إبراهيم باشا وعبدالله بن سعود اجتمعا في بداية الحصار قبل قيام الحرب بناء على طلب من الإمام عبدالله، وجرت بينهما مفاوضات للصلح انتهت بالفشل، إذ رفض إبراهيم باشا أن يصالحه إلا أن يُسَلم نفسه للسلطان، ولكن عبدالله رفض ذلك وخرج إلى الدرعية بعد فشل هذه المفاوضات، ويذكر أن هناك من أشار على إبراهيم باشا بأن يقبض على عبدالله بن سعود ويجنب نفسه عناء الحرب، ولكنه رفض لأنه سبق ووعده بالأمان، فخرج عبدالله سالماً من عنده وقامت الحرب بينهما، الرجبي، تاريخ الوزير محمد علي، ص ١٥٨-١٥٩، وهذه رواية غريبة لأنه لم يرد في الوثائق =

وقد أشارت وثيقة عثمانية إلى اتفاقية السهل، فذكرت أن محمد بن مشاري وعلي ابن الشيخ التمسا الأمان من إبراهيم باشا، فمنحهما إياه، وأبقى عليهما، في حين أعدم سعوداً ابن عم الإمام عبدالله بعد أن قبض عليه. كما أشارت الوثيقة إلى اتفاقية قصر غصيبة، فذكرت أنه تم القبض على سعد بن عبدالله وأنه ألتمس الأمان فمُنح له[1].

أما الاتفاقية الثالثة فكانت بعد سقوط الطريف آخر معاقل الدرعية، إذ أدرك الإمام عبدالله أنه لا فائدة ترجى من إطالة المقاومة، فأرسل إلى إبراهيم باشا يطلب التفاوض معه، فأجابه إلى ذلك، واجتمع الطرفان لتقرير شروط الاتفاق.

وقد اختلفت الروايات في تفاصيل هذا اللقاء والشروط المتفق عليها، فابن بشر لم يذكر شيئاً عن هذا الاجتماع المزعوم الذي عقد بين إبراهيم باشا والإمام عبدالله، وكل ما ذكره هو أنهما تصالحا في التاسع من ذي القعدة ١٢٣٣هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨١٨م على أن يسلم

العثمانية والمصادر المحلية والأجنبية المتوافرة أن إبراهيم اجتمع بالإمام عبدالله قبل سقوط الدرعية.

(1) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٥/ ١-١٥٣ (H.H19685A) بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

الإمام عبدالله نفسه وأن يخرج إلى السلطان[1].

كما أن الوثائق العثمانية لم تُفَصل أيضاً في أحداث هذا الصلح، وكل ما ذُكر أن الإمام عبدالله طلب الأمان من إبراهيم باشا فمُنح الأمان[2]، وأنه جاء في وفد مكون من أربعة أشخاص من أبناء آل سعود وآل الشيخ، وأنهم استسلموا لإبراهيم باشا فأرسلهم إلى مصر[3].

عوامل سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى[4]:

لم يكن سقوط الدرعية نتيجة لعوامل مباشرة حصلت أثناء حملة إبراهيم باشا وحصاره للدرعية فقط، بل إن مقدمات تحلل وسقوط

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٧.

(2) دار الوثائق المصرية، وثائق ذوات، رقم ١/ ٧٥ بتاريخ ١٥ ذي القعدة ١٢٣٣هـ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٣/ ٨-٤ (H.H19529A) بتاريخ ١١ محرم ١٢٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ٢/ ٤-١٨ (H.H19529E) بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة ١/ ٢-٢٢١ (H.H19529A) بتاريخ ١٢٣٤هـ.

(4) للمزيد عن هذا الموضوع تُنظر رسالة الدكتور محمد السلمان «بطولات وقائع معركة الدرعية..»، حيث عقد مبحثاً بعنوان: «أسباب سقوط الدرعية»، ص(٢٧ وما بعدها).

الدولة السعودية الأولى اتضحت منذ فترة مبكرة من بداية الحملات المصرية عليها، خاصة أنها دولة ناشئة ،كانت منذ بداية نشأتها وحتى سقوطها في حالة حرب مع أعدائها من جهة، وتوسيع لنفوذها وتثبيته من جهة أخرى. فقد كانت أطراف الدولة تُشَكِّل دائماً مصدراً للاضطراب وتهديد للدولة، وحتى وقت وصول الحملات المصرية لم تكن الدولة السعودية قادرة على ضبط حدودها، وضبط القوى المجاورة لها؛ مما أدى إلى تكالب هذه القوى عليها في النهاية، الأمر الذي أدى إلى إضعافها وسقوطها.

أما بالنسبة للعوامل المباشرة التي أدت إلى سقوط الدرعية فهي كثيرة ومتعددة وتنصب في عدد من المحاور الهامة دينيًّا وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً ونفسياً، وهي إجمالاً كالتالي:

١- العوامل الدينية:

وهو يأتي على رأس هذه العوامل، حيث يفسر عدد من العلماء والمؤرخين النجديين سبب هزيمة الدولة السعودية الأولى وسقوطها إنما يعود إلى انتشار الذنوب والمعاصي في الدولة، وانغماس الناس في الملذات إثر الترف الناجم عن اتساعها وثرائها[1].

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٦٥، عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص١٢٣، القصيمي، الثورة الوهابية، ص ٢٩.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ في نصيحته للإمام عبدالله بن فيصل بن تركي ـ رحمهم الله ـ:

«**تفهم**: أن أول ما قام به جدك محمد، وعبدالله، وعمك عبدالعزيز أنها خلافة نبوة، يطلبون الحق ويعملون به، ويقومون ويغضبون له، ويرضون ويجاهدون، وكفاهم الله أعداءهم على قوتهم، إذا مشى العدو كسره الله، قبل أن يصل؛ لأنها خلافة نبوة، ولا قاموا على الناس إلا بالقرآن والعمل به، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

وأخذ **عمك** في الإسلام، حتى جاوز الثمانين في العمر، والإسلام في عزّ وظهور، وأهله يزيدون، وحصل لهم مضمون قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وصار أهل الأمصار يخافونهم؛ **وأراد الله** سبحانه إمارة سعود بعد أبيه، يرحم الله الجميع. **وأراد الله أن يُغَير** طريقة والده الذي قبله، **وبغاها ملكاً**، وبدأ الأمر ينقص أمر الدين، والدنيا تطغى، يشرى البيت بستمائة ريال في الدرعية، والنخلة الواحدة بستين ريالاً، مائة نخلة بستة آلاف ريال، أنا الكاتب لمشتراها.

وصار العاقبة: القصور التي بنيت بقناطير، والمقاصير التي تنقد فيها الأموال العظيمة، التي تسوى ثلاثة آلاف، ما تسوى اليوم إلا

جديدة، لَمَّا جرى ما جرى، من تسليط الأعداء عليهم، هذا وهم على التوحيد، لكن ما أعطوه حقه.

اشتغلوا بالدنيا ونضارتها، وما فتح الله عليهم، وأعرضوا عما أوجب الله عليهم القيام به في أنفسهم وعلى الناس، فجرى ما جرى؛ وصار الحمولة: أكثر شرائدهم الذين بقوا، آجالهم في مصر.

وهذا بسبب الغفلة عما أوجب الله، لأن الله اختار لهم أمراً عظيماً، ومكّنهم منه ومن الناس، لكن حصل تفريط في هذه النعمة العظيمة.

الدرعية اليوم، من تدبر حالها وحللها: عرف أن ما جاءهم إلا ذنوبهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار»[1].

وقال ابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن - رحمهم الله - في رسالة له:

«**وأنتم تفهمون**: ما أنعم الله به على أهل نجد، بعد تقادم العهد بآثار النبوة، ونور الرسالة، في القرن الحادي عشر، من هجرته ﷺ، من ظهور الشيخ: محمد، رحمه الله تعالى، ودعوته إلى ما دعا إليه المرسلون.

ووازره من سبقت له من الله السعادة، وصبروا في ذات ربهم، على ما نالهم من الشدة والعداوة، وجعلهم الله ملوكاً بذلك، ودانت لهم

---

(1) «الدرر السنية» (١٤/ ١٢٢-١٢٤).

العرب، ثم لم يزالوا على ذلك مستمرين، حتى حدث من فتنة الشهوات، ما أوجب العقوبة، فسلط الله العسكر المصري، طهرة وتمحيصاً واختباراً»[1].

وقال العلماء محمد بن عبداللطيف، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالعزيز بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف، وعبدالرحمن بن عبداللطيف، ومحمد بن إبراهيم بن عبداللطيف، ومحمد بن عبدالله بن عبداللطيف في خطابهم للملك عبدالعزيز ـ رحمهم الله جميعاً ـ:

«وأنت عارف بما كان عليه أهل نجد، قبل هذه الدعوة المباركة من الشر في دينهم ودنياهم، ثم إن الله تعالى أنقذهم من ذلك بهذه الدعوة الدينية، قدس الله أرواح من قام بنصرها، وجزاهم عن أهل نجد خصوصاً، وعن المسلمين عموماً، خير ما جزى به من قام بنصرة دينه، وجاهد في الله حق جهاده، ولم تقم دعوتهم، ولا استقامت ولايتهم، إلا على أمرين: القيام بحق الله تعالى، والقيام بحقوق عباده، ورعاية مصالحهم؛ يعرف ذلك من سيرتهم، كل من له أدنى إلمام بشيء، من العلم بأحوالهم.

ثم لما وقع التقصير منهم، في أشياء دون ما نحن فيه اليوم، حل بهم

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ٢٨١).

ما حل، مما نرجو أنه كفارة لهم، وتمحيص، ومحق لأعدائهم، فعاد نجد إلى قريب من حالته الأولى، بسبب ارتكاب بعض المحرمات.

ثم إن الله تعالى منّ بتجديد الدعوة، وقام بنصرها جدك تركي، وجدك فيصل، جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ولهما من السيرة المحمودة، وتقديم الشرع، وترك الظلم والتعدي، وإقامة العدل ما لا يحتاج إلى شرح»[1].

وقال الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ:

«.. ثم لما انقضى زمن الدرعية، وتسلطت عليهم العساكر المصرية، بسبب ما اقترفه أولاد سعود، من الذنوب والتقصير في الأوامر الدينية»[2].

قلتُ: ويعتمد ما ذكره العلماء ـ سابقاً ـ على سنة إلهية بيَّنها الله تعالى مراراً وتكراراً في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

---

(1) المصدر السابق (٩/ ٣١٠-٣١٢).

(2) «منهاج أهل الحق والاتباع...» ص(١٨).

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ متحدثاً عن بعض الحِكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة «أحد»، التي هُزم فيها المسلمون:

«منها: تعريفُهم سوء عاقبة المعصية، والفشل، والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشُؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشدَّ حذراً ويقظة، وتحرُّزاً من أسباب الخذلان.

ومنها: أن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يُدالوا مرة، ويُدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميّز الصادق من غيره، ولو انتُصِر عليهم دائماً، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويُطيعهم للحق، وما جاؤوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة.

ومنها: أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هِرَقْلُ لأبي سفيان: هل

قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سِجال، يُدالُ علينا المرة، ونُدال عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تُبْتَلى، ثم تكون لهم العاقبة(١).

ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصِّيتُ، دخل معهم في الإسلام ظاهراً مَنْ ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سَبَّبَ لعباده مِحْنَة ميَّزت بين المؤمن والمنافق، فأطْلَعَ المنافقون رؤوسَهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مُخَبَّآتُهم، وعاد تلويحُهم تصريحاً، وانقسم الناسُ إلى كافر، ومؤمن، ومنافق، انقساماً ظاهراً، وعَرَفَ المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دورهم، وهم معهم لا يُفارقونهم، فاستعدوا لهم، وتحرَّزوا منهم. قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. أي: ما كان اللهُ ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٧٩ و١/ ٣٠، ٤١) من حديث أبي سفيان.

هؤلاء وهؤلاء، فإنهم متميزون في غيبه وعلمه، وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزاً مشهوداً، فيقع معلومهُ الذي هو غيبٌ شهادةً. وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسل، فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يُطْلِعُ عليه رسله، فإن آمنتم به وأيقنتم، فلكم أعظم الأجر والكرامة.

ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقًّا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائماً، وأظفرهم بعدوِّهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً، لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يُصلح عباده إلا السراء والضراء، والشدة والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبِّر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغَلَبَةِ، والكَسْرَةِ، والهزيمة، ذلُّوا وانكسروا، وخضعوا، فاستوجبوا منه العِزَّ والنَّصْرَ، فإن خِلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥]، فهو ـ سبحانه ـ إذا أراد أن يُعز عبده، ويجبره، وينصره، كسره أولاً، ويكون جبره له، ونصره على مقدار ذله وانكساره.

ومنها: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً ورُكوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته، قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه، لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه.

ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.

ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يُهْلِك أعداءه ويمحقهم، قَيَّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم. وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩- ١٤١].

فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم، وإحياء عزائمهم وهِممهم، وبين حُسن التسلية، وذكر الحِكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ

قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فقد استويتم في القرح والألم، وتباينتم في الرجاء والثواب، كما قال: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء: ١٠٤]، فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس، وأنها عرضٌ حاضر، يقسمها دُوَلاً بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة، فإن عزَّها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهداً واقعاً في الحس.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء، فإنه يحب الشهداء من عباده، وقد أعدَّ لهم أعلى المنازل وأفضلها، وقد اتخذهم لنفسه، فلابد أن ينيلهم درجة الشهادة. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، تنبيه لطيف الموقع جدًّا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد، فلم يشهدوه، ولم يتخذ منهم شهداء، لأنه لم يحبهم، فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك

اليوم، وما أعطاه من استشهد منهم، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءَه وحزبه.

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم، وهو تمحيص الذين آمنوا، وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب، ومن آفات النفوس، وأيضاً فإنه خلصهم ومحَّصهم من المنافقين، فتميزوا منهم، فحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم، وتمحيص ممن كان يُظهِرُ أنه منهم، وهو عدوهم...» إلخ ما ذكره ابن القيم ـ رحمه الله ـ[1].

٢- عدم التكافؤ في القوة العسكرية:

على الرغم من تفوق السعوديين في أعداد المقاتلين إلا أن إبراهيم باشا تفوق في ترديب جنوده بشكل أفضل على أساليب القتال الحديثة وطرقه الفنية[2].

---

(1) «زاد المعاد» (٣/ ٢١٨-٢٢٣) وهو نفيس، جدير بكل مؤمن الاطلاع عليه؛ لمعرفة سُنن الله في عباده. وقد لخصه الشيخ عبدالعزيز بن معمر ـ رحمه الله ـ في رده على النصراني الذي شمت بالمسلمين؛ لانهزامهم في عدد من المعارك. انظر كتابه: «منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب»، ص(٢٧٧ وما بعدها).

(2) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ١٠٧، عبدالرحيم، الدولة =

كما أن القوات السعودية كانت تفقد الكثير من الجنود والأتباع على مدى معاركها مع إبراهيم باشا، في حين أن قوات إبراهيم باشا كانت في تزايد مستمر؛ إذ لم تنقطع قوافل الإمداد من مصر بالعساكر والمؤمن طوال مدة الحرب[1]، فضلاً عن البدو الذين حرص إبراهيم باشا على انضمامهم لقواته، حتى أنه أمضى أكثر من ستة أشهر في الحناكية لا هم له إلا ربح أكبر عدد من القبائل البدوية لجانبه، حتى استطاع أن يطعم جيشه برجال هذه القبائل تطعيماً قوياً، ثم تقدم إلى نجد، فضلاً عن استعانته أثناء الحصار برجال البلدان النجدية المجاورة للدرعية للقتال معه[2].

كما كانت القوات العثمانية المصرية تتفوق على القوات السعودية في جانب مهم؛ وهو إعدادها الجيد بكل ما يلزم الجيوش الحديثة من مؤمن وأموال وذخائر وأسلحة حديثة وفتاكة،لم يعهدها السعوديون من قبل، وقد وصفها ابن بشر فذكر أنها كانت مدافع هائلة «كل واحد

=

السعودية الأولى، ص ٣٥٥.

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤٣٨.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٠، عسة، معجزة فوق الرمال، ص ٣١-٣٣.

يثور مرتين، مرة من بطنها، ومرة تثور رصاصته وسط الجدار بعدما تثبت فيه فتهدمه»[1] وفي موضع آخر وصف قبوس وقنابر إبراهيم باشا بأنها «أمر هائل من عظم رصاصها وما يفعل في البروج والجدران والبيوت، وقيل أن رصاصة القنبرة وزنت وبلغت أكثر من عشرين وزنة»[2].

أما بالنسبة للسعوديين فقد كانت تنقصهم الأسلحة الحديثة، وخاصة سلاح المدفعية، فرغم وجود عدد لا بأس به من المدافع لدى السعوديين، إلا أنها قديمة وضعيفة، ولم تكن من النوع الحديث الذي يستطيع أن يضاهي مدفعية الجيش العثماني المصري الحديثة[3]، وربما كان القائمون عليها لا يجيدون استعمالها، وتنبع أهمية هذا السلاح في أنه يقوم تقريباً بمهمة سحق العدو، فيصبح ما على المشاة بعد ذلك إلا دخول أرض محروقة لاحتلالها بأبسط الطرق.

أما بالنسبة للخطط العسكرية والأساليب القتالية، فقد اتضحت

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٧.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٨.

(3) العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ١٠٧، عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥، محمد السلمان، «بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة»، مجلة الحرس الوطني، العدد٨٨، جمادى الثانية ١٤١٠هـ/ يناير ١٩٩٠م، ص ٣٥.

كفاءة إبراهيم باشا ومستشاريه في حسن التدبير ورسم الخطط الحربية التي ظهرت نتائجها في حروبه مع السعوديين، فقد سار على خطة عسكرية ماكرة تقوم على عدم التقدم للدرعية إلا بعد امتلاك البلاد، وعلى محالفة القبائل البدوية التي في طريقه ليبقى طريق تموين جيشه آمناً[1]، وكان يقوم أثناء المعارك بتحركات تكتيكية حديثة مع تقديم جهاز المدفعية لإسناد ناري مستمر، مما فتح له المجال للتفوق في العديد من المعارك التي خاضها، نتيجة لعدم معرفة السعوديين بهذه الخطط والتكتيكات الأوروبية الحديثة.

بقي أن يقال: إنه رغم التفاوت الواضح بين القوات السعودية والعثمانية المصرية إلا أن رجال القوات السعودية كانوا يمتلكون مقومات جيدة تخولهم ليكونوا جيشاً لا يُقهر[2]، وقد وقد ذكر جان جاك رسو عن مزاياهم العسكرية أنهم «يواجهون المخاطر والموت بشجاعة فائقة، ولا يمكن لشيء أن يحد من جموح إقدامهم؛ لأنهم يهاجمون أعداءهم أملاً في الشهادة إن هم قتلوا، والسلاح بأيدهم، وأنه لا ينقصهم ليصبحوا شعباً لا يُقهر قادراً على إخضاع آسيا كلها لسلطته

---

(1) الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٠٠، السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٥.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٧.

إلا أن يدعموا ميزاتهم الجسدية والأخلاقية بمعرفة التقنية والنظام العسكريين اللذين ما زالا ينقصانهم»[1].

٣- عدم التكافؤ في القيادة:

اتضح عدم التكافؤ بين قيادتي الجيش السعودي والجيش العثماني المصري بعد وفاة الإمام سعود وتولي إبراهيم باشا قيادة الحملة المصرية، فقد قرر محمد علي إرسال إبراهيم باشا على رأس هذه الحملة وسحب طوسون من القيادة؛ لأن إبراهيم باشا كان أشجع منه وأكثر صلابة وحزماً، وليس هذا فقط، بل كان يتميز بالعنف والثبات وقوة الإرادة[2] التي وجد محمد علي أنها من الصفات الهامة التي يجب أن تتوفر في القائد الذي سيخوض الحرب في صحراء نجد القاحلة، وفي أراضي البدو الذين عُرفوا بتغير ولائهم، مما يستوجب معه وجود قائد محنك يعرف كيف يستميلهم ويُرعبهم في الوقت نفسه.

---

(1) جان جاك روسو، وصف باشوية بغداد، ترجمة: محمد خير البقاعي، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧.

(2) غزال، المملكة العربية السعودية، ص ٨١، الشبل، عبدالله، تاريخ نجد والدولة السعودية الأولى، الرياض، ١٩٨٠م، ص ١٣٣، السلمان، معركة الدرعية، ص٣٥.

وبخسارة الدولة السعودية للإمام سعود الذي كان قائداً عسكرياً عظيماً، وسياسياً محنكاً؛ ظهر الضعف في القيادة السعودية، إذ خلفه ابنه الإمام عبدالله الذي لم يكن في مستوى والده في القيادة العسكرية والسياسية، إذ يرى كثير من المؤرخين أن الإمام عبدالله كانت تعوزه كثير من الصفات، فقد كان يتصف بلين الجانب وعدم الحنكة والدراية، رغم اتصافه بالشجاعة والإقدام في مواجهة العدو(1).

ارتكب الإمام عبدالله أثناء حروبه مع العثمانيين عدداً من الأخطاء؛ سواء في قيادته العسكرية وخططه الحربية، إذ كان قائداً مفرطاً في الحذر في المعارك، فلم يستغل كثيراً من الفرص التي أتيحت له لمهاجمة عدوه(2)، أو في سياسته في التعامل مع البدو والمستجدات التي تطرأ على الساحة، مما أضعف مركزه عند كثير من القبائل(3) التي رأت

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٦، بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص ٢٦٩، ابن جريس،، مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تحقيق محمد العقيل، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٩هـ، ص ١٢٥، الرشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٤، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٩، العطار، صقر الجزيرة، ص ٦١، أحمد علي، آل سعود، ص ٥٤.

(2) فيسي، الدرعية، ص ١٤٠.

(3) أحمد علي، آل سعود، ص ٥٤، العقاد، الحملة المصرية، ص ١١٧، محمد مرسي

أن من مصلحتها أن تقف إلى جانب إبراهيم باشا طمعاً في الغنائم والمكاسب التي ستحصل عليها مقابل ذلك، أو خوفاً من بطشه وانتقامه كما سبق وذكرنا.

ولكن رغم كل ذلك فالإمام عبدالله حاول جاهداً أن يقاوم الحملات العثمانية المصرية فترة طويلة تزيد عن أربع سنوات ونصف، ولكن الظروف المحيطة به، والتي ألمت بالدولة في عهده، كانت عوامل مساعدة في إضعافه أمام هذه المواجهة الصعبة.

فإضافة إلى الخطر الخارجي الذي كانت تتعرض له الدولة وفقدانها لأجزاء كبيرة من الحجاز وعسير أثناء توليه الحكم، كانت إمارته تتعرض للخلافات الداخلية؛ وأولها خلافه مع عمه عبدالله بن محمد بن سعود الذي أخذ ينافسه على الحكم ويرى نفسه أحق منه؛ خاصة أنه لمس في الإمام عبدالله بن سعود ليناً وعدم دراية كافية في منازلة العدو، فأراد تولي الأمور، ولكنه لم ينجح؛ لتأييد الكثيرين للإمام عبدالله بن سعود[1].

عبدالله، إمارات الساحل وعمان، ص ٢٥٠.

(١) العطار، صقر الجزيرة، ص ٦١، غزال، المملكة السعودية، ص ٧٩، حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٠هـ

كما واجه الإمام عبدالله خلافات متعددة من إخوته، فقد كانوا لا يوافقونه الرأي في كثير من الأحيان، وقد نازعه أخوه فيصل، فكان يأمر وعبدالله يأمر؛ فتفرقت شوكتهم[1]، ورغم أنه لا توجد دلائل كثيرة على هذه الخلافات في المصادر التاريخية إلا بعض الإشارات الغامضة كالتي جاءت عند الشيخ عبدالرحمن بن حسن في المقامات، إذ ذكر أنه بعد وفاة الإمام سعود تجهز أبناؤه للجهاد على اختلاف كان من أولئك الأولاد، فصاروا جانبين، جانبٌ مع عبدالله وجانب مع فيصل[2]. ومن هنا نجد أن بروز هذه الخلافات ومعرفة الناس والجند بها كان كفيلاً بأن يفت في عضد الإمام عبدالله وقوته أمام مواجهة قوات العدو المحيطة به.

ومن خلال ما سبق يتضح أنه على الرغم من وجود بعض الحق فيما قيل عن الإمام عبدالله، إلا أن التاريخ عادة ما يدين المغلوبين، ويبالغ في وصفهم بالضعف، دون النظر للملابسات والأوضاع

=

٢٢٤، الخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٢.

(1) ابن جريس، مثير الوجد، ص ١٢٥.

(2) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١١٦.

المحيطة بهم، والتي تكون أقوى منهم في أغلب الأحيان[1]، كما حدث مع الإمام عبدالله .

٤- عدم استغلال الفرص المتاحة:

ذلك أن القوات السعودية لم تحاول أن تستفيد من الأخطاء والهزائم التي وقعت فيها قوات محمد علي منذ بداية حملاته على الدولة السعودية[2]؛ ومن هذه الفرص:

أ- هزيمة طوسون باشا في الصفراء، وعدم تتبع السعوديين لفلول جيشه وإبادته[3].

ب- تقدم طوسون باشا إلى القصيم وعقد الهدنة مع الإمام عبدالله، فكثير من الباحثين يرون أن الإمام عبدالله أخطأ في قبول هذه الهدنة؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرجاً، فكانت ذخائرهم على وشك النفاذ، وكان الجو الخانق في صحراء نجد قد فتك بالجنود والماشية، فالإمام عبدالله بهذا الصلح سمح لهم بالخروج من الضيق،

---

(1) فاسلييف، العربية السعودية، ص١٧٧ .

(2) عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥.

(3) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١١٦، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ٤٤، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٢٢.

فلو أنه تابع القتال لاستطاع الانتصار عليهم، والقضاء على هذه الحملة، واستعادة الحجاز، وتحقيق انتصار كبير يصعب على العثمانيين بعد ذلك مواجهته[1].

ج- حصار إبراهيم باشا للرس والمقاومة العنيفة التي واجهته، لدرجة أنه حاصرها ما يقارب الأربعة أشهر، فلو أن الإمام عبدالله حاول أن يقطع على إبراهيم باشا خطوط إمداده من المدينة إلى الرس، خاصة أنه كان يعسكر قريباً من المنطقة؛ لكان حصر إبراهيم باشا في داخل نجد دون إمدادات، وبذلك يستطيع القضاء على قوته بسهولة[2].

د- حادثة حريق مستودع ذخائر إبراهيم باشا أثناء حصار الدرعية، فكثير من المؤرخين يعيبون على الإمام عبدالله عدم استغلاله هذه الفرصة الذهبية، إذ كان بإمكانه أنه يستنزف ما تبقى من ذخيرة لدى جيش إبراهيم باشا، ثم يشن عليه هجوماً قوياً يقضي عليه قضاءاً

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٠٤، حافظ وهبة، جزيرة العرب، ص ٢٢٥، العطار، صقر الجزيرة، ص ٦٢.

(2) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٢/ ١-٢٣ (H19592) بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٢٣٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية وثيقة رقم ٥/ ١-٦٥ (H19592) بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٣٣هـ، ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٣٨٧، الفاخري، تاريخ الفاخري، ص ١٨٠.

تاماً[1].

هـ- كان جيش إبراهيم باشا موزعاً في أعلى الدرعية على المرتفعات الشرقية والغربية لوادي حنيفة، وقد سال وادي حنيفة أثناء الحصار سيلاً عظيماً، فشطر قوات إبراهيم باشا إلى شطرين على جانبي الوادي، وانقطعت الصلات بينهما، فكان من السهل للقوات السعودية أن تخرج للقسم الذي يليها من الجيش فتبيده إبادة كاملة، حتى إذا توقف السيل أجهزت على القسم الآخر، ولكن ذلك لم يحدث[2].

لو أن السعوديين استغلو هذه الفرص كما يجب، لكان من المحتمل أن يتغير مسار المعارك لصالحهم، أو على الأقل الحيلولة دون توغل قوات إبراهيم باشا إلى نجد[3].

---

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٧٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٥٧٦، عبدالله بن خميس، «ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية»، مجلة الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول، شوال ١٤٠٤هـ ص ٤٤.

(2) ابن خميس، ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية، ص ٤٤.

(3) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

٥- الأخطاء الحربية:

لم يعمل الإمام عبدالله على تطبيق الخطة المثلى في مثل ظروف حربه مع العثمانيين، وهي أن يقوم بتقسيم جيوشه إلى عدة فرق توزع على جميع منافذ طرق نجد التي يمر بها الجيش الغازي، بحيث تغير هذه الفرق على القوات العثمانية وعلى قوافل إمدادها بشكل مستمر، وتعمل على إرهاق العدو ومضايقته، بواسطة هجمات مفاجئة غير متوقعة، لاستنزاف قواته، حتى إذا جاءت الظروف الملائمة أجهز بالضربة القاضية، واستعاد البلدان التي فقدها[1]، خاصة وأنهم أصحاب الأرض، ويقاتلون في ظروف مناخية تعودوا عليها، وبذلك يكون من الصعوبة على جيش إبراهيم باشا اختراق الصحراء النجدية، أو التماسك لفترة طويلة عند الدرعية في حال اجتازوها[2].

---

(1) تشير بعض الأخبار إلى أن إبراهيم باشا كان يتعجب من عدم اتباع السعوديين لمثل هذه الخطة، وأنه استفسر من الإمام عبدالله عن ذلك عندما قبض عليه فرد عليه، الإمام عبدالله بأن أهل الدرعية قد أشاروا عليه بمثل ذلك، وعلل عدم أخذه بهذه المشورة بالقضاء والقدر. ابن خميس، ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية، ص ٤٤.

(2) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٧، بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ص ٢٧٠، إدوارد جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ص ٦٠١، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص١١٢، أحمد مرسي عباس، العسكرية =

كما ارتكب الإمام عبـدالله بعـض الأخطـاء في مواجهتـه للقـوات الغازية في معارك كبيرة ومكشوفة، رغم نصيحة والده له بعدم خـوض مثل هذه المعارك[١]، مثلما حصل في معركة بِسْل التـي كانـت نتنيجتهـا تثبيت سلطة محمد علي في الحجاز، وكذلك في معركة الماوية التي انتهت بانتصار حاسم لإبراهيم باشا، أدى إلى تراجع الـسعوديين إلى البلـدان المحصنة، وترك الطريق مفتوحاً لإبراهيم باشا يتقدم إلى نجد.

ومن الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها الإمام عبدالله أثناء حروبه مع إبراهيم باشا اتخـاذه أسـلوب التحـصن في المـدن، رغـم أن كثـيراً مـن الشواهد التاريخية تقول إن المدينة المحاصرة مدينة محتلة[٢]، ولكن يبـدو أن الإمام عبدالله اتخذ هذا الرأي متوقعاً أن حصار إبراهيم باشـا لكـل بلـدة في نجـد كفيـل باستنـزاف قـواه وتثبيط همتـه في الوصـول إلى الدرعية، ولكن الإمام عبدالله أخطأ في تقدير الأمور، خاصة أن طـرق

=

السعودية، ص ١٦٦.

(1) فيسي، الدرعية ص ١٠٤، العجلاني، عهـد الإمـام عبـدالله بـن سـعود، جـ٤، ص٤١.

(2) مانجان، تاريخ الدولة الـسعودية، ص ١١٩، أحمـد مـرسي عبـاس، العـسكرية السعودية، ص ١٦٦.

إمدادات إبراهيم باشا متصلة مع مصر بشكل جيد ومستمر، إضافة إلى مساعدة البدو له، مما أمّن له فرصاً أكبر في البقاء قوياً داخل نجد دون خوف، والاستمرار في مهاجمة البلدان النجدية واحدة تلو الأخرى، والوصول إلى الدرعية في قوة كبيرة لم يتوقعها الإمام عبدالله.

ويرى عدد من الخبراء الحربيين الغربيين أن الإمام عبدالله أخطأ أيضاً في عدم هروبه من الدرعية، حتى من قبل أن يحاصرها إبراهيم باشا[١]، والواقع أن هذا ليس تفكير الخبراء الغربيين فقط فقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - في المقامات أن الشيخ مبارك الظاهري أشار على الإمام عبدالله بن سعود أن يخرج مع عدد كبير من أتباعه المخلصين بحوالي ثلاثة آلاف من الإبل، ويخرج إلى قبائل قحطان لتمنعه، وذكر الشيخ عبدالرحمن أن القَدَر لو ساعده لما ظفر به عدوه، ولكان هذا الرأي أسلم له، ولكن الله لم يرد ذلك[٢].

---

(1) سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ١٤٨، العجلاني، عهد الإمام عبدالله بن سعود، جـ٤، ص ١١٢ نقلاً عن الجنرال فيغان القائد الفرنسي.

(2) عبدالرحمن بن حسن، المقامات، ص ١٢٦ ص ١٢٧. كما توفرت للإمام عبدالله فرصة للهرب أثناء عملية نقله من نجد إلى مصر، وقد أشار عبدالله بن خميس إلى حادثة يتداولها الناس بهذا الخصوص، وذلك أنه أثناء نقل الإمام عبدالله إلى مصر وصل ومن معه من الحراس إلى منطقة تحيط بها جبال شاهقة، وكان ممن مع

ويبدو أن الإمام عبدالله رأى في هروبه من الدرعية عاراً عليه، لذلك انتصرت في نفسه عوامل الشجاعة، على ما كانت تحتمه الجوانب السياسية الصائبة والرأي السليم[1].

٦- طول مدة الحصار:

رغم أن طول مدة حصار الدرعية التي استمرت ستة أشهر كان دليلاً على القوة والمنعة التي واجهت بها القوات السعودية القوات العثمانية المصرية الغازية، التي كانت بإمكانياتها العسكرية أقدر على إنهاء هذه الحروب في مدة أقصر، فإن طول مدة الحصار قد أتى بنتيجة عكسية، فكان عامل هام من عوامل سقوط الدرعية في النهاية، لأن

=

الإمام رجل يقال له ونيان، وكان متحدثاً وقاصاً، ومما كان يتحدث به في تلك الليلة في ذلك المكان: أن أناساً معتقلون محمولون إلى حكومتهم لتجازيهم، لما وجدوا أنفسهم بين جبال وهم يسيرون ليلاً قفزوا من على ظهور مطيهم ولاذوا بالفرار، وعبثاً حاول الحراس العثور عليهم، ومضى ونيان مسترسلاً في أحاديثه، ولما خرجوا من الجبال تنبه الإمام عبدالله لما كان يقصده ونيان، ولكن الفرصة كانت قد فاتت، فلم يزد على أن قال: «فاتت يا ونيان»! ابن خميس، ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية، ص ٤٥.

(1) العثيمين، تاريخ المملكة، جـ ١، ص ٢٠٥.

عوامل اليأس بدأت تعمل في نفوس بعض السعوديين وقادتهم، نتيجة لسوء الأوضاع في الدرعية وارتفاع الأسعار، وضيق المدافعين بهذه الأحوال وإرهاقهم، وبالتالي أدت إلى خروجهم من الدرعية، مما أثر على توازن القوى؛ إذ كانت موارد القوات السعودية البشرية والمادية في تناقص مستمر، مقابل تنامي قوة إبراهيم باشا وازدياد موارده[1].

٧- انحياز عدد من القبائل إلى جانب الجيش العثماني المصري:

فبعضٌ من القبائل العربية التي خضعت لنفوذ الدولة السعودية كانت دائماً تسعى للخروج عن طاعتها، فقد سلب الحكم السعودي هذه القبائل الحرية في التنقل وحرب من يريدون، وفرض عليها الزكاة وتلبية الدعوة للحرب في أي وقت، كما أن مبادئ الدعوة السلفية الإصلاحية لم تنتشر بين البدو الرحل كما حصل بين الحاضرة، وقد نجحت قوات محمد علي في استغلال هذه النزعة منذ بداية الحملات المصرية، وكان للأسلوب الذي اتبعه إبراهيم باشا أثر كبير في جذب أكبر عدد ممكن من القبائل عن طريق التهديد، أو الاستمالة بالأموال

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤٠٧، جلال يحيى، مصر الحديثة، ص ٤٢٢، أبو عليه، محاضرات، ص ١٢٧.

والرشاوي[1].

٨- ظهور الخيانة في صفوف السعوديين:

تذكر بعض الروايات التاريخية أن من أسباب هزيمة القوات السعودية وسقوط الدرعية، وجود تخاذل في صفوف القوات السعودية، فظهرت بعض الخيانات من بعض ضعاف النفوس، ربما كان مبعثها الخوف من إبراهيم باشا ومحاولة كسب وده، وربما كان لحقد أو ضغينة على آل سعود ورغبة في الانتقام منهم لأي سبب، وقد تمثلت هذه الخيانة في كشف الخطط الحربية للجيش السعودي، وإخبار إبراهيم باشا بالثغرات ومواطن الضعف في تحصينات الدرعية[2].

ويذكر ضاري بن رشيد أن إبراهيم باشا قام برشوة أحد المواطنين في أحد أبراج الدرعية، وأعطاه مئة ألف ريال، مقابل أن يمكنه من الدخول للدرعية عن طريق هذا البرج، الذي كان متسلطاً على البلد، لأنه أعلى

(1) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٧-١٨٨، الرافعي، عصر محمد علي، ص ١٤٩، فاسلييف، العربية السعودية، ص ١٦٣، عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥؛ السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٥.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٧، الخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٢، السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

منها، فاستطاع إبراهيم باشا بالاستيلاء عليه أن يخرب البلد بالمدافع(١).

على كل حال: استغل إبراهيم باشا المعلومات التي وصلت إليه؛ فقام بالهجوم العام على الدرعية بعد ظهور هذه الخيانة، وركز على المواقع الضعيفة في تحصينات الدرعية، محققاً بذلك النصر على السعوديين.

٩- ضعف الإمكانات المادية وتناقص الموارد المالية:

فعلى الرغم من أن الدولة السعودية الأولى بلغت درجة كبيرة من الغنى والثراء، خاصة في عهد الإمام سعود، إلا أنها لا تقارن بموارد الدولة العثمانية، وحينما توالت الهزائم على الدولة السعودية، وضاع منها الحجاز وعسير وغيرها، وخرجت كثير من القبائل عن طاعتها، نقصت كثير من مواردها، مما جعل جيش الدرعية فقيراً في عدته، قليلاً في عدده، فالمال عصب الحرب، به يمكن تجهيز الجيش بالمؤن والذخيرة، واجتذاب أكبر عدد من المقاتلين(٢).

---

(1) ابن رشيد، نبذة تاريخية، ص ٦٧.

(2) الشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٣، السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦. ويعلق وليمز في كتابه ابن سعود أن السر في زوال الدولة السعودية الأولى يُعزى لافتقار السعوديين المقدرة على معالجة البلاد الاقتصادية، كنث وليمز، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، ترجمة، كامل صموئيل، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩٣٤م، ص ٣٢.

نتائج سقوط الدرعية[1]:

يُعَد سقوط الدرعية بمثابة إعلان نهاية الدولة السعودية الأولى التي وحدت معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية تحت لواء دولة إسلامية موحدة، فترتب على ذلك نتائج دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية متعددة، ليس المجال هنا لتفصيلها بالدراسة والتحليل، لذلك سنكتفي بتعداد سريع لأهم النتائج المترتبة لهذا السقوط، وهي كالتالي:

النتائج الدينية:

١- قَتَل إبراهيم باشا عدداً من العلماء وعامل بعضهم معاملة سيئة؛ أدت إلى هروب كثير من العلماء إلى خارج نجد[2].

٢- أثر سلوك جيش إبراهيم باشا البعيد عن الدين في سلوكيات السكان في المنطقة[3].

---

(1) ينظر للمزيد عن هذا الموضوع رسالة: «بطولات وقائع معركة الدرعية..»، للدكتور محمد السلمان، حيث عقد مبحثاً بعنوان «نتائج سقوط الدرعية»، ص(٣١ وما بعدها).

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٢٤، جـ٢، ص ١٠، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٠.

(3) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

٣- تفشت المحرمات والمنكرات بين الناس، خاصة فيما يتعلق بالأمر المعروف والنهي عن المنكر؛ نتيجة لخوف الناس من بطش القوات الغازية، فتجنبوا الحديث عن أمور الدعوة[1].

النتائج الاجتماعية:

١- تدمير كثير من البلدان النجدية؛ خاصة تلك التي دخلها الجيش الغازي بعد مقاومة؛ مثل الرس وعنيزة، وشقراء، وضرما، وبالأخص الدرعية[2].

٢- كثرة القتلى من السعوديين، وخاصة في الدرعية أثناء الحصار، ويقدر ابن بشر أعداد القتلى خلال حملة إبراهيم باشا بحوالي اثني عشر ألف، منهم عشرة آلاف في الدرعية وحدها[3].

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ٢، ص ١٠، السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٤، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٩، سادلير، رحلة عبر الجزيرة، ص ٨٦، محمد السلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، مجلة الحرس الوطني، السنة الثالثة عشر، العدد ١٢٢، ربيع الآخر ١٤١٣/ أكتوبر ١٩٩٢م، ص ٣٠.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤١٨.

٣- خلو الدرعية من سكانها وتفرقهم في البلاد[١].

٤- نفي وتهجير كثير من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر[٢] وقد قدرت الوثائق العثمانية عددهم بحوالي ٢٨٥ شخصاً ما بين رجال ونساء وأطفال[٣]، أما الجبرتي فيذكر أنهم حوالي الأربعمائة[٤].

٥- دخول بعض العادات الاجتماعية السيئة إلى نجد عن طريق هؤلاء العساكر؛ مثل الفساد والرشوة والخراب[٥].

٦- نقلت الحملة بعض الأمراض التي صاحبت هؤلاء العساكر، ولم تكن معروفة في نجد[٦].

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤٣٤، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٩٥، السلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، ص ٣٢.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ ١، ص ٤٣١، مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٨٩.

(3) دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٨٤ (H.H19698) بتاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ.

(4) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ٣، ص ٦٠٣.

(5) السلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، ص ٣٣.

(6) مانجان، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٩٥، السلمان، الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية، ص ٣٣.

النتائج السياسية:

يعتبر سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى حدثاً هاماً من أهم أحداث الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وذلك لأن نتائجه السياسية لم تقتصر على المنطقة، بل تعدتها إلى أبعد من ذلك، فكانت له آثاره بعيدة المدى داخل الجزيرة العربية وخارجها[1]:

١- عودة الحكم العثماني إلى الظهور في الجزيرة العربية، خصوصاً في الحجاز، فأصبح يخضع لحكم محمد علي المباشر، تحت اسم الدولة العثمانية، وقد صدر مرسوم سلطاني بتولية إبراهيم باشا على جُدة، كما أصبح تعيين الإشراف يتم عن طريق مصر[2].

٢- عاد حكم بني خالد للأحساء مرة أخرى تحت زعامة ماجد بن عريعر، فقد كان إبراهيم باشا بعد إسقاط الدرعية قد أرسل فرقة عسكرية إلى الأحساء بقيادة محمد كاشف، الذي صادر جميع ما في بيت المال السعودي هناك، كما قام بقتل بعض العلماء والمرشدين، ثم غادرها

---

(1) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

(2) الشبل، تاريخ نجد، ص ١٣٤، الخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٥، السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٦.

تاركاً ماجد بن عريعر حاكماً فيها، وقد استمر حكم بني خالد للأحساء حتى استعادها تركي بن عبدالله عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م[1].

٣-أصبحت نجد تابعة لولاية مصر ما يقارب من ثلاثة وعشرين عاماً، وقد استمر الوضع على هذا الحال إلى أن استقرت الأوضاع للإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الثانية[2].

٤-أصاب سقوط الدرعية وحدة نجد السياسة في الصميم؛ فبرزت ظاهرة الانفصال والتجزؤ في البلاد، وقد تمثل ذلك في قيام بعض الإمارات المستقلة وعودة بعض الأسر التي فقدت سلطتها ونفوذها إبان الحكم السعودي.

٥ - ثم كان لانسحاب إبراهيم باشا السريع من نجد بعد تسعة أشهر من سقوط الدرعية دون أن يضع لها نظاماً إدارياً جيداً دور في التدهور السياسي الذي عاشته نجد، حتى قيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله[3].

---

(1) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ٤٣٠، جـ٢، ص ٧١، السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

(2) الخضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، ص ٣٤٤.

(3) السلمان، معركة الدرعية، ص ٣٧.

حال البلاد بعد سقوط الدرعية
إلى قيام الدولة السعودية الثانية[1]

كان محمد بن مشاري بن معمّر ـ وخاله عبدالعزيز بن محمد بن سعود ـ ممن ترك الدرعية عند استيلاء إبراهيم باشا عليها. وقد استقر في بلدة العيينة التي كانت إمارتها لأسرته. وبعد أن انسحب إبراهيم بقواته من نجد راودته فكرة إقامة دولة في هذه المنطقة. ولعلّ مما شجعه على ذلك أن إبراهيم قد أبعد من وجده من آل سعود إلى مصر، وأنه سليل أقوى أسرة نجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، وأنه يمت بصلة الرحم لآل سعود كما ذكر سابقاً. ثم إنه كان يمتلك كثيراً من الأموال والأسلحة.

ومن الواضح أن ابن معمّر قد أدرك المكانة التي تحتلها مدينة الدرعية في نفوس كثير من النجديين؛ إذ كانت رمزاً لقوة منطقتهم ووحدتها. فرأى أن تكون هذه المدينة قاعدة الدولة التي عزم على إقامتها، وكأنه يوحي بذلك إلى النجديين أنه يعمل لإعادة مجد دولة نجد لا مجد أسرته الخاص. وعاد إلى الدرعية أواخر سنة ١٢٣٤هـ،

---

(1) بتصرف من «تاريخ المملكة العربية السعودية» للدكتور عبدالله العثيمين، ص(٢٠٥-٢١٦).

فأخذ يعيد بناءها. ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته. وكان زعماء بلدة منفوحة أول من انضم إليه. لكن بعض القادة النجديين رأوا في حركته مصدر خطر عليهم، فاتصلوا بزعماء بني خالد، وحثوهم على التوجه إلى نجد للقضاء على تلك الحركة في مهدها.

ولقيت اتصالات المعارضين لابن معمّر بزعماء بني خالد نجاحاً كبيراً. وتوجه ماجد بن عريعر بأتباعه إلى نجد حتى وصل إلى العارض، حيث انضم إليه أهل الخرج والرياض وحريملاء. فهاجم منفوحة، ثم ارتحل عنها بعد أن صالحه زعماؤها. وأمام هذا الخطر تصرّف ابن معمّر بذكاء؛ إذ أرسل إلى ماجد بعض الهدايا، وأخبره أنه تابع للسلطان العثماني. وبهذا الأسلوب عاد الزعيم الخالدي إلى بلاده، وتخلص ابن معمّر من الخطر الذي أحدق به.

وازدادت شعبية ابن معمّر شيئاً فشيئاً لدى النجديين. وعاد إلى الدرعية كثير ممن تركوها قبيل استسلامها لإبراهيم باشا أو عند تخريبه لها. ومن بين هؤلاء تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد، اللذان أخذا يساعدان ابن معمّر في نشاطه. وبدت بوادر النجاح تلوح في الأفق أمام رئيس الدولة الناشئة؛ إذ استطاع أن يُدْخِل حريملاء تحت طاعته. ثم دانت له بعض البلدان النجدية الأخرى بالولاء.

على أن نجاح ابن معمّر لم يستمر؛ فقد جابهته مشكلة لم يتوقعها.

ذلك أن مشاري بن سعود ـ أخا الإمام عبدالله بن سعود ـ كان قد هرب من حراسه وهو في طريقه من المدينة المنورة إلى ينبع مع آل سعود الذين أرسلوا إلى مصر. ثم وصل إلى الوشم، حيث انضم إليه بعض الأعوان من مناطق نجدية مختلفة. فاتجه إلى الدرعية ودخلها بمن معه. ولم يجد ابن معمّر أمامه حلًّا إلا أن يتنازل له عن الحكم، وإن كان يضمر في نفسه ضده ما يضمره.

وما أن بويع مشاري بن سعود بالحكم في الدرعية حتى قدم إليه عدد من أفراد الأسرة السعودية الذين هربوا من تلك المدينة وقت استسلامها لإبراهيم باشا. ومن بين هؤلاء عمه عمر بن عبدالعزيز.

ثم قدمت إليه وفود من سدير والوشم والمحمل معلنة ولاءها. وقد وقف معه تركي بن عبدالله آل سعود، وأيده غاية التأييد.

وبعد أن انضمت إلى مشاري بن سعود كثير من بلدان الأقاليم المذكورة سابقاً؛ أراد أن يوسع دائرة نفوذه، فجمع أتباعه من العارض وتلك الأقاليم واتجه إلى الخرج. وحالفه التوفيق، فلم يعد من هناك إلا وقد دانت له بلدان ذلك الإقليم بالولاء. لكن النجاح الذي حققه مشاري بن سعود قُدر له أن يصاب بانتكاسة شديدة، ذلك أن ابن معمّر، الذي كانت الرغبة في الحكم مسيطرة على مشاعره، احتال عليه وخرج من الدرعية إلى سدوس؛ مدعياً أنه سيزور بعض أقاربه في تلك

البلدة. وحين وصل إليها أظهر أنه مريض، لكنه كان في حقيقة الأمر، يجمع الأنصار ليعود إلى الحكم. وقد نجح في كسب فيصل الدويش، زعيم قبيلة مطير، إلى جانبه، فأرسل ذلك الزعيم بعض أتباعه إليه، ثم سار ابن معمّر بمن اجتمع لديه من الأعوان إلى الدرعية، فدخلها وألقى القبض على مشاري بن سعود، وأرسله إلى سدوس، وبعد ذلك توجه إلى الرياض، واستولى عليها. وكان تركي بن عبدالله في هذه البلدة؛ فغادرها عند اقتراب محمد بن معمّر وأتباعه منها.

وفي هذه الأثناء كان محمد علي، حاكم مصر، على علم بالتطورات الجديدة في منطقة نجد، وقد ساءه أن تُبذل محاولات لتوحيدها، فبعث فرقة من الجيش إلى عنيزة بقيادة آبوش آغا، ولم يغب عن ذهن ابن معمّر، الذي سبق أن أخبر زعيم بني خالد بأنه تابع للسلطان العثماني، أن يبعث رسالة إلى القائد آبوش يخبره فيها أن الأعمال التي يقوم بها في صالح محمد علي والدولة العثمانية، فأقره آبوش على أعماله، وأيد إمارته على المنطقة.

لم يقف تركي بن عبدالله آل سعود مكتوف اليدين إزاء ما قام به محمد بن معمّر من غدر بمشاري بن سعود، لقد وقف تركي مع ابن معمّر حين بدأ جهوده لتكوين دولة جديدة في المنطقة، وعندما تنازل عن الحكم لمشاري بن سعود أصبح تركي ينظر إلى هذا ا لأخير على أنه

الحاكم الشرعي، فوقف معه وأيده، ولما غدر ابن معمّر بهذا الحاكم الشرعي صمم تركي على أن يعيد الحق إلى نصابه؛ فانطلق من بلدة الحائر، التي كان قد ذهب إليها بعد مغادرته للرياض، واتجه إلى بلدة ضرماء، وهناك انضم إليه مؤيدوه، فسار بهم حتى فاجأ محمد بن معمّر في الدرعية وقبض عليه، ثم توجه إلى الرياض فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن معمّر، وفي محاولة لإنقاذ مشاري بن سعود هدّد ابنَ معمّر وابنه بأنه لن يُطلق سراحهما حتى يُسَلِّم إليه الأمير السعودي المعتقل، لكن أنصار ابن معمّر في سدوس خافوا من غضب القائد التركي آبوش آغا فسلموه إلى أتباعه، وأخذ إلى عنيزة حيث وافته المنية في سجنه هناك، فلما علم تركي بن عبدالله بذلك نفذ ما هدد به تجاه محمد بن معمر وابنه مشاري.

ولم يشأ تركي بن عبدالله أن يتخذ من الدرعية مركزاً لنشاطه ومقرًّا لحكمه، وإنما فضل الرياض عليها، وأصبحت هذه المدينة قاعدة الحكم السعودي منذ ذلك العهد حتى الوقت الحاضر، وربما كان من أسباب تفضيل تركي بن عبدالله لهذه المدينة أنها كانت قوية التحصين، كثيرة المزارع.

على أن الأمور ما أن استقرت لتركي بن عبدالله في الرياض حتى حاصره فيصل الدويش بأتباعه ومعه عدد من رجال الفرقة العسكرية

الموجودة في عنيزة؛ لكنه صمد أمام المحاصرين له، فانسحبوا إلى الوشم، ولم يكن نجاح تركي بن عبدالله الأوّلي إلا حافزاً لمحمد علي، حاكم مصر، ليرسل تعزيزات أخرى للقضاء على الحركة السعودية الجديدة. فأرسل قوة بقيادة حسين بك إلى نجد، وحين وصلت إلى القصيم انضم إليها آبوش آغا ببعض من معه، وسار الجميع بقيادة حسين بك حتى وصلوا إلى الوشم، ومن هناك بعث القائد المذكور آبوش آغا مع عدد من أفراد جيشه ومن انضم إليه من أهل نجد إلى الرياض، ودخل آبوش ومن معه هذه المدينة، فحاصر تركي بن عبدالله وأنصاره في قصر إمارتها، وحينما اشتد الحصار على هؤلاء تسلل تركي من القصر ليلاً إلى خارج المدينة، واتجه إلى الجهات الجنوبية من نجد، أما من كانوا معه فطلبوا الأمان من قائد الفرقة المحاصرة لهم، واستسلموا له بعد أن وعدهم بتلبية ما طلبوه منه؛ لكنه غدر بهم، وقتل أكثرهم[1].

ولقد أقدم حسين بك على ارتكاب جرائم شنيعة، من أعظمها: أنه طلب من أهل الدرعية أن يفدوا إليه في ثرمداء ليعطي كل واحد منهم

---

(1) انظر تفاصيل ذلك في: «عنوان المجد» (١/ ٣٠٠) و«تاريخ الفاخري» (١/ ١٥٥).

إذناً بأن ينزل أي بلد شاء، وحينما وفد إليه حوالي مائتين وثلاثين رجلاً منهم قتلهم أجمعين، ثم فرّق ضباطه في بعض البلدان النجدية، فقاموا بأعمال إجرامية في مقدمتها: القتل والتعذيب ومصادرة الأموال(1).

وبعد أن اعتقد بأن أعماله الإجرامية قد بثّت الرعب من قوة حاكم مصر في نفوس النجديين انسحب بقواته من نجد؛ تاركاً حاميات صغيرة في كل من الرياض ومنفوحة وثرمداء وعنيزة لتذكّر السكان بأن محمد علي بالمرصاد لأية حركة توحيدية جديدة.

وبعد انسحاب حسين بك بقواته من نجد تجددت الاضطرابات بين الزعامات المحلية بشكل عنيف؛ ثم قدمت إلى المنطقة حملة عسكرية أخرى قائدها حسن أبوظاهر، ولم تكن سيرة هذا القائد تختلف كثيراً عن سيرة سلفه من حيث الظلم والجور والغدر(2). لكن شعور السكان إزاء إجراءاته بدأ يتحول إلى ثورة ومقاومة. ومن بوادر ذلك أن قبيلة سبيع كبّدت الغزاة خسارة فادحة أواخر سنة ١٢٣٧هـ؛ إذ قتلت منهم قرب الحائر أكثر من ثلاث مائة رجل. وقام أهل عنيزة على أبي ظاهر ومن معه وأرغموهم على الخروج من بلدتهم، ثم قدم

---

(1) «عنوان المجد» (١/ ٣٠٠-٣٠٣).

(2) انظر عن ذلك: «عنوان المجد» (١/ ٣٠٧) وابن عيسى، «تاريخ بعض الحوادث...» (١٥١).

إليه العسكر الموجودون في ثرمداء، وانسحبوا معه إلى المدينة المنورة؛ تاركين في قصر الصفاء، الواقع خارج أسوار عنيزة حينذاك، نحو ست مائة جندي، و بعد أيام من انسحاب أبي ظاهر ومن معه إلى المدينة المنورة حاصر أهل عنيزة أولئك الجنود، وقتلوا منهم حوالي سبعين رجلاً، ثم تصالح الطرفان على أن يترك بقية الجنود المذكورين المنطقة بأسلحتهم، وذلك في شهر رجب سنة ١٢٣٨هـ. وبذلك لم يبق في نجد من جيش الغزاة إلا الذين كانوا في منفوحة والرياض.

وفي شهر رمضان من سنة ١٢٣٨هـ استأنف تركي بن عبدالله نشاطه لإخراج بقية القوات الغازية من نجد، وتوحيد المنطقة؛ فترك بلدة الحلوة الواقعة جنوبي نجد، ووصل في نهاية الأمر مع عدد قليل من أنصاره إلى بلدة عرقة القريبة من الرياض، وهناك وفد إليه مؤيدوه من الوشم وسدير، فبدأ بمحاربة الحاميتين الموجودتين في كل من الرياض ومنفوحة، وظل محارباً لهما أكثر من سنة، لكنه لم يقصر نشاطه على محاربة الحاميتين المذكورين؛ بل كان يتحرك لإدخال بلدان نجدية أخرى تحت نفوذه، مما يشير إلى أنه كان يرى مسألة انتصاره عليهما مسألة وقت فقط؛ وقد نجح في مسعاه نجاحاً عظيماً؛ إذ انضمت إليه وهو لا يزال في عرقة أكثر بلدان الوشم وسدير.

وفي أواخر عام ١٢٣٩هـ تقدم تركي بن عبدالله بأعوانه إلى منفوحة، وأجبر من كان فيها من الجنود على مغادرتها، واستولى عليها؛

ثمّ شدّد حصاره على العسكر الموجودين في الرياض، حتى طلب قائدهم، أبوعلي المغربي منه الصلح؛ فوافقه تركي على ذلك، وتم الصلح بينهما على أن يغادر المغربي نجداً بقواته وأسلحته، وأن يُؤَمَّن من تعاون معه من أهل الرياض.

وكان استيلاء تركي بن عبدالله على الرياض في مستهل عام ١٢٤٠هـ، وجلاء القوات الغازية عن نجد: إيذاناً بقيام الدولة السعودية الثانية.

* * *

ترجمة ناظم الأرجوزة

قال الشيخ عبد الله البسام ـ رحمه الله ـ في ترجمته[1]:

هو الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن راشد بن علي بن علي أيضاً بن أحمد بن إبراهيم بن موسى بن دعيج، الكثيري نسباً، المَرائي ـ بفتح الميم ـ بلداً، الحنبلي مذهباً، هكذا نسبُه من خط يده، فهو من آل كثير، القبيلة الشهيرة في نجد، والتي ينتهي نسبها إلى بطن كبير من بني لام، القبيلة الطائية القحطانية التي انتقلت من جنوب الجزيرة العربية، ونزلت في جبلي طيء: أجا وسلمى، وتفرع من طيء: بنو لام، وآل كثير، والفضول؛ والفضول كانوا بادية نجد فنزحوا إلى العراق، ولم يبق منهم في نجد إلاّ أُسر متحضرة.

وُلد المترجَم في بلدة (مرات)، إحدى بلدان الوشم، والمشهورة بقصائد ذي الرمة وغيره من شعراء العرب، وولادة المترجَم في عام ١١٩٠هـ، فنشأ في بلده وأخذ العلم عن بعض علماء نجد ممن عاصرهم، وكان وقت طلبه هذا هو الوقت الذي انتشرت فيه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ربوع نجد، وإننا لنرى أثرها فيما وصل

---

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٤٧-٥٠١). وانظر: «مرات» للأستاذ عبد الله الضويحي، ص(٤٠ و٩٤ و١١٩ و١٢٦).

إلينا من نظم وكلمات المترجَم، فله نظم جيد في نكبة الدعوة السلفية النجدية على يد إبراهيم باشا، نتركه يحدثنا عنه، فيقول: «فاستخرت الله تعالى على ذكر القوقعة الكبرى التي قصمت الظهور، وفصمت العرى، وفرقت البوادي وأهل القرى، وهي حملة إبراهيم باشا بن محمد علي وزير مصر على نجد سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف؛ حيث هدم أسوارها كلها، وهدم الدرعية وقطع نخيلها، وتسفيره آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، وتركنا ذكر ما سواها من وقائع نجد، وصلى الله على نبينا محمد».

ثم شرع في نظمه الرجزي مفتتحاً بقوله:

يقول عبدٌ أصلُه من ماءِ ... والحنبليُّ المذهب المَرائي

إلى أن قال:

فاسمع وخُذ تاريخَ قرنٍ ثالثِ ... وما جَرى فيه من الحَوَادثِ

وهو رجزٌ طويلٌ سجّل فيه بعضَ أخبار هذه الحَادثة الكبرى عن معاينة ومشاهدة، وهو رَجزٌ لا يخلو من الخَلل في وزنه وإعرابه، ولعل ذلك الخلل من النُسَّاخ الذين تناقلوه.

كما اطلعتُ له على نظم آخر قدَّم له بهذه المقدمة الآتية قال: «كتاب الدر الثمين عقيدة الموحدين» وسبب تأليفه أنه ورد عليَّ جوابٌ من بعض الإخوان سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف، يريد أن أعرض عليه

ما نحنُ عليه من الاعتقاد وأخبارِ الصفات، فأجبته ولله الحمد، وهي معروضة على عُلماء المسلمين لتبيين الصحيح، والتنبيه على الخطأ؛ حتى نرجع عنه ـ إن شاء الله ـ إلى الصواب.

ومَطلع النظم هو :

باسمه أبدأ كلَّ أمري تبركا وحفظاً له لا يَعتريه جذَامُها

وثنيتُ قَبل النظم لله حامداً مُصَلٍ على المبعوث أحمدْ مقامُها

إلى أن قال:

وأقبل أخبارَ الصفاتِ كما أتى بها النصُ لا ينفكُّ عنك مَرَامُها

ولما قُتل قاضي مرات : الشيخ إبراهيم بن حمد بن مشرف في (الماوية) موارد مياه بين المدينة والقصيم عام ١٢٣٢هـ، في المعركة التي وقعت بين الإمام عبد الله بن سعود وإبراهيم باشا، واستولى إبراهيم باشا على بلدان نجد، وصار كلُ بلد يحكم نفسه، بسبب اضطراب البلاد: عينه جماعتُه أهلُ مرات قاضياً، فلما عاد حكم آل سعود مرة أخرى بإمامة تركي بن عبد الله، ثم الإمام فيصل بن تركي، أبقياه على عمله، حتى توفي في عمله وبلده عام ١٢٦٨هـ ـ رحمه الله ـ .

وقال الشيخ محمد بن عثمان القاضي ـ رحمه الله ـ :

«هو العالم الجليل والشيخ النبيل أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج من آل كثير من بني لام، القبيلة القحطانية، وُلد المترجَم له في

بلدة مرات من بلدان الوشم، نسبةً لامرئ القيس، لأنها كانت بلدُه، وكان الشعراء يتغنون بها، ومنهم ذو الرّمة، وكانت ولادة ابن دعيج سنة ١١٩٠هـ، فتربى على يد أبيه تربية حسنة، وحفظ القرآن على مقرىءٍ في بلده، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط، فقرأ على علماء الوشم، ثم رحل إلى سدير، فقرأ على علمائه، وكان نبيهاً قويَّ الحفظ، سريع الفهم، فنبغ في فنونٍ عديدة، وله الباع الواسع في الأدب والتاريخ، ويقرض الشعر، وله أرجوزة طويلة مدح فيها آل سعود، وذكر فيها نكبة الدرعية على يد إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ فمنها قوله:

فاسْمَعْ وخذ تاريخ قرنٍ ثالثِ	من بعدِ ألفِ نكبة الحوادثِ
تتلو ثلاث مع ثلاثين مضتْ	أتتْ على نجد بنارٍ أوقدتْ
وقبله كأنها عروسُ	والخير في أركانها يميسُ
أميرها السميدعُ المحامي	بنفسهِ عن خدمة الإسلامِ
كم قبلها أباد ربي من أمَمْ	من بَعدِ نوحٍ مثل عادٍ وإرَمْ
مصيرُ دنيانا إلى المَحَاقِ	ثم البَقا للواحدِ الخلاقِ
فيالها مِن بيضَة تفلقتْ	حَدائقٌ بعدَ التفافٍ قُطِّعتْ
وطالما كانتْ محلَّ أُنسِ	ورَحْب ساحاتٍ لهمِّ تُنسي

وتركنا معظمها؛ لأنها غير موزونة، وقدم نظماً في «الدر الثمين عقيدة الموحدين» في الأصول، ودرَّس وتخرج على يديه تلامذة، ولما قُتل الشيخ إبراهيم بن حسن بن مشرف سنة ١٢٣٢هـ في المعركة الواقعة في الماوية بين الإمام عبد الله بن سعود وإبراهيم باشا، عينه جماعة مرات قاضياً لهم، وأقره تركي ثم فيصل على ولاية قضائها، وكان مُسَدداً محبوباً بينهم، مستقيمَ الديانة، واستمر قاضياً لها حتى توفي فيها سنة ١٢٦٨هـ رحمة الله عليه»(١).

وقال عبد الرحمن المغيري في كتابه «المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب»(٢): «ومن بطون الكثران : آل دُعَيْج، وآل منصور في بلد مَرَات، وآل دُعَيْج خمسة أفخاذ: آل عبد الرحمن فخذ، وآل عبد الله فخذ، وآل دُعَيْج فخذ، وآل محمد فخذ، وآل علي فخذ، وهم من ذرية الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن راشد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن موسى بن دُعَيْج، البطن المعروف من الكَثْران في غَزِيَّة طيء من بني لام، كان قاضي الوَشْم في زمن نَقْل الإمام فيصل بن تُرْكي - رحمه الله - إلى مصر، وبعد رجوعه، وكان شاعراً لَسِناً، وله في مدح

---

(1) روضة الناظرين .. (١/ ٦٧-٦٨).

(2) ص (٢٩١-٢٩٢).

الإمام فيصل قصائدُ يصفه بالعِفَّة والصلاح، ومن قوله ينْبئ أنه من بني لام:

وما بَدأتُ النَّظْمَ إلا محبةً وما كان مقصودي بذاك التنوُلا

لأن إله العرش قد سَدَّ فاقَتي وعارٌ لغير الله أن أتَذَلَّلاَ

لأنيَ من قومٍ كرامٍ أعزة بني لامَ حقاً مجدُها قدْ تأَثَّلا

إذا جاء للمعروف طالبُ حاجةٍ بذلنا له فوقَ الذي كان أمَّلا

إذا ما أتى المعروفُ قبْلَ سؤالِه فلا خَيْرَ في المعروفِ إن جَا تَوَسُّلا».

قلت: وقبل ختم الحديث عن ترجمة الشيخ ابن دعيج ـ رحمه الله ـ، لا بد من الإلمام بحقيقة الخلاف الذي حدث بينه وبين علماء الدعوة ـ لاحقاً ـ، مما قد يتساءل عنه البعض. وجوابه ـ كما يقول الدكتور الوليد الفريان ـ حفظه الله ـ:

«كان للتغيرات السياسية وانحسار المد السلفي في الفترة التي صاحبت الغزو العثماني الغاشم صدماتٌ نفسية، وانعكاسات سيئة على المجتمع، فانساق من انساق وراء الأراجيف، وصاحب ذلك حملةُ تشكيكٍ وتشويه للدعوة ومضامينها الطموحة المخلصة، وفوضى فكرية عارمة.

ولم تكن بلدةُ مرات ـ الواقعة في عالية نجد ـ بمعزلٍ عن هذه الإرجافات القادمة من وراء الحدود، فكان لها ما كان من أثر على نفس

الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن دُعيج وتبدلِ موقفه الذي كان يتسم بالتعاطف مع أحداث الدرعية المؤلمة -كما يتضح من قصيدته الرثائية التي تحدثتْ عن تلك النكبة، فأطلق فتواه الباطلة، التي زعم فيها أنه لا بأس من الإقامة في البلد الذي يُمارَس فيه الشرك والمعاصي دون نكير، مع القدرة على الهجرة. متجاهلاً المنهج الذي سارت عليه الدعوة منذ قيامها، ومصادماً للنصوص الشرعية في هذا المجال. وربما كان للظروف السياسية الجديدة، ونزعة التبرير للمواقف دورٌ كبير في إصدارها.

ولما استعادت الدعوةُ عافيتها، وانتظم عِقدها بقدوم العلامة عبد الرحمن بن حسن من مصر؛ كان عليها أن تُزيل جميع آثار الماضي المؤسف، وتتبع ما خلّفته الفتنةُ من انحرافات؛ لتقضي عليها، فكتب العلماء ردوداً على فتوى ابن دعيج»[1].

قلت: أما فتوى ابن دعيج فهي قوله :

«أما بعدُ؛ فيقول العبد الفقير المسترشد للعلم والعمل لا للمراء

---

(1) مقدمة رسالة «إرشاد طالب الهدى» للشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- ص٧ بتصرف يسير. والرسالة السابقة مطبوعة -أيضاً- ضمن «الدرر السنية» (٨/ ٢٠٤-٢٧٢).

والجدل : إني سائل عن مسألة عمت بها في وقتنا هذا البلوى والشكوى، لعالم السر والنجوى، والمسألة قد شاع خبرها وذاع، وامتلأت بها الأسماع، ونفرت منها القلوب والطباع، وقد اتخذها الهمج والرعاع الذين لا يميزون بين الغثّ والسمين هي الدين.. بل عندهم هي أصل الدين. وإذا قلتَ للقائل بهذا القول : عمن من أهل العلم نقلته ؟ فيقول : سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته. فقل له : يا مسكين ! اعلم أن الله حرم بعد الشرك القول عليه بلا علم فقال : ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٦٩]، والمسألة المشار إليها والمسؤول عنها : هي التي غصت بها الحناجر، وأسبلت على الخدود دموع المحاجر، وهي قول الجهلة الطغام، الذين هم كالهوام : كلُ من أقام ببلدة قد استولت عليها العساكر، ولا عنها يهاجر؛ فهو كافر . فنقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كيف يكفر من قوّى الله يقينه، وثبته على دينه ؟ لأن العسكر في بلده على رغمه بالسيف ولوه، ولا بالرجوع عن دينه أمروه، ولا على شيء مما يثلم دينه أكرهوه ولا فتنوه، ومع ذلك فالله سبحانه قد قدم حرمة بني آدم على حرمته تعالى فأباح ما حرمه عليه من أكل الميتة إذا خاف على نفسه الضرر من الجوع، وأباح الكفرَ إذا أكره عليه ـ قال عز من قائل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ

بِٱلۡإِيمَـٰنِ ﴾ [سورة النحل، الآية : ١٠٦]، قال المفسرون - وهم الصدر الأول ومن على قولهم المعول -: نزلت في عمار بن ياسر، أخذه المشركون فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فتركوه، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما وراءك يا عمار؟ قال: شرٌّ يا رسول الله ! ما تُركت حتى نلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير. قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنٌ بالإيمان. قال ﷺ: إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت، قال ابن عباس: هو من أكره على الكفر فتكلم بلسانه، وخالف قلبه بالإيمان؛ لينجو بذلك من عدوّه، فلا حرج عليه؛ لأن الله سبحانه إنما يؤاخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم، فمن شرح بالكفر صدرًا ـ أي فتحه ووسعه - وارتد عن الدين، وطابت بالكفر نفسه، فذلك الذي ندين الله بتكفيره. وأما الذي مطمئنٌ قلبه بالإيمان، ولم يرتد عن دينه، باقٍ عليه، مُبغض لمن خالفه، ما أجلسه في بلده إلا حماية نفسه وماله وولده، مُبغضاً للعساكر، صابراً على ما ينوبه من المهاون والخسائر، هاجراً للمناهي عاملاً بالأوامر، فذاك والله هو المسلم الصابر المهاجر، ومن كفَّر مسلماً فهو كافر»[1].

(1) نقلاً عن رد الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ على ابن دعيج: «الدفاع عن أهل السنة والاتباع»، ص ٦-٧.

وأما ردود العلماء؛ فقد رد عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ بكتابه «إرشاد طالب الهدى لما يُباعد عن الردى»[1]، ورد عليه الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ بكتابه «الدفاع عن أهل السنة والاتباع»[2]، ورد عليه الشيخ صالح الشثري ـ رحمه الله ـ برسالة[3].

قال الشيخ حمد بن عتيق[4] ملخصاً الجواب على شبهة ابن دعيج: «وأنا أذكر ما عليه أئمة هذه الدعوة النجدية ومن اقتفى آثارهم ممن هداه الله، في المسألة المشار إليها، وأنه موافق لما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل الصحابة رضي الله عنهم، فأقول: لا يخلو من أقام ببلاد المشركين من ثلاثة أقسام:

أحدها : أن يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضى ما هم عليه من الدين، أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه؛ فهذا عندهم كافر، عدو لله

---

(1) كما سبق.

(2) من منشورات مكتبة الهداية بالرياض، عام ١٤١٠هـ.

(3) لم تزل مفقودة ـ حسب علمي ـ، وما جاء في فهرس مكتبة جامعة الملك سعود، من وجودها فيها، خطأ؛ لأني بعد الاطلاع عليها وجدتها رسالة الشيخ حمد بن عتيق لا الشيخ الشثري.

(4) ص ١٠-١٧ من رده.

ولرسوله؛ لقوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٨]، قال ابن جرير: قد برئ من الله وبرئ الله منه؛ لارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية : ٥١] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [سورة النساء الآية : ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة محمد، الآية : ٢٥، ٢٦]، وفي السنن عن سُمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»(١)، وصح عن عبد الله بن عمر أنه قال: من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حُشر معهم يوم القيامة ـ قال شيخ الإسلام : وظاهر هذا أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور.

---

(١) أخرجه أبوداود (٢٧٨٧)، وصحَّحه الألباني ـ رحمه الله ـ.

وقال شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ لما ذكر الأنواع التي يكفر بها الرجل: «النوع الرابع : من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرون لعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويعتذر أن ترك وطنه يشق عليه؛ فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بحاله ونفسه؛ فهذا أيضاً كافر. فإنه لو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك إلا بمخالفتهم فعل، وموافقته - مع الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله - أكبر من ذلك بكثير؛ فهذا أيضاً كافر، وهو ممن قال الله فيهم ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء، الآية : ٩١]».

القسم الثاني: أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد، وهو لا يُظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين بنفس ولا مال ولا لسان، ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه؛ فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس، ولكن يقولون إنه قد عصى الله ورسوله بترك الهجرة وإن كان مع ذلك يُبغضهم في الباطن؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ

أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية : ٩٧]، قال ابن كثير - رحمه الله - : ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي بترك الهجرة ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي لمَ مكثتم ههنا وتركتم الهجرة ؟ قال : فهذه الآية عامة لكل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية. ثم ذكر ما تقدم من حديث سمرة مرفوعاً: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**»[1] رواه أبوداود . وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة، الآية : ٢٤] قال مجاهد: نزلت عن قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده يقولون : ننشدك الله أن تضيعنا، فيرقّ قلبه عليهم، فيقيم عندهم، فيدع الهجرة، فأنزل الله هذه الآية ـ أي : قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة ﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾

---

(1) سبق تخريجه.

وذلك أنه لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا : إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا، وذهبت تجارتنا، وخربت دورنا، وقطعنا أرحامنا. فأنزل الله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ تستطيبون منها، يعني القصور والمنازل ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ فانتظروا ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ قال عطاء : بقضائه، وقال مجاهد ومقاتل : بفتح مكة، وهذا أمر تهديد ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ﴾ لا يوافق ولا يرشد ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي الخارجين عن الطاعة ـ انتهى من تفسير البغوي رحمه الله.

وما من أحد يترك الهجرة إلا وهو يعتذر بشيء من هذه الثمانية، وقد سد الله على الناس باب الاعتذار بها، وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً ـ وإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض، وقد أوجب الله الهجرة منها، ولم يجعل محبتها عذراً، فكيف بغيرها من البلدان؟ فقد ظهر حينئذ أن اعتذار هذا المُشبه بماله وولده قد سبقه إليه هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية. هذا مع أنه ضم إلى جلوسه معهم ما هو أعظم من ذلك؛ من الثناء عليهم، وإقامة الأعذار لمن والاهم، فالله المستعان.

القسم الثالث : من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم؛ وهو نوعان : أحدهما : أن يكون يُظهر دينه؛ فيتبرأ منهم وما هم عليه، ويصرح لهم ببراءته منهم، وأنهم ليسوا على حق، وأنهم على الباطل، وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون]. فأمره أن يخاطبهم بأنهم كافرون، وأنه لا يعبد معبوداتهم، وأنهم بريئون من عبادة الله، أي أنهم على الشرك وليسوا على التوحيد، وأنه قد رضي بدينه الذي هو عليه، وبريء من دينهم الذي هم عليه. وقال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠٤، ١٠٥] فأمر نبيه أن يقول للناس: إن شككتم في ديني الذي أنا عليه فأنا بريء من دينكم، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم. فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة. وليس المراد بإظهار الدين أن يُترك الإنسان يصلي، ولا يقال له أعبد الأوثان؛ فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم، ولا يُكرهون

الناس على أنهم يعبدون الأوثان، فعلى قول هؤلاء الجهلة لا تجب الهجرة على أحد، ويبطل حكمها . والمقصود أن إظهار الدين هو التصريح للكفار بالعداوة؛ كما احتج خالد بن الوليد على مجاعة بأنه سكت ولم يُظهر البراءة كما أظهرها ثمامة واليشكري، والقصة معروفة في السِّيَر، فما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم؛ لم يكن إظهارُ الدين حاصلاً.

النوع الثاني: أن يقيم عندهم مستضعَفاً، وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال : ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧] وهذا الاستثناء بعدما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأن ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية : ٩٧] فاستثنى من لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، قال ابن كثير: لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾، قال عكرمة : يعني نهوضاً إلى المدينة، ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾، قال مجاهد وعكرمة : يعني طريقاً ـ انتهى . وقال تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية : ٧٥] فذكر في الآية الأولى حالهم، وهي العجز عن

الخروج، وعدم دلالة الطريق، وذكر في الآية الثانية مقالهم، وهو أنهم يسألون الله أن يُخرجهم من بلاد الشرك الظالم أهلُها، وأن يجعل لهم ولياً يتولاهم وناصراً ينصرهم، فمن كانت تلك حاله وهذا مقاله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [سورة النساء، الآية : ٩٩]، فقد ظهر ما عليه أئمة هذه الدعوة النجدية» .

النسخة المعتمدة للأرجوزة

اعتمدتُ في تحقيق هذه الأرجوزة التاريخية على نسخة الشيخ عبد الله البسام ـ رحمه الله ـ، وهي النسخة المكتوبة الوحيدة لها ـ حسب علمي ـ. وقد نشرها الشيخ البسام في «خزانة التواريخ النجدية»[1].

قال الدكتور محمد بن سعد الشويعر[2]: «أهمية قصيدة أو منظومة ابن دعيج أنها طويلة ولم تُنشر، وتُسجل أحداثاً تاريخية مهمة». وقال أيضاً[3]: «أميل إلى أن هذه الأرجوزة قيلت في فترات متقطعة، بمعنى أن القائل لم يُنهها في جلسة واحدة.. ولذا فإن هناك أحداثًا قريبة منه ما كانت لتندّ عنه: مثل إقامة خورشيد باشا في ثرمدا .. والضرائب التي كان يفرضها على أهالي الوشم خاصة، وقرى ومدن نجد عامة. المظالم

---

(1) (٤/ ١٨٥ وما بعدها)، ونشرها ـ أيضاً ـ الدكتور محمد بن سعد الشويعر في مقاله عنها، المنشور بمجلة الدارة «العدد الرابع، السنة الثامنة، رجب ١٤٠٣هـ» وذكر: أن أحدهم أخبره أن الشيخ محمد البيز ـ رحمه الله ـ «يحتفظ بها مكتوبة ضمن محتويات مكتبته» قال الدكتور: «اتصلت بمن آلت إليهم بعضُ محتويات مكتبة الشيخ البيز، لكن لم نهتد إلى شيء يعطي أملاً في العثور».

(2) في مقاله السابق.

(3) في مقاله السابق.

التي كانوا يقومون بها، وإهانتهم بل قتلهم العلماء والناس.دعوة حسين بك لأهل الدرعية : من أراد بلداً ينزلها فليأتنا نكتب لـه كتاباً يرحـل إليهـا.. فلـما حـضروا عنـده وعـددهم نحـو (٢٣٠) رجـلاً بنـسائهم وأطفالهم قتلهم جميعاً بسنابك الخيل في ثرمداء! مثل هذه الأشياء التـي تُحرك المشاعر لا أتوقع أن الشيخ ابن دعيج سيغفلها من أرجوزته هـذه التي وسمها في مقدمته بأنها ذات عبرة وعظة: فلعل من يـأتي بعـدنا في آخر الزمان يصيبه بلاء، فـيظن أنـه أول مبـتلى . أمـا قولـه في المقدمـة: وتركنا ذكر سواها من الوقايع بنجد .. فهذا يردُ عليه ما جاء بعد البيت ٨٧؛ حيث استمر في سرد الحالة في نجد، وحسن وحـسين، وهـم مـن القواد الأتراك الذين مر ذكرهم عند ابـن بـشر، وذكـر خـروج الإمـام تركي، وعن السبع سنين التي ماجت فيها نجد، وانحلت فيها العـرى، وهي الفترة الزمنية بـين تركـي واسـتقراره، وبـين هـدم الدرعيـة عـام ١٢٣٣هـ. كل ذلك يقوي العزم بأن للأرجوزة بقايـا، نأمـل أن نراهـا لنسير مع أحداثها، مع رجلٍ عاصر تلـك الأحـداث، وعاشـها سـاعة بساعة».

متن الأرجوزة

«أقول أنا الفقير إلى الله، أحمد بن عليّ بن أحمد بن سليمان بن دُعيج رحمهم الله تعالى، الحنبليُ مذهباً، والكثيريُ نسباً، والمَراءِ - فتح الميم - بلداً: من كتبَ أخبارَ عصره، فقد أشهدَ عصرَه من لم يكن من أهلِ عصره، وقَصَصُ الأولين مَواعظ الآخِرين، وقد امتن الله على رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم، حيث قال جل من قائل: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [سورة هود، الآية: ١٢٠].

فمَن كتب ما رأى أو سمع من أخبار الأمم الماضين لمن بعده، فقد أهدى إليهم ما ليس عندهم، فلعلّ مَن يأتي في آخر الزمان يُصبه بلاءٌ، فيظن أنه أوّل مبتلىً، فإذا سمع التواريخَ، وما جرى على مَن سبق، سَكن روعُه، وأطمأن قلبُه، كما قيل:

طالع تواريخ من في الدهر قد وُجدْ
تجد هموماً تُسَلي عندما تَجِدْ
تجد أكابرهم قد جُرِّعوا غُصَصاً
من الرزايا بها كم فتتتْ كبِدْ

وأقول: جزى الله بالخيراتِ مَن كان قبلنا، لقد غرسوا حتى أكلنا، وإننا لنغرس حتى يأكلُ الناسُ بعدنا، فاستخرت الله تعالى على ذكر

الواقعة الكبرى، التي قصمتِ الظهورَ، وفصمت العُرَى، وفرَّقت البوادي، وأهلَ القُرى، وهي تمْشى إبراهيم باشا بن محمد علي، وزير مصر على نجد، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، وهَدمه أسوارَها بالجُملة، وهَدْمَ الدرعية، وقطعَ نخيلها، وتسفيرَه آل سعودٍ وآل الشيخ إلى مِصر، وتَركنا ذكرَ ما سواها من وقائع نجد، وصلى الله على محمد وسلَّم.

يقولُ عبدٌ أصلُه من مَاءِ الحنبليّ المذهبِ المَرائي[1]

بفَتح ميم أصحُّ لا تضمّها فضمُّها يا صاح غايةُ ذمِّها[2]

---

(1) قال الله تعالى عن أصل خلق الإنسان: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ والمَرائي -بفتح الميم- نسبة إلى «مرات»؛ بلد امرئ القيس التميمي، وهو غير امرئ القيس «الكندي»، الشاعر المشهور، صاحب إحدى المعلقات. وقد أطال الأستاذ عبدالله الضويحي في بيان هذا، والرد على من نسبها إلى «الكندي». انظر: كتابه «مرات» ص(٣٣-٣٩).

(2) أي: المَرائي لا المُرائي، لأنها بالضم تكون وصفاً لصاحبها بالرياء؛ وهو خُلق مذموم، جاء الشرع بالتحذير منه، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾. ولبيان أهمية الإخلاص في الأقوال والأعمال يُنظر شرح الحافظ ابن رجب للحديث الأول من أحاديث الأربعين النووية: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» «جامع العلوم والحكم» ص(٥٩-٩٢).

دخيلُ مولاه الفقيرُ أحمَدا أمَّلَ يهديْه طريقَ محمَّدا[1]
واسمح له مَساوياً نَساها عتيدُ في كتابه أحصاها[2]
بالجودِ والعفوِ وبالغفرانِ مع الرضا والفوزِ بالجنانِ
ووالديهِ وسامعٍ مؤمِّنا ومن سعى في نفعنا داعٍ لنا
أولُ ما أبدأ به المباني باسم ذي المواهبِ المنّانِ
والحمدُ فهو الله مستحقُهُ حمداً كثيراً عنه يَعْجَز خلقُهُ
مُسْتغرقاً للحَمْد والمحامِدِ جميعَها وهوَ عليها زائدِ[3]
نحمَدُ معبودَنا والرب سبحانه فهو لنا مُرَبي
ثم الصلاةُ والسلامُ بالوفى على النبيّ العَربيّ المصْطفى[4]

---

(1) دخيل مولاه: أي العائذ بربه.

(2) قال الله تعالى عن الملائكة الكتبة: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾، أي ما يتكلم العبد بكلمة إلا ولها من يرقبها، مُعَدٌّ لذلك، لا يترك كلمة ولا حركة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾.

(3) كما قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد». أخرجه مسلم (٧٧١).

(4) قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»

محمـدِ المختـارِ سـيِّدِ البشرْ | مالَ له الإيوانُ وانشقَّ القمرْ[1]
وآلـهِ وصـحبِه كلاهُمَا | وتابعٍ يتبعُ ومَـن والاهما
ما هلّتِ السُحب مِن الأمطارْ | وسجعت ألحانَها الأطيارْ
وبعـدُ ذا ذكـرُ وقايعْ عصرِنا | لطالبٍ يَسألُ ويأتي بعدَنا
لعلـهُ يَـدعولنا بالمغفرةْ | والفوزِ أخرى مَع وجوهٍ مُسْفرةْ

(أخرجه مسلم ٢٢٧٦).

(1) قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم» أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

وأما خبر ارتجاس إيوان كسرى يوم ولادته ﷺ، فقد أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٦)، وهو خبر ضعيف. ولذا قال الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح السيرة النبوية» (ص١٤): «ذكر ارتجاس الإيوان، وسقوط الشرفات، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، وغير ذلك من الدلالات: ليس فيه شيء». أي لا يصح فيه خبر صحيح. وينظر ـ أيضاً ـ: «السيرة النبوية الصحيحة» للدكتور أكرم العمري (١/ ٩٨-١٠١).

وأما انشقاق القمر؛ فقد قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا». أخرجه البخاري (٣٦٣٦).

فلعَل مَن يلحقْ يُصبه بلا | فيَظنُّ أن الغِرَ أولُ مُبتلى[1]
فيَسْمعُ التأريخَ أو يُطالعْ | فيَرى الحوادثَ فيهِ والقوارعْ[2]
على الأوائلِ والأواخرِ قد جَرَتْ | مِن بعدِ آدمْ كلُ حي لطمتْ[3]
فيسكنُ لذاك روعُهُ ويَطمئنْ | وسَاخطُ المقدور بالبَلوى قمنْ[4]
مُطالع التاريخ صَاعدْ سُلّما | يُشرفْ على ما قد جرى فيعلما[5]

---

(1) الغِرّ: الذي يجهل الأمور، ويغفل عنها.

(2) القوارع : المصائب.

(3) أي أن البلاء موكلٌ بجميع بني آدم؛ سعيدهم وشقيهم، لأنه من لوازم الحياة؛ قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال سبحانه عن آدم عليه السلام : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٧].

(4) كما قال تعالى : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] ، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلم. (تفسير ابن كثير)، أما من يتسخط قضاء الله فإنه جدير بالبلوى، وحريٌ أن تُعاوده، جزاءَ سخطه وعدم صبره. و«قمن» أي جدير بذلك.

(5) أي أن من يطالع التاريخ كأنه قد صعد على سُلَّمٍ رفيعٍ ينظر من فوقه إلى القرون الخالية، وما جرى فيها من الحوادث.

بكـل جيـلٍ تَظهـرُ العجائـبْ   وتمـلأ الطـروسَ بالغرائـبْ[1]
فاسمعْ وخُـذ تـاريخَ قـرنٍ ثالـثٍ   ومـا جَـرى فيـه مِـن الحـوادثِ
مِنـه ثـلاثٌ مـع ثلاثـين مـضتْ   من قرننا المـذكورِ والبَلـوى دَهَـتْ
من بعدِ ألفٍ قد مضى وقـد جَـرى   من هجـرةٍ شرَّفهـا خـيرُ الـورَى[2]
بنجـد أذكـرْ مـا جَـرى تجمـيلاً   وأتـركُ التبعـيضَ والتفَـصيلا
ومُغْفِـلاً يـا صـاح للـصغيرهْ   وواسـماً للمِحْنَـة الكبـيرهْ[3]
وهيَ العساكرْ مع وزيـرِ مِـصرا   أضرَمَ عـلى نجـدٍ بنـارٍ حَمْـرا[4]
وقبلَـه كأنهـا عَروسـا   والخـيرُ ذكـرُه بمـلأ الطُرُوسَـا[5]

---

(1) الطروس : الكتب.

(2) أي حوادث عام ١٢٣٣ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(3) أي أنه يكتفي بوصف الأحداث الكبيرة، متغافلاً عن صغار الحوادث فلا يتعرض لها.

(4) أي إبراهيم باشا، الذي شن بعساكره حملة عنيفة على أهل نجد ـ كما سبق في التمهيد التاريخي ـ.

(5) أي أن نجداً قبل حملة إبراهيم باشا عليها كانت كالعروس نضارةً وسروراً، قال ابن بشر في وصف الدرعية كنموذج لبلدانها: «ولقد رأيتُ الدرعية في زمن سعود رحمه الله تعالى، وما فيه أهلها من الأموال، وكثرة الرجال، والسلاح المحلى بالذهب والفضة، الذي لا يوجد مثله، والخيل الجياد، والنجائب العمانيات، والملابس الفاخرة، وغير ذلك من الرفاهيات، ما يعجز عن عده اللسان، ويكلّ =

أميرُهَا السُّمَيدَعُ المحامي بنفسِهِ عَن حَوْزَة الإسلام[1]
عبدُ العزيز أميرُ أول عَصرنا فضائِلُهْ تزكو بغير نعتنا
يسوسُ بالقُرآن والآثارِ ونَهْجَه طريقةُ المختارِ[2]

عن حصره الجنان والبنان...إلخ» (تاريخ ابن بشر ١/ ١٣ ط مكتبة الرياض).

(1) السميدع: الرئيس الشجاع، والسيد الكريم.

(2) قال الشيخ ابن قاسم ـ رحمه الله ـ في ترجمته: «هو الخليفة الراشد، والملك الهمام القائد، سلالة الأماجد، الألمعي المهذب، الصارم المجرب، أسد الأسود؛ مورد الجود، مؤيد السنة، نجل الأكابر، بحر الندى، إمام الهدى: عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود، ولد سنة ١١٣٣هـ في بلد الدرعية، وأخذ العلم عن الشيخ محمد وغيره، وشب شجاعاً شهماً، فاتكاً ماجداً، سائقاً للجنود وقائداً، اجتمعت له المكارم والفضائل، وزانت به المجالس والمحافل، طلعت بشائر سعوده مشهودة، وفاق عشائره وجدوده.

ولي الملك بعد أبيه، فبايعه الناس، ورئيسهم في تلك البيعة شيخ الإسلام؛ وفتح الله على يديه البلدان والأقطار، وأرعب به ملوك الأمصار، وظهر صيته وشاع، وأثنى عليه القريب والبعيد، والتابع والمطاع.

وقال الشيخ حسين بن غنام الأحسائي، رحمه الله:

كان الإمام عبدالعزيز، رحمه الله: كثير الخوف من الله والذكر له؛ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر؛ كثير الرأفة والرحمة بالرعية، شديداً على من جنى جناية أو قطع سبيلاً، أو سَرق شيئاً.

وشجاعته، وكرمه، وفتوحاته، وسائر محاسنه، أشهر من أن تذكر؛ وكان كثير الخوف من الله والذكر له، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته، لا يتعاظم عظيماً إذا ظلم، فيقمعه عن الظلم، وينفذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيراً ظُلم، فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن.

وكان لا يخرج عن المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلي فيه صلاة الضحى؛ كثير الرأفة والرحمة بالرعية، خصوصاً أهل البلدان بإعطائهم الأموال من الفيء والزكاة، وبثها في فقرائهم، والدعاء لهم، والفحص عن أحوالهم، ويكثر لهم الدعاء في ورده، ويقول: اللهم أبقِ فيهم كلمةَ الإخلاص «لا إله إلا الله» حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها؛ فاستقاموا عليها ولله الحمد والمنة.

وكانت الأقطار، والرعية في زمنه، آمنة مطمئنة، فكان الشخص يسافر بالأموال العظيمة أي وقت، يمناً وشاماً، شرقاً وغرباً، في نجد والحجاز، واليمن، وتهامة، وعمان، وغير ذلك، لا يخشى أحداً إلا الله، لا سارقاً ولا مكابراً.

وكان رحمه الله: مع رأفته بالرعية، شديداً على من جنى جناية، من الأعراب وغيرهم، أو قطع سبلاً، أو سرق شيئاً من مسافر أو غيره، أخذ ماله نكالاً أو بعضه، أو شيئاً، وعزره على حسب جنايته، وأدبه أدباً بليغاً؛ وكانت الحواج والقوافل، وجميع أهل الأسفار، يأتون من البصرة وعمان، وبلاد العجم، وغير ذلك، إلى الدرعية، ويرجعون إلى أوطانهم، لا يخشون إلا الله.

مِن بَعدِهِ قامَ ابنُهُ سُعودْ وعَقَدَ الراياتِ والبنودْ
وأحسَنَ السيرةَ والسلوكا وأرهَبت هيبتُه الملوكا[1]

وكان أكثر أهل الأقطار، يمرون ببلد الدرعية، في مسيرهم إلى الحج، وكانت ضوال الإبل، من وجد منها شيئاً أتى بها إلى بلد الدرعية، وجعل الإمام عليها رجلاً يحفظها، ومن له شيء أتى وأخذه».

توفي رحمه الله وأسكنه رفيع الدرجات سنة ١٢١٨هـ، في العشر الأخير من رجب، طعنه رافضي في أثناء صلاة العصر، فاضطرب أهل المسجد؛ ثم حُمل رحمه الله، إلى قصره وقد غاب ذهنه، فلم يلبث أن توفي، وقُتل الرافضي، واشتد الأمر بالمسلمين وبهتوا.

وكان ابنه سعود في نخله، فلما بلغه الخبر أقبل واجتمع الناس عنده، ووعظهم وعزاهم وبايعوه، وبُعث إليه بالمراثي والتعزيات. «الدرر السنية» (٦/ ٣٥٦-٣٦٦) ـ باختصار ـ. وانظر: «عنوان المجد» (١/ ١٢٥-١٣٢).

(1) قال الشيخ ابن قاسم ـ رحمه الله ـ في ترجمته : «الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد، رحمهم الله، هو الملك الشجاع، الهمام الباسل العادل، المؤيد، الموفق المسدد، فخر الشجرة الزكية، فاتح الأقطار، مرجف الجنود والأمصار، مبيد الطغاة والبغاة والكفار، مؤمن الحرمين الشريفين.

جامع كلمة المؤمنين، ناشر لواء العدل والإحسان، إمام الهدى بحر الندى، نافي الردى، أبوعبدالله، إمام المسلمين سعود بن الإمام عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود؛ شب سعيداً، وعاش حميداً، وولي الخلافة رشيداً.

كان في نخله، فلما بلغه وفاة أبيه، رحمه الله تعالى، أقبل واجتمع الناس عنده؛ وقام فيهم خطيباً، فوعظهم موعظة بليغة، وعزاهم، فقام المسلمون فبايعوه، خاصتهم، وعامتهم، وعزوه بأبيه، وكتب إلى أهل النواحي، يعظهم ويخبرهم، ويعزيهم. ويأمرهم يبايعون أمراءهم له، فبايع جميع أهل النواحي والبلدان، وجميع قبائل العربان، ولم يختلف منهم اثنان؛ وبُعث إليه بالتهاني والثناء، وشاع ذكره في الأقطار، وأُرعب منه أهل الأمصار؛ وفُتح على يديه الفتوحات، وشهد له بالخلافة، والفضل العلماء والرؤساء.

وقد قال الشيخ عثمان بن بشر في تاريخه: كان ذا رأي باهر وعقل وافر، ثبتاً شجاعاً، محبباً إليه الجهاد في صغره وكبره؛ فأمنت به البلاد، وطابت قلوب العباد، وانتظمت مصالح المسلمين بحسن مساعيه، وانضبطت الحوادث بين مراعيه، فبلغ من الشرف منتهاه، ومن سنام المعالي أعلاه، وكان متيقظاً، بعيد الهمة ـ وذكر شيئاً من محاسنه ومآثره ـ ثم قال: ولو تتبعت فضائله، ونائله، وغزواته وفتوحاته، وما مُدح به من الأشعار، من أقاصي الأقطار في حياته، وما رُثي به من الشعر بعد وفاته، لم يسعه كتاب كبير.

وقد كان، رحمه الله، شجاعاً في الحروب، محبباً إليه الجهاد في صغره وكبره، بحيث إنه لم يتخلف في جميع المغازي، و الحج، ويغزو معه بجملة من العلماء من أهل الدرعية، وأهل النواحي، ويستخلف في الدرعية أحد بنيه.

وكثيراً ما يستخلف ابنه عبدالله، ويغزو معه بنوه، وإخوته، وبنو عمه عبدالله، وكل واحد من هؤلاء معه دولة عظيمة من الخيل والركاب، والخيام والرجال،

في الجهاد وبذل الاجتهاد.

وفتح أكثر البلاد في أيام أبيه وبعد موته، وأعطى السعادة في مغازيه، ولا يعلم أنه هزم له راية، بل نصر بالرعب الذي ليس له نهاية، وكل أيامه مواسم، ومغازيه مغانم، وقد قذف الله الرعب في قلوب أعدائه، فإذا سمعوا بمغزاه ومعداه، هرب كل منهم، وترك أباه وأخاه، وما حواه.

رفع رايات التوحيد، فيما وراء الحرة وعمان، وشيد قصراً على حدود مسقط، ألف قدم فوق البحر، واجتاز إلى حوران والكرك، فوصل إلى أبواب الشام وفلسطين، وأرسل إلى الولاة هناك يدعوهم إلى توحيد الله.

ويأمر جنوده بالصبر في مواطن اللقاء، ويزجرهم عن العجب بالكثرة، والزيادة في النفوس، الذي هو سبب الفشل والهزيمة، ويزجرهم عن الغلول.

وإذا صلى الصبح ركب بالمسلمين، وضجوا بالتكبير، وأغاروا، فتظلم الأرض والسماء من إثارة النقع، فيغيب الذهن في تلك الساعة، ويوقن المسلمون بالنصر، فيوقع الله بأسه فيمن قصدته تلك الجنود، فلا يرفع السيف إلا عمن لم يبلغه الحلم، أو امرأة أو شيخ كبير، وتؤخذ جميع الأموال.

ثم يرحل عن مغارة القوم، بجميع تلك الغنائم، مع البادي والحاضر، وينزل قريباً منها على بعض الموارد، فتعزل الأخماس، وتباع الغنائم بدراهم، وتقسم على جميع الغزو، للراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له، وسهمان لفرسه.

وأما جنوده، ومماليكه، وخيله ومدافعه، فلا يحصيها العد، ولا يبلغها الحصر والحد، وكان يرسل لقبض زكاة السائمة من بوادي جزيرة العرب، مما وراء

الحرمين، وعمان واليمن، والعراق والشام، وما بين ذلك من بوادي نجد، بضعاً وسبعين عاملاً، مع كل عامل طائفة.

وكان رحمه الله: آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كثير الحض على ذلك، في مجالسه ومراسلاته، ناصراً لأهله، محبباً إليه أهل العلم، ويعظهم ويكرمهم، ويجزل عطاياهم، و يلزم أهل البلدان بإكرامهم، وتعظيمهم وتوقيرهم.

وإذا أراد إنفاد أمر، أرسل إلى خواصه، من رؤساء البوادي، واستشارهم، ثم يرسل إلى خواصه وأهل الرأي من أهل الدرعية، ثم يرسل إلى أبناء الشيخ، وأهل العلم من أهل الدرعية، ومال إلى رأيهم وأظهر لهم رأيه.

وفضائله ومحاسنه؛ ونائله، وغزواته، وفتوحاته، وما مُدح به من الأشعار، من أهل نجد والأمصار: أشهر من أن تذكر.

توفي رحمه الله وأسكنه جنات النعيم، سنة ١٢٢٩هـ، في بلد الدرعية، ورثاه جم غفير من جهابذة العلماء». «المصدر السابق» (٦/ ٣٦٦-٣٧٦). وانظر: «عنوان المجد» (١/ ١٦٧-١٧٨).

قال الأستاذ حافظ وهبة في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين»: «يقول النجديون المحنكون: إن عبدالله قد أخطأ في إدارة الحرب، وخالف طريقة والده في الحرب، فعبدالله كان يعمد إلى منازلة المصريين، والمصريون أقوى منه آلات حربية، وأقدر على إدارة الفنون الحربية، أما أبوه ـ أي الإمام سعود ـ فكان يعمد إلى الحيلة الحصيفة، فيناوش أعداءه بقوات صغيرة؛ حتى يُنهك قوتهم، ثم ينقض عليهم، فيقضي عليهم» (ص٢٢٩).

في عصرِهِم أيامُهم بواسمُ	هبائبُ العِز لهم نواسمُ
ونعمَةُ الإسلام ذاكَ الوقتِ	كلٌ رآها غيرَ أهلِ المقتِ
وعَمَّت الراعي مع الرعيَّهْ	هُتَيم والأشراف بالسويَّهْ[1]
سارت بها الأنثى الظعينة وحدها	والثعلبُ أدرك حقه من فهدها[2]
وبعدَهم قام الإمامُ البارعْ	وكمْ له في التُرك من وقائعْ
عبدُ الإله الليثُ أبو سَعَدْ	ولدْ سُعود النَّدب مثلُ الفَهدْ[3]

(1) أي أن النعمة عمَّت جميع الناس في عصرهم، أشرافاً أو مَن دونهم.

(2) أي أن الأمن قد حلَّ في زمانهم، حتى أن المرأة الظغينة تسير وحدها دون خوف؛ كما قال ﷺ لعدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ: «.. **فإن طالت بك الحياة لترينَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله ..**». أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

قال النووي: «وأصل الظعينة: الهودج الذي تكون فيه المرأة على البعير؛ فسُميت المرأة به مجازاً، واشتهر هذا المجاز حتى غلب، وخفيت الحقيقة» (شرح مسلم: ٩/ ٤٠).

(3) النَّدْب: السريع، الخفيف عند الحاجة. قال الشيخ ابن بشر ـ رحمه الله ـ عن الإمام عبدالله بن سعود ـ رحمه الله ـ: «كان ذا سيرة حسنة، مقيماً للشرائع، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كثير الصمت، حسن السمت، باذل العطاء، ولكن لم يساعده القدر، وهذه سنة الله في عباده..، وكان صالح التدبير في مغازيه، ثبتاً في مواطن اللقاء، وهو أثبت من أبيه في مصابرة الأعداء، وكانت سيرته في مغازيه، =

في نحـرهِ قـد قـامَ أفنـدم بَاشـا   وفـوّق الـسَهم لـه ورَاشـا[1]
بعساكر الـسُلطان ومحمَّـد علي   وكمْ قبله الوادي يَطمُّ على القَـري[2]
أتـى بكيـدٍ مـا رأينـا مثلَـهُ   وأجْلـبَ علينَـا خَيْلـه ورَجْلـهُ[3]
وشَـب نـار الحربِ فـوقَ الـرَسِّ   ثُلـث الـسنهْ يَـضربهم بـالقُبْس[4]

=

وفي الدرعية في مجالس الدرس، وفي قضاء حوائج الناس، وغير ذلك؛ على سيرة أبيه سعود؛ فأغنى عن إعادتها» (عنوان المجد: ١/ ٢١١).

(1) فوّق السهم: أي جعل له فُوقاً، والفُوق من السهم: حيث يثبت الوتر منه. وراشَ: أي ركَّب عليه الريش.

(2) أي أن إبراهيم باشا جاء بعساكر الدولة التركية والمصرية لقتال أهل نجد. وقوله: «الوادي يطمّ على القرى»، مثل عربي يُضرب عند تجاوز الشر حدّه. والقري: مجرى الماء في الروضة. أي أن سيل الوادي جاء فدفن القري وزاد عليه.

(3) كما قال تعالى في الشيطان: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤]: أي احمل على أوليائك بجنودك «خيالتهم ورَجْلتهم» والرَّجْل جمع راجل. ومعناه: تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه.

(4) قال الشيخ محمد العبودي: «القُبْسة: قنبلة المدفع المستديرة. جمعها: قبوس وقبس. والمراد بذلك القنابل القديمة التي كانت من الحديد، لا تنفجر عندما يُرمى بها الهدف، وإنما تصدمه، وتبقى على حالها» (كلمات قضت ٢/ ٩٨١).

وصبَروا وصَبْرُهُم قد بَانا أصبرُ في الهيجا من أبَانا[1]
رجالُ صدقٍ في اللقا والباسْ أعيانُهم وشيخُهم قرناسْ[2]
سَاورهم فندينا بكلِّ فَنْ نَعَم بأهلِ الرَسِ وَطَّوه الرَسَنْ[3]
وعلى عُنيزةَ مع بُريدةَ حَلاَّ فراعَهُم منهُ سَوادُ الظِلاَ
وفالت أرياهُم وضَاق المخرجَا والذُل في قلوبهم توَلجا[4]

---

(1) لعله يقصد بـ«أصبرُ في الهيجا من أبانا»: أحد جبلين يقعان بجوار الرسّ، هما: أبان الأسمر، وأبان الأحمر. يُنظر: كتاب «الرس» للأستاذ عبدالله بن محمد الرشيد، ص(١٢٩). وقال ابن بشر ـ رحمه الله ـ عن أهل الرس ومقاومتهم: «وصبروا صبراً ليس له مثال». (١/ ١٨٩).

(2) هو الشيخ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس ـ رحمه الله ـ، (ت١٢٦٢هـ)، قاضي الرس، قال عنه الشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ: «لما حاصر إبراهيم باشا الرس عام ١٢٣٢هـ ذلك الحصار الطويل؛ كان الشيخ قرناس أول الثابتين والمشجعين على مطاولة المعتدين؛ حتى أذعن الباغي للصُلح رُغم أنفه» (علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٥/ ٤١٥-٤٢٢).

(3) أي أن إبراهيم باشا حاول اقتحام الرسّ بكل حيلة، فلم يستطع. حتى أرغمه أهل الرس الشجعان على قبول الصلح.

والرسَن: ما كان من الأزمَّة على أنف الدابة. فكأنهم قادوه إلى ما يريدون كما تُقاد الدابة.

(4) هكذا: «وفالت أرياهم»، ولم يتبين لي المقصود منها.

وابتَهَجُوا بالصُلح والأمانِ　　وهُمْ رجالُ الحربِ والطِّعانِ(١)
وشقرا عليها شبَّ نارَ الحربِ　　بالقُبس ضَربًا مثل رَجم الشُّهبِ
نهارُهم يُشبه مهبَّ عاصفِ　　وليلهُم بالوصفِ رعدُ قاصفِ(٢)
ثلاثةُ أيام عَليهمْ طالتْ　　وأفزَعتْ قُلُوبَهم وهَالتْ
وفنيتِ الأسبابُ والأسوارُ　　ولم يَبْقَ إلا خَنْدقٌ دوَارُ(٣)

---

(1) يعيب الناظم على أهالي عنيزة وبريدة أنهم استسلموا من أول يوم شن عليهم إبراهيم باشا هجومه، طالبين الصلح، ولم يصبروا مصابرة أهل الرَّس، رغم أنهم أهل حرب وجهاد ـ كما مضى في التمهيد التأريخي للمنظومة ـ.

(2) العاصف: الريح شديدة الهبوب. والرعد القاصف: شديد الصوت.

(3) أي أن إبراهيم باشا وجنده اقتحموا أسوار شقراء ـ كما مضى في التمهيد التاريخي ـ لكنهم بقوا عاجزين أمام خندقها. قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ في أحداث سنة ١٢٣٢هـ: «وفيها آخر ذي الحجة أمر حمد بن يحيى بن غيهب أمير شقراء وناحية الوشم على أهل شقراء أن يحفروا خندق بلدهم، وكانوا قد بدؤوا في حفره وقت طوسون، فلما صارت المصالحة تركوه. فقاموا في حفره أشد القيام، واستعانوا فيه بالنساء والولدان، لحمل الماء والطعام؛ حتى جعلوه خندقاً عميقاً واسعاً، وبنوا على شفيره جداراً من جهة السور». وقال في أحداث سنة ١٢٣٣هـ، عند حصار إبراهيم باشا وجنوده لشقراء: «فكلما همّ الترك بالحملة عليهم، انثنى عزمهم؛ لأجل الخندق، ولأجل ما أذاقوهم من شدة القتال أول نزولهم، فصار الخندق من الأسباب لثبات أهلها؛ لأنه لا يُرام».

والتَفَّت الأتراكُ والشَّبَاكْ وأيقنوا بالعَطْب والهلاكْ
وحوَّمت عليهمُ المنيهْ وأنجاهم الله بصدقِ نيّهْ[1]
ودارَ رَحى الحربِ على الحمادةِ وخصّهم مولاي بالشهادةِ

(1) قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ متحدثاً عن دخول إبراهيم باشا لشقراء بعد صلحه مع أهلها: «ولما كان بعد أيام من مصالحة أهل شقراء، وشى بهم رجل عند الباشا من أهل نجد! ممن ساعده وسار معه، وقال: إنه ارتحل منهم عدة رجال من أعيانهم وعامتهم إلى الدرعية، وإنهم يريدون أن ينقضوا العهد بعدما ترتحل عنهم، ويقطعوا سُبُلك، فأفزع ذلك الباشا وأهمه، فدخل البلد مغاضباً، بعدد كثير من عساكره، فلما دخلها جعل العسكر في المسجد؛ فأوقدوا فيه النيران، وذلك وقت الشتاء، ثم دخل الباشا بيت إبراهيم بن سدحان، المعروف جنوب المسجد، وأرسل إلى الأمير حمد بن يحيى، وهو جريح، فجيئ به بين رجلين، فتكلم عليه الباشا بكلام غليظ، ثم أرسل إلى الشيخ العالم عبدالعزيز الحصيِّن الناصري، وكان قد كبر وثقل، فجيئ به محمولاً؛ فأكرمه وأعظمه، فذكر لهما ما حدث من أهل البلد، وأنهم فعلوا وفعلوا، فكلمه بعض من حضر أن ما قاله الواشي كذب، وأن فلاناً في بيته، وأن فلاناً قصد البوادي، فأرسل الباشا إلى ورقة الصلح؛ فقرأها وردد قراءتها، وقام وقعد، وهو يردد قراءتها، وكان قصده أن يفتك بهم، فكفى الله سبحانه شره». فقد أجاب لالتماس الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن ـ رحمه الله ـ العفو عنهم؛ كما ذكر هذا الشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ في ترجمة الحصين. «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٤٥٨).

نرجُـو لهـم مـن رِّبنـا غُفْرانـا ... لـصَبْرِهم والفَـوزِ بالجنَانَـا[1]
ويـاقي القُـرى فـسابَلوا وقـابلوا ... وأعـرابُهم فـأرحَلَوا وعـامَلوا[2]
أفٍ لهـم خَـافوا عُلـوجَ الـرومْ ... والـصبرُ مـن نُفوسِـهم مَعْـدومْ[3]
ونـازَلَ العَوجـا بحـربٍ صـارمْ ... لكـنْ تنـضنض دونهـا أراقـمْ[4]

---

(1) أي: أهل ضرماء الذين قاوموا إبراهيم باشا وجنده مقاومة عنيفـة، فـرحمهم الله، ورفع درجتهم.

يقول الأستاذ خالد بن سعود المبدل عن سبب تسمية ضرماء بـالحمادة: «الحمادة نسبة إلى نوعية أرض المنطقة، فالحمادة هـي الأرض الطينيـة الخصبة، الواقعـة في حضن الجبل». (مقال عن ضرماء نشر بجريدة الرياض، بتاريخ ٤/ ٨/ ١٤٢٨هـ).

وقال الشاعر إبراهيم العجاجي في مدح أهالي ضرماء:

«أهـل الحمادة مبعدة كل زحزيح ... عن دارهم لي زارها الضد يخشـى
يخشى رجال في الملاقا طحاطيح ... يخلـى حماهـم مجنـب مـا يدشـى
يشـهد لهـم تاريخ نجـد بتوضيح ... يوم العساكر في الحوامي تفشـى»

انظر: «ضرماء» للدكتور محمد القباني، ص(١٠٥).

(2) يلوم الناظم القرى والأعـراب الـذين تعـاملوا مـع الباشـا كـأن لم يكـن حـرب وعداوة! والمسابلة: المتاجرة

(3) العلج: كل جافٍ شديدٍ من الرجـال. والنـاظم جـرى عـلى عـادة أهـل زمنـه في إطلاق وصف «الروم» على الأتراك.

(4) أطلق الناظم على الدرعية وصف «العوجا»؛ لأن أهلها ـ وعلى رأسـهم آل سـعود ـ =

وبعضٌ على البَاشا فهُم تهافتوا وآخرينَ بالمكاتِب خافتوا[1]
وأهلُ السَهْل جميعُهم فأهلسوا وأدخَلوا العسكرَ عليه ودلَسوا[2]

=

الله ـ، تُنظر أسماؤهم وبطولاتهم في رسالة: «حصار إبراهيم باشا للدرعية وسقوطها» ص(١٨٦ وما بعدها).

قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ: «ثم حمل الباشا وعساكره مع بطن الوادي على فيصل ومن معه؛ فثبتوا لهم وقاتلوا قتالاً شديداً» (١/ ٢٠٠ ط مكتبة الرياض الحديثة).

وقال ـ أيضاً ـ: «فوقف فيصل وأخوه سعد، وكثير من الأعيان والشجعان، فجالدوا الروم جلاد صدق، حتى ردوهم على أعقابهم، وقتلوا منهم عدة قتلى» ص(٢٠٠). وقال عن فيصل بن سعود ـ رحمه الله ـ: «وكان ـ رحمه الله ـ شجاعاً مقداماً مهيباً ديِّناً، يُضرب به المثل في زمانه بالشجاعة» ص(٢٠٥).

(1) قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ: «ثم كانت وقعة سمحة: النخل المعروف أعلى الدرعية، جنوب الوادي، وانهزم أهل الدرعية عن متارسهم المذكور، وذلك أن الباشا بعد وقعة غبيراء خرج إليه أناس من البلد، وأخبروه بعوراتهم ومعاديهم، وكان أكثر ما شدّ ظهور الترك في نجد وفي البلدان، وأسكن جأشهم وقواهم على أهلها: أناسٌ تبعوه من أهل نجد، ومن رؤساء البوادي..» (١/ ١٩٩ ط مكتبة الرياض الحديثة).

(2) أهلسوا: يقال: أهلس الشَعَر: إذا تكسر وتساقط. ويقال: رجلٌ هلس: لا يُعتمد عليه، ولا يُوثق بما لديه، فهو كالشعرة، إذا مسّتها اليد سقطت. (ينظر: «كلمات قضت» للشيخ محمد العبودي، (٢/ ١٤٢٨).

=

والنِصفُ من أهل الطَريفِ ناروا وصَفّقوا جنحانهم وطاروا(1)

= وفي هذا البيت يعيب الناظم على أهل السهل أنهم صالحوا إبراهيم باشا، رغم أنهم بذلوا جهدهم في مراغمته ـ كما سبق في التمهيد التأريخي ـ. قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ: «وتفرقت العساكر على أهل الدرعية في منازلهم، ودخلوا شيئاً منها، ووقع حرب وقتال شديد بين أهل السهل من الدرعية وبين الترك، هذا وأهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريح حافظين جهتهم ومنازلهم» ـ إلى أن قال ـ: «وتفرقت عساكر الترك على أهل السهل، وأمسكوا فيه بيوتاً ونخيلاً، وكادوا أن يأخذوه عنوة، وجالوا أهله جولة عظيمة، واشتدت وطأة الترك عليهم، فحماهم الله تعالى، وكف أيدي الترك عنهم؛ فهموا بالمصالحة؛ فرد بعضهم على بعض: إنها لم تكن المصالحة إلا بإخراج تلك العساكر عن البيوت والنخيل، وقتل ما أمكن منهم، فشهر سيفه عبدُالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وانتدب، واجتمعوا عليه أهل البجيري، ونهضوا على الترك من كل جانب؛ كأنهم الأسود، وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود، فأظلمت البجيرة كأنها الليل، وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيل؛ فأخرجوهم منها صاغرين، وقتلوا من الترك عدة مئين، حتى قال لي بعض من حضر ذلك: لو حلفتُ بالطلاق أني من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلا على رجلٍ مقتول، لم أحنث». (١/ ٢٠٨).

(1) سبق في التمهيد التاريخي وصف سقوط حي الطريف. ويزيد ابن بشر ذلك وضوحاً فيقول (١/ ٢٠٩): «.. فأخرج عبدالله المدافع التي في القصر، وجعلها =

وخلّفُـوه بقَـصْره وحيـدَا ... وقَـضَا الإلـه فليسَ عنـه محيدا
وأخرجـوهُ مـن مَنيـعِ أوطانِـهْ ... فعـزَّ مَـن لا ينقـضي سُـلطانهْ
ولا يُـرامُ ولا يَكيـْده كائـدُ ... ولا يَبيد وكـلُ شيءٍ بائـدُ
مالـكْ جميـعَ الملـكِ حـيٌّ دائـمُ ... سِواه مملـوكٌ وأنفُـهْ راغـمُ
ومُلكـهُ جديـدٌ ثابـتُ الأركـانِ ... ولا يُـضَام ولا لَـه أعـوانْ[1]
كـمّ قَبْلنـا أبـاد ربي مـن أمـمْ ... مـن بعـد نـوح مثـل عَـادٍ وإرمْ[2]
فـيما مـضى كـمْ دولـةٍ قـد دالـتِ ... ثـم انقـضتْ مـدتُها وزالـتِ
كـمْ في المقَـابر مـن أشـمِّ المعْطِـسَا ... رَمَـاه سـهمٌ حـادثٌ فقُرْطِـسَا[3]

=

في مسجد الطريف، ورماهم بها، وانحاز إليه رجال كثير من أهل البجيري، وأهل النواحي؛ فوقع هذا الحرب نحو يومين، ثم تفرق عن عبدالله أكثر من كان عنده، وبذل لهم الدراهم؛ فأخذوها وهربوا؛ فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للترك، وفدى بها عن النساء والولدان والأموال».

(1) كما قال تعالى عن نفسه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

(2) كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

(3) أشمّ المعطسا: أي أشمّ الأنف، والشَمَم ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه. فقُرطسا: أي أصيب بالسهم.

سكانُ نجدٍ في حِسَابِ الناسِ ... كقَطرةٍ في البَحرِ بالقياس

مصيرُ دنيانَا إلى المحاقِ ... ثم البَقا للوَاحدِ الخلاقِ(1)

وذا يُعزينا عن آلِ سعودِ ... وعن كلِّ محبوبٍ لنا مفقودِ

وبعدَهْم أهلُ الظنونِ الفاسدهْ ... تَيقّنوا النعمَةَ عليهم خَالدهْ(2)

---

(1) كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

والمحاق: النقصان. ومنه قيل لآخر الشهر: المحاق.

(2) يصف الناظم في هذا البيت وما بعده حال البلاد بعد سقوط الدرعية، وزوال الدولة السعودية. قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ مؤكداً ما ذكره الناظم (١/ ٢١٢-٢١٣): وكانت هذه السنة كثر فيها الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال وقتل الرجال، وتقدم أناس وتأخر آخرين، وذلك بحكمة الله سبحانه وقدرته، وقد أرخها بعض الإخوان من أهل سدير، وهو محمد بن عمر الفاخري فقال:

عامٌ به الناس جالوا حسبما جالوا ... ونال منا الأعادي فيه ما نالوا

قال الأخلاء أرخه فقلت لهم ... أرختُ قالوا بماذا قلتُ غربال

قلت: وانحل فيها نظام الجماعة، والسمع والطاعة، وعُدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر، أو يأمر بطاعة، وعُمل بالمحرمات والمكروهات جهراً، وليس للطاعات ومن عمل بها قدراً، وجُرَّ الرباب والغناء في المجالس، وسفت الذواري على المجامع والمدارس، واندرس معرفة ثلاثة الأصول وأنواع العبادات، وسُل سيف الفتنة بين الأنام،

وصار الرجل في وسط بيته لا ينام، وتعذرت الأسفار بين البلدان، وتطاير شرر الفتن في الأوطان، وظهرت دعوى الجاهلية بين العباد، وتنادوا بها على رؤوس الأشهاد؛ فلم تزل هذه المحن على الناس متتابعة، وأجنحة ظلامها بينهم خاضعة؛ حتى أتاح الله لها نوراً ساطعاً، وسيفاً لمن أنار الفتنة قاطعاً، فسطع به من كشف الله بسببه المحن، وشهره من أغمده في رؤوس أهل الفتن، الوافي بالعقود، تركي بن عبدالله بن سعود، أسكنه الله تعالى أعلا الجنان، وتغمده بالمغفرة والرضوان».

وقال ـ أيضاً ـ (٢/ ٤): «فلما حل القضاء وانتهى الأمد المكتوب وانقضى، انحل نظام الجماعة، والسمع والطاعة، وتطايرت شرر الفتن في تلك الأوطان، وتعذرت الأسفار ببين البلدان، وعاثت فيها العساكر المصرية، فقتلوا صناديد الرجال، وصادروا أهلها فأخذوا ما بأيديهم من الأموال، وقطعوا الحدائق الظليلات، وهدموا القصور العاليات، وصار أهل نجد بينهم أذل من العبيد، وتفرقت علماؤهم وخيارهم ما بين طريد وشريد، وثارت في غالب البلدان الفتن، والقتل والقتال والمحن، وظهر المنكر وعُدم الأمر بالمعروف، وصار الرجل في جوف بيته وجلٌ مخوف، وتذكروا ما بين أسلافهم من الضغائن الخبيثة القديمة، وتطالبوا بالدماء؛ فكلٌ منهم يطلب أولاد أولاد غريمه، فتقاتلوا على سنن ما أنزل الله بها من سلطان، وهجر كثير منهم الصلاة وأفطر في رمضان، وجُر الرباب والغناء في المجالس، وسفت الذواري على المجامع والمدارس، وعُمرت المجالس، بعد النداء للصلوات، واندرس السؤال عن أصول الإسلام

فانقلبتْ أيامُهُم دَواهي — وبُدِّلتْ دروسُهُم ملاهي
بُيوتُهم ملاعبٌ للبومِ — يُسمعْ بها صَوتُ الصَّدا الموهومِ
فَيالها من بيَضَةٍ تفلقتْ — حدائقٌ بعدَ التفافِ قُطِّعتْ
وطَالما كانتْ محلَّ آنسِ — ورَحْب ساحاتٍ بها ومجالسِ
وكمْ بها من مَلكٍ غطريفِ — وشيخُ علم جَهبَذ ظريفِ[1]
ومِنْ آنَ زالَ الملكُ مِن رجَالها — كلٌ تبَيّن ثُم قَال: أنَا لها[2]
وسادنَا منهُم حُسين مَع حَسَنْ — وأتباعُهُم من نجد يابئسَ الزمنْ[3]
تَوازَروا بالقَتْل والمُصَادرهْ — الله يُكفينَا وجوهًا باسرهْ[4]

=

وأنواع العبادات، وظهرت دعوى الجاهلية في كل البلاد، وتنادوا بها على رؤوس الأشهاد، وتتابعت هذه المحن في تلك الجزيرة»

(1) الغطريف: السيد الكريم.

(2) قال ابن بشر ـ رحمه الله ـ (١/ ٢١٨): «ولما رحل الباشا من نجد، ونزل رؤساء البلدان في بلدانهم، وهم الذين وقعت العداوة بينهم وبين آل سعود، فأجلوهم آل سعود عنها، وجعلوا في مكانهم غيرهم، فلما سكنوا البلدان واستوطنوها، وقعت الحرائب في نجد، واشتعلت فيها نار الفتن...».

(3) يعني حسين بيك أحد قواد إبراهيم باشا، صاحب الجرائم والمظالم ـ كما سبق في التمهيد التاريخي ـ، والقائد الآخر: حسن بيك أبو ظاهر.

(4) توازروا: أي تعاونوا. وباسرة: أي عابسة.

والسُبُلُ فَالأعراب قَطَّعوها   بالخَتْلِ والأموالُ نهبوها[1]
فاضطَرَبتْ أيامُنَا واختلَّتْ   سَبْعَ سنينٍ سَقَمت واعتلتْ[2]
وأظلمتْ نجدُ وثارتِ الفِتَنِ   واستنسَر البَعوضُ والثَّعلب فَتَنْ[3]
فانتدبَ الشهمُ الموفَّق تُركي   وجَرّد الأَجرَبَ نِظَام المُلكِ[4]

---

(1) بالختل: أي بالمخادعة والمراوغة.

(2) وهي المدة الواقعة بين سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ إلى قيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله ـ رحمه الله ـ عام ١٢٤٠هـ ـ كما سبق في التمهيد التاريخي ـ.

(3) استنسر البعوض: مثلٌ يُضرب للضعيف يدعي القوة.

(4) الأجرب: اسم سيف الإمام تركي ـ رحمه الله ـ. قال الشيخ ابن قاسم ـ رحمه الله ـ عن الإمام تركي ـ رحمه الله ـ: «هو الإمام الشجاع، الفارس المجيد، والشهم اللوذعي الوحيد، لا يماثل في الشجاعة والبراعة، ولا نظير له في الحلم، والعفو والأناة، الخليفة حقًّا، الشجاع صدقاً، بل أوحد الشجعان: تركي بن الأمير عبدالله بن الإمام محمد بن سعود.

افتتح قرى نجد، واستولى عليها حرباً وصُلحاً، بعد أن كان بعضهم يضرب رقابَ بعض، ورفضوا أكثر شعائر الإسلام، فجاهد حق الجهاد، حتى دانت له البلاد والعباد، وصاروا كلهم جماعة، وبايعوه على السمع والطاعة.

كان ذا رأي وفطنة وبراعة، وله من الشهامة والشجاعة ما ليس لغيره من الملوك، بل له الحظ الأوفر، خصوصاً الشجاعة والديانة، حتى إنه لا يقاس به في زمانه =

وأورَدَ الأعْـدَا بحـارَ الهَلَـكِ وقَـض مـن نجـدٍ قـصورَ الـتُرُكِ[1]

قرين، مع تواضع للأرامل واليتامى والمساكين، في هيبة جعلها الله عليه، ومحبة في القلوب معروفة إليه، وأعاد الله به أبهة هذا الملك، فعمر أبنية المجد والكرم، ورفع شرف آبائه وأعمامه.

قال الشيخ عثمان بن بشر: هو الإمام الشهير الفارس، المجيد الذي لا يماثله أحد في الشجاعة والبراعة، ولا يُعرف له نظير في العفو والحلم والأناة، وقال: كان شجاعاً مقداماً، مجاهداً في سبيل الله.

أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها، وتعذرت بين البلدان الأسفار، فحاصر البلدان وقاتل العربان؛ ودعاهم إلى الجماعة، والسمع والطاعة، حتى ضرب الإسلام بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه.

قدمت الوفود إليه من البلدان والعربان، وأكرمهم وأحسن جوائزهم، وكان يخرج كل خميس واثنين لحضور الدرس، واجتماع المسلمين، وكان الجالس المعلم في ذلك الدرس، الشيخ: عبدالرحمن بن حسن، وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ويرسل النصائح إلى البلدان، ويحضهم على القيام بشرائع الإسلام.

وبالجملة: فمناقبه، ومكارمه مأثورة، وفضائله، ووقائعه مشهورة؛ ولو تتبعنا ما مُدح به، من الشعر والنثر، لطال غاية، وفيما نبهنا عليه كفاية.

قُتل ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة، آخر ذي الحجة، سنة ١٢٤٩هـ بعد صلاة العصر».

(الدرر السنية: ١٦/ ٣٩١-٣٩٥. وانظر: «عنوان المجد» ٢/ ٨ و٥٤-٦٣).

(1) قضَّ: أي هدمها بعنف.

ولاحَ بـدراً طالعـاً في السَّعْدِ ... وكـفّ شراً واستقرتْ نجـدِ
فانصَلحتْ بـه الأمـورُ الفاسـدَهْ ... وأرغَـمَ اللهُ تَعَـالى حاسِـدَهْ
واسـتَنقذَ الملـةَ والخلافـهْ ... ونَـاف فعـلاً عـن فِعَـال أسـلافهْ[1]

يا ربِّ توهن مَن نَوى خِلافهْ

تبقيـه ذو عـزٍ لنـا سـنينا ... يـا سـامعاً للـنَظمِ قُـل آمينـا
ويَـدْعي صـدورَ الـنَظم والقـوافي ... حُبّـا لأهـل العَـدل والإنـصافِ[2]
ولـيس مقـصودي ولـيسَ شـاني ... أطلـبْ بـه شـيئاً مـن المعـاني[3]
فخـيرُ والٍ عـادلاً بـصيراً ... شَـبيهُ عَمْـرٍ يُحسن التـدبيرا
يُقـدم الـوحيين فيهـا عالمـا ... وعـن الرعيَّـة يَرفـع المظالمـا
وموفيـاً للعَهْـد والـذِمامِ ... وحاميـاً لحـوزة الإسـلامِ[4]
يجهِّـزُ الجيـوشَ للمغـازي ... ويقمَـعُ أهـلَ الـشين والمخـازي
وينَـصرُ المظلـومَ والحـدودا ... يُقيمُهـا ويُكـرمُ الوفـودا

---

(1) ناف: أي زاد وارتفع.

(2) بَدْعي: أي إحداثي لهذا النظم.

(3) أي: نظمت هذه الأرجوزة، وما فيها من مدح للإمام تركي ـ رحمه الله ـ من باب المحبة لأهل العدل، لا رغبة في شيء من أمور الدنيا ومنافعها.

(4) الذِّمام: العهد.

وينصبُ القضاةَ أهلَ العلمِ مُنَفِّذاً لقولهم في الحُكمِ[1]

مُفتقداً للضيفِ بالإكرامِ وفي الحروب مَاهرٌ مقدامِ

يُقرِّبُ أهلَ الخيرِ والأمانةْ يجعلُهُم شعارهْ والبطانةْ[2]

ويُبعدُ أهلَ الشرِّ من ناديهِ ويُقْصِهم ولو كانوا ذويهِ

ميزانُ أفعالهْ على هدي النبيّ بخٍ له فذاك عَنْقا مُغربِ[3]

والحمْدُ حقّاً أولُه وآخرهْ لمالكِ الدُّنيا مَليكِ الآخرهْ

مَعبودنَا أهلَ الثنا والمجدِ جَزلَ العطايا مُستحقَ الحمدِ

مُوجد جميعَ الخلقِ من بعدِ العَدَمِ سُبْحانهُ وهو المربّي بالنِعَم

---

(1) سبق في ترجمة الشيخ ابن دعيج ـ رحمه الله ـ أن الإمام تركي بن عبدالله ـ رحمه الله ـ أقره على قضاء بلدته مرات.

(2) بطانة الرجل: أي خاصته، وأهل مشورته في الأمور.

قال ﷺ: «**ما استُخلف خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله**» أخرجه البخاري (٦٦١١).

(3) قال ابن دريد: «عنقا مُغرِب: كلمة لا أصل لها. يقال: إنها طائر عظيم لا يُرى إلا في الدهور» (تاج العروس: ١/ ٦٥٠٩). فالناظم يشير إلى أن الإمام تركي بن عبدالله ـ رحمه الله ـ، بسبب أفعاله السديدة يعز وجوده ويندر.

وإن تعدوا النِعَم لا تحصُوها   يا مَعشر العِبَاد فاشكروها[1]
فالحمدُ والشكرُ عليكم فرضا   وجزاؤه فهوَ عليه قَرْضا[2]
وتمتِ المباني الحربيّهْ   أبياتُها عرائسٌ مجليّهْ[3]
أُعيذُها من طَعْنِ شامخ بأنفهْ   وهو الغبيُّ والجهالةُ وصفهْ[4]

---

(1) كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(2) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «طريق الهجرتين» (١/ ٤٧٠) عن الله ـ عز وجل ـ: «هو المحبوب لذاته وصفاته، إذ لا شيء أكمل منه، وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل، وعلى كل ما أمر؛ إذ ليس في أفعاله عبث، ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة، والمصلحة، والعدل، والفضل، والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء، والمحبة عليه، وكلامه كله صدق وعدل، وجزاؤه كله فضل و عدل، فإنه إن أعطى؛ فبفضله ورحمته ونعمته، وإن منع أو عاقب؛ فبعدله وحكمته:

ما للعباد عليه حقٌّ واجبُ   كلا ولا سعيٌ لديه ضائعُ
إن عُذبوا فبعدلـه، أو نُعموا   فبفضله، وهو الكريم الواسعُ».

(3) عرائس مجلية: أي مكشوفة معروضة.

(4) شمخ بأنفه: أي تكبَّر وتعظَّم.

عَسى عليَها السِترُ والقَبُولُ بجاهِ طه السيّد الرسولُ[1]

(1) قول الناظم: «بجاه طه السيد الرسول» من التوسل البدعي غير الجائز. قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «ينقسم التوسل إلى قسمين:

القسم الأول: قسم صحيح؛ وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب؛ وهو على أنواع؛ منها:

١ - التوسل بأسماء الله تعالى أو صفاته؛ كأن تقول: اللهم إني أتوسل إليك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا ـ ثم تذكر مطلوبك ـ.

٢ - أن يتوسل إلى الله بالإيمان به وبرسوله ﷺ؛ كأن يقول: اللهم بإيماني بك وبرسولك اغفر لي أو وفقني أو أسألك كذا.

٣ - أن يتوسل إلى الله بعمله الصالح؛ كما جاء في قصة النفر الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار؛ فتوسل كلٌّ منهم إلى الله بعمل من أعماله الصالحة.

٤ - التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي تُرجى إجابته؛ كما كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم ـ وهذا خاص بحياته ﷺ ـ.

القسم الثاني: **التوسل غير المشروع:** أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة؛ أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة؛ لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل، المخالف للمعقول و المنقول؛ ومن ذلك: أن يتوسل الإنسان بجاه النبي ﷺ، وذلك أن جاه الرسول ﷺ ليس مفيداً بالنسبة إلى الداعي، لأنه لا يفيد إلا الرسول ﷺ، أما بالنسبة للداعي فليس بمفيد حتى يتوسل إلى الله به، وقد تقدم أن التوسل اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر. فما فائدتك أنت من كون الرسول ﷺ له جاه عند الله؟! وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح فقل: اللهم بإيماني

الهاشميُّ المصطفى التِّهامي وآلِهِ وصحبِهِ الكِرامِ[1]

صَلى عليهم ربُّنا وسَلَّما ما دارتِ الأدوارُ وأفلاكُ السَما

واغفرْ لنَا يا ربِّ وامنحنا الرضَا وعافِنَا واكفِنَا سوءَ القضا[2]

بك وبرسولك، أو بمحبتي لرسولك، وما أشبه ذلك، فإن هذا الوسيلة الصحيحة النافعة» (فتاوى ابن عثيمين: ٢/ ١٠٤-١٠٩ باختصار).

أما تسمية الناظم النبيَّ ﷺ: «طه»؛ فهو من الأخطاء الشائعة؛ لأن «طه» ليس من أسمائه ﷺ. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «تحفة المودود» ص(١٢٧): «وأما ما يذكره العوام أن «يس» و«طه» من أسماء النبي ﷺ؛ فغير صحيح، ليس في ذلك حديث صحيح ولا حسن ولا مُرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنما هذه الحروف مثل: «آلم» و«حم» و«آلر»، ونحوها». وانظر: «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبوزيد، ص(٣٦٠)، و«آراء خاطئة وروايات باطلة» للشيخ عبدالعزيز السدحان، ص(٩٥).

(1) التِّهامي: نسبة إلى تِهامة. قال المدائني: «تِهامة من اليمن، وهو ما أصحر منها إلى حد في باديتها، ومكة من تهامة». (معجم البلدان: ٢/ ٧٤) وسُميت تِهامة لشدة حرها، وركود ريحها. وقد ورد في حديث موضوع يُعرف بحرز أبي دجانة: أن النبي ﷺ أمر عليًا أن يكتب: «من محمد النبي العربي التِهامي..». (انظر: الموضوعات لابن الجوزي: ٣/ ١٦٨-١٦٩).

(2) قال ﷺ: **«تعوذوا بالله من جَهد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»** أخرجه البخاري (٦٦١٦)، ومسلم بنحوه (٢٧٠٧).

والأهلَ والجيرانَ والأقاربْ والصَّحْبَ حاضراً أو غائبْ

أبياتُها سَبْعٌ حِسَابٌ مُتْقنا فلا تَمِل عنهُ هُنَا أو هَاهُنَا(١)

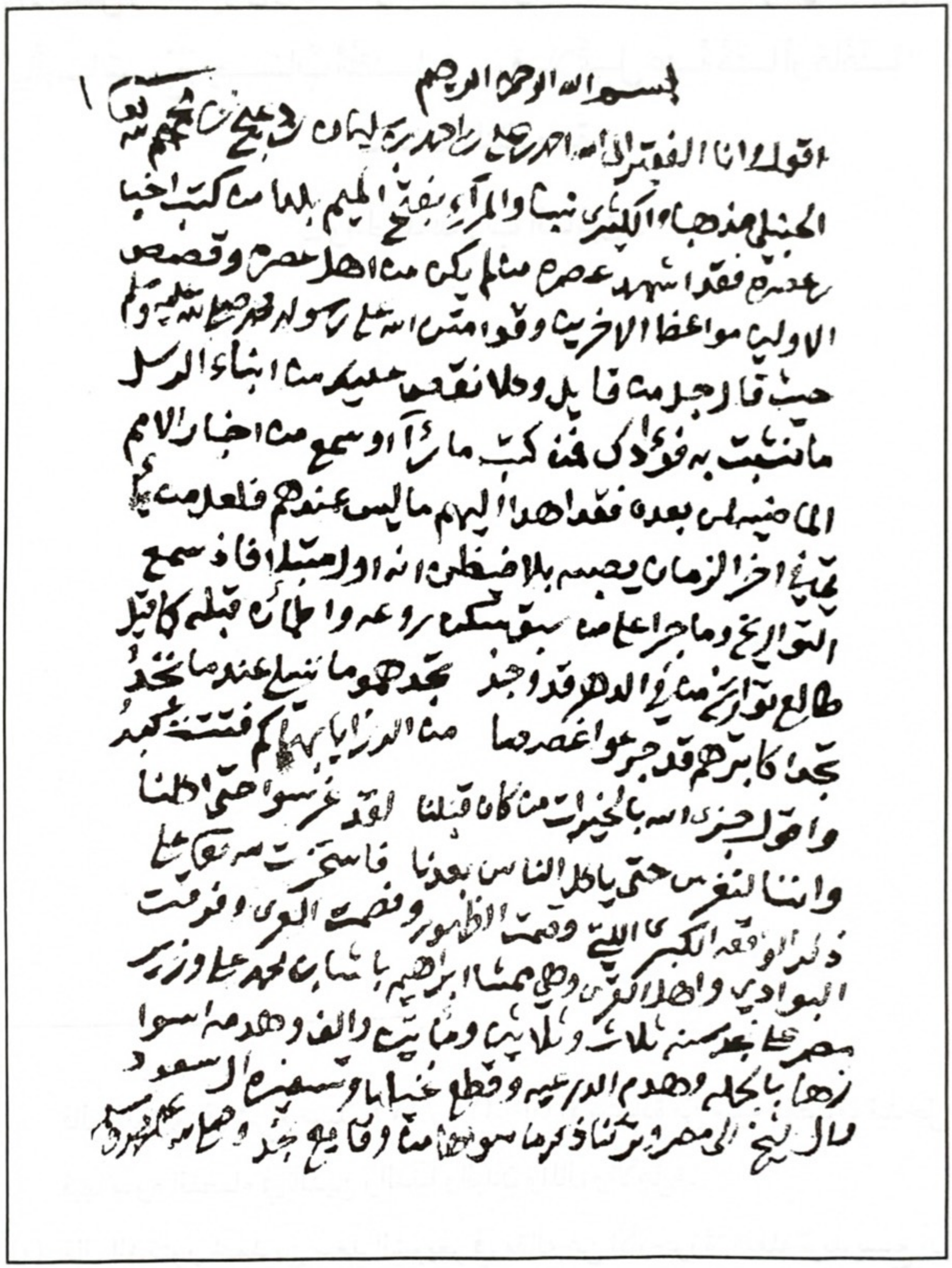
تمت المنظومة

ـ والحمد لله رب العالمين ـ

=

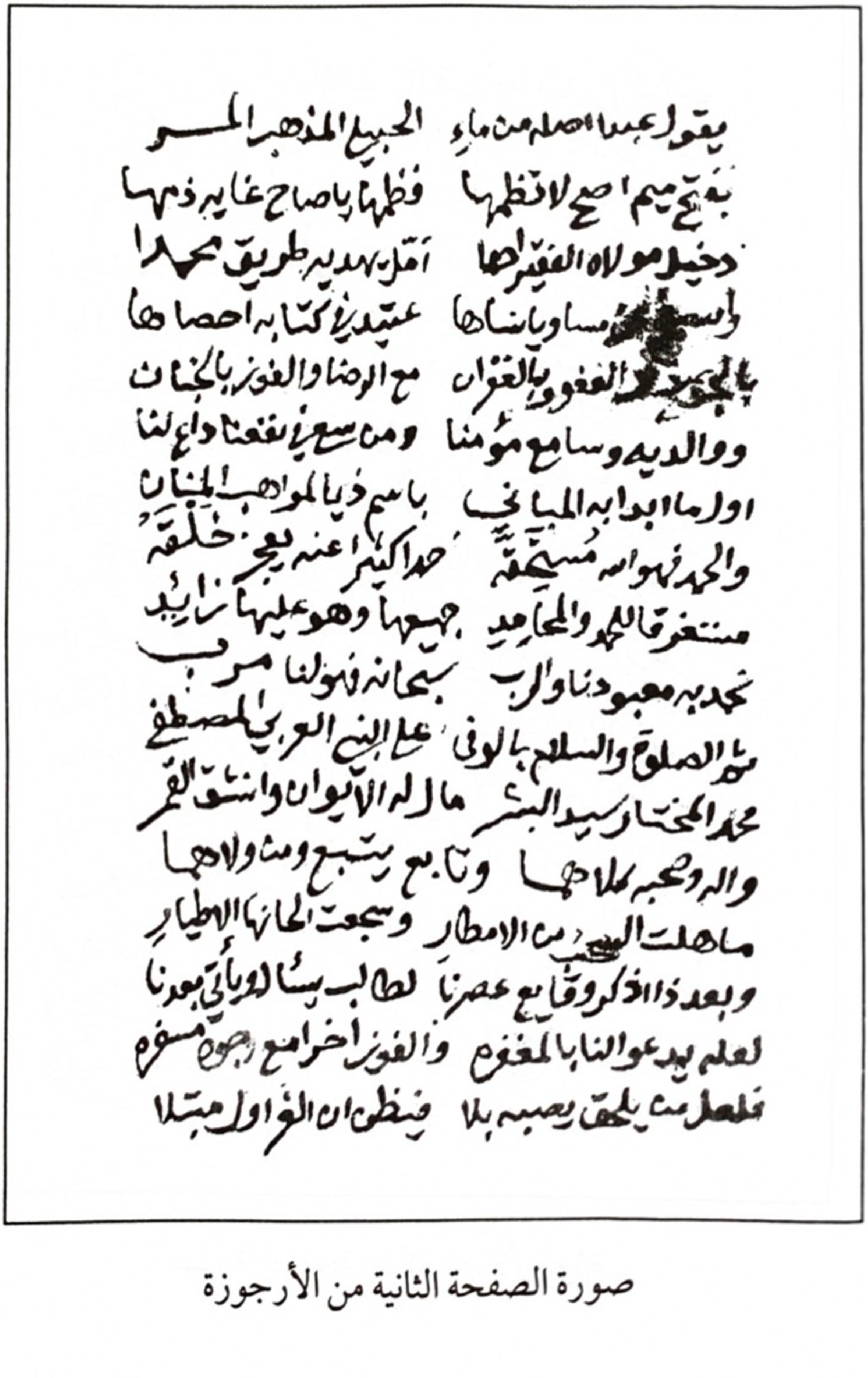
قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ٣١): «أما الاستعاذة من سوء القضاء، فيدخل فيها سوء القضاء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل».

(١) قال الدكتور محمد بن سعد الشويعر في مقاله عن الأرجوزة: «لعله يريد بسبع أن أبياتها سبعمائة بيت؛ ولذا تُعتبر تاريخاً متكاملاً». والله أعلم.



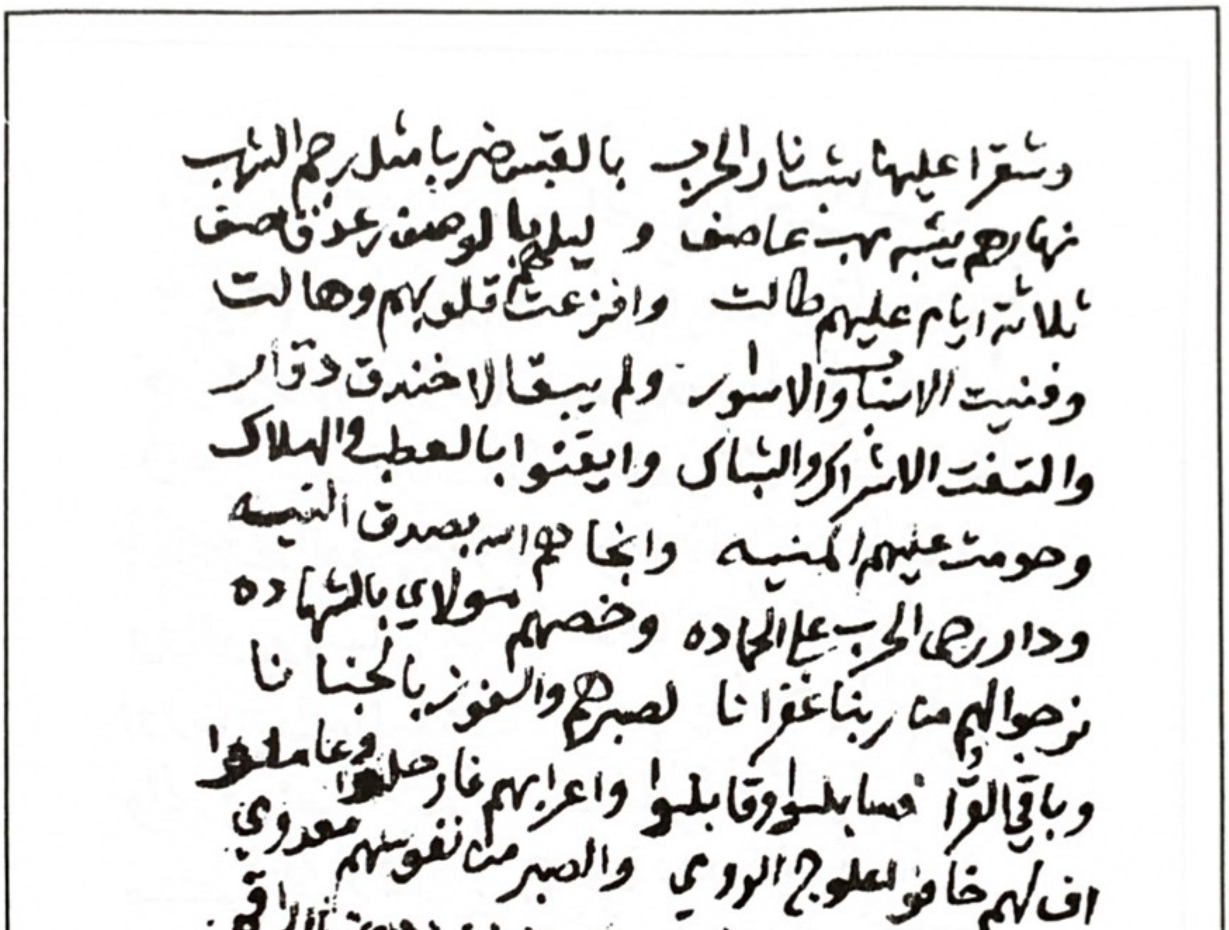
بسم الله الرحمن الرحيم
اقول وانا الفقير الى الله احمد بن علي بن احمد بن سليمان بن دعيج رحمه الله تعالى
الحنبلي مذهبا الكثير ذنبا والمرء بفتح الميم بلدا من كتب اخبا
ر عصره فقد اشهد عصره مالم يكن من اهل عصره وقصص
الاولين مواعظ الاخرين وقد امتن الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
حيث قال جل من قايل وكلا نقص عليك من انباء الرسل
ما نثبت به فؤادك فمن كتب ما راه او سمع من اخبار الامم
الى من يجي بعده فقد اهدى اليهم ما ليس عندهم فلعل من ياتي
في اخر الزمان يحسبه بلا ضبط انه اول مبتلا فاذا سمع
التواريخ وما جرا على من سبق سكن روعه واطمان قلبه كما قيل
طالع تواريخ من في الدهر قد وجد تجد همو ما تنسلي عند ما تجد
تجد اكابرهم قد جرعوا غصصا من الرزايا بها لكم فتت كبد
واقول جزى الله بالخيرات من كان قبلنا لقد غرسوا حتى اكلنا
وانا لنغرس حتى ياكل الناس بعدنا فاستخرت ربي تعالى
ذكر الوقعة الكبرى التي وقعت الظهور وفضحت القرى وفرقت
البوادي واهل القرى وهي مما ابراهيم باشا بن محمد علي وزير
مصر على نجد سنة ثلاث وثلاثين ومايتين والف وهدمه اسوا
رها بالجلى وهدم الدرعية وقطع نخلها وتسفير ال سعود
... الى مصر ... وصلى الله على سيدنا محمد ...

صورة الصفحة الأولى من الأرجوزة



يقول عبد اهله من مار   الحبيل المذهب المسو
بفتح ميم اصح لا انظمها   فظمها يا صاح غاية ذمها
دخيل مولاه الفقير احمدا   امل بهديه طريق محمدا
[illegible] مساويا نساها   عتيد في كتابه احصاها
بالجود العفو والغفران   مع الرضا والفوز بالجنات
ووالديه وسامع مؤمنا   ومن سعى في نفعنا داع لنا
اول ما ابدا به المباني   باسم ذي المواهب الجنان
والحمد لله الله مستحقه   حمدا كثيرا عنه يعجز خلقه
مستغرقا للحمد والمحامد   جميعها وهو عليها زايد
نحمده معبودنا والرب   سبحانه فهو لنا مرب
ثم الصلوة والسلام بالوفى   على النبي العربي المصطفى
محمد المختار سيد البشر   ما لاح الايوان واشرق القمر
واله وصحبه كملاهما   وتابع يتبع ومتولاهما
ماهلت السحب من الامطار   وسجعت الحان الاطيار
وبعد ذا الذكر وقايع عصرنا   لطالب يسالوا ياتي بعدنا
لعله يدعوا لنا بالمغفرة   والفوز اخر امره رجوه مسوم
فلعل من يلحق يصيبه بلا   فيظن ان الاول مبتلا

صورة الصفحة الثانية من الأرجوزة



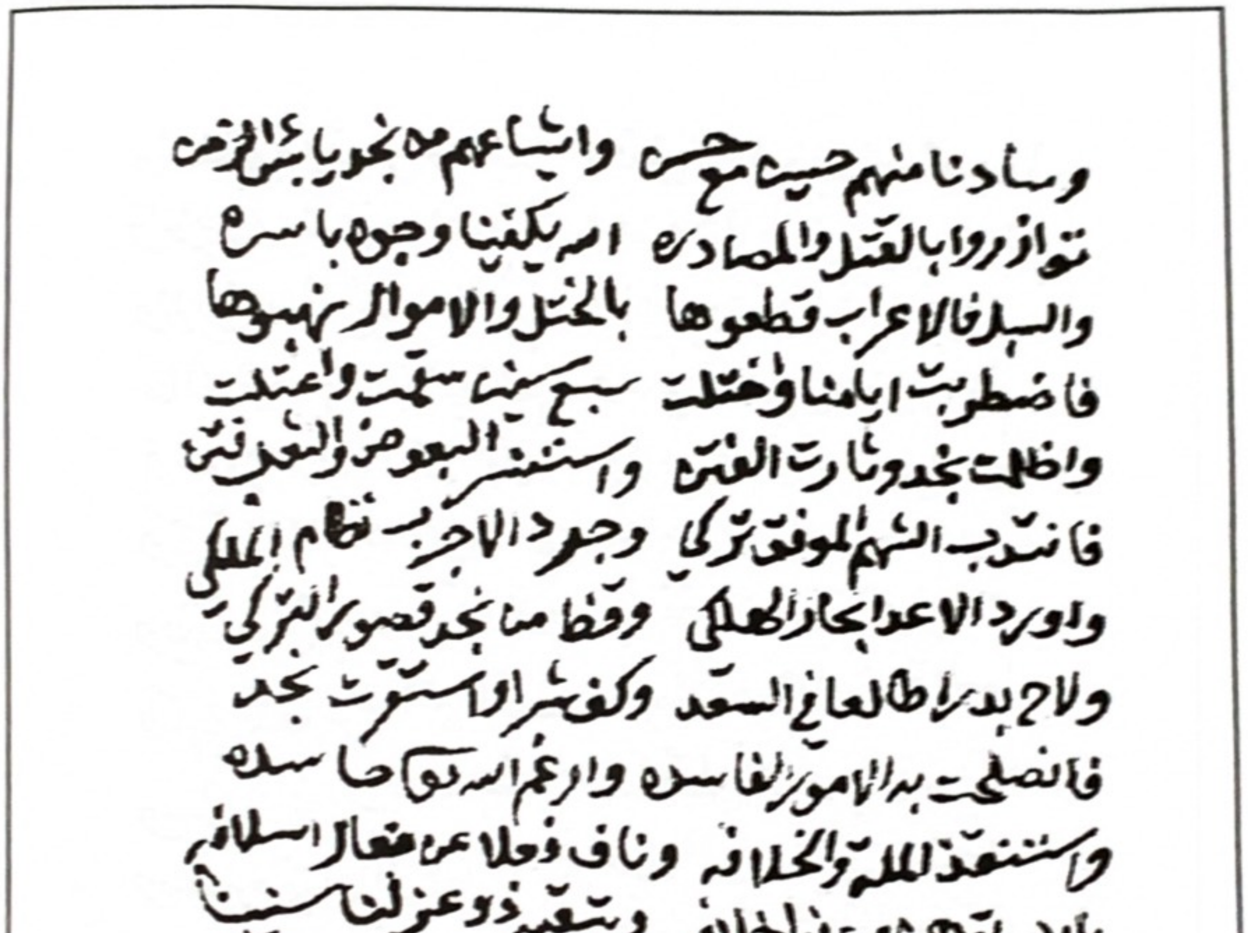
وسقوا عليها شهب نار الحرب ... بالقبس ضربا مثل رجم الشهب
نهارهم يشبه مهب عاصف ... و ليلهم بالوصف رعد قاصف
ثلاثة ايام عليهم طالت ... وافزعت قلوبهم وهالت
وفنيت الانفاس والاسوار ... ولم يبقا الاخندق دوار
والتفت الاتراك والبناك ... وايقنوا بالعطب والهلاك
وحومت عليهم المنيه ... والجاهم اليه بصدق النيه
ودارت الحرب على الجهاده ... وخصهم مولاي بالشهاده
نرجو الهم من ربنا غفرانا ... لصبرهم والفوز بالجنانا
وباقي الترك حسابلوا وقابلوا ... واعراهم عار خلو وعاملوا
اف لهم خافو لعلوج الرومي ... والصبر من نفوسهم معدومي
ونازل العوجا بعزم صادم ... لكن تضعضع ونهار الرغم
حاصرها بالروم سبعة اشهر ... ابو سعود سلطانها والاكبر
البدا بها جده مع اجتهاده ... لكن مولانا له مراده
يضربه العلوج منهم بالوهن ... حاشا مشاهير وفرسان ماجبن
وبعض على الباشا لهم تهافتوا ... واخريا بالملا بتخافتوا
واهل السهل جميعهم فاهلنوا ... وادخلوا العسكر عليهم جاسوا
والضعف من اهل الطريق ثاروا ... وصفقوا اجنحتهم وطاروا
لنصف

صورة الصفحة الثالثة من الأرجوزة

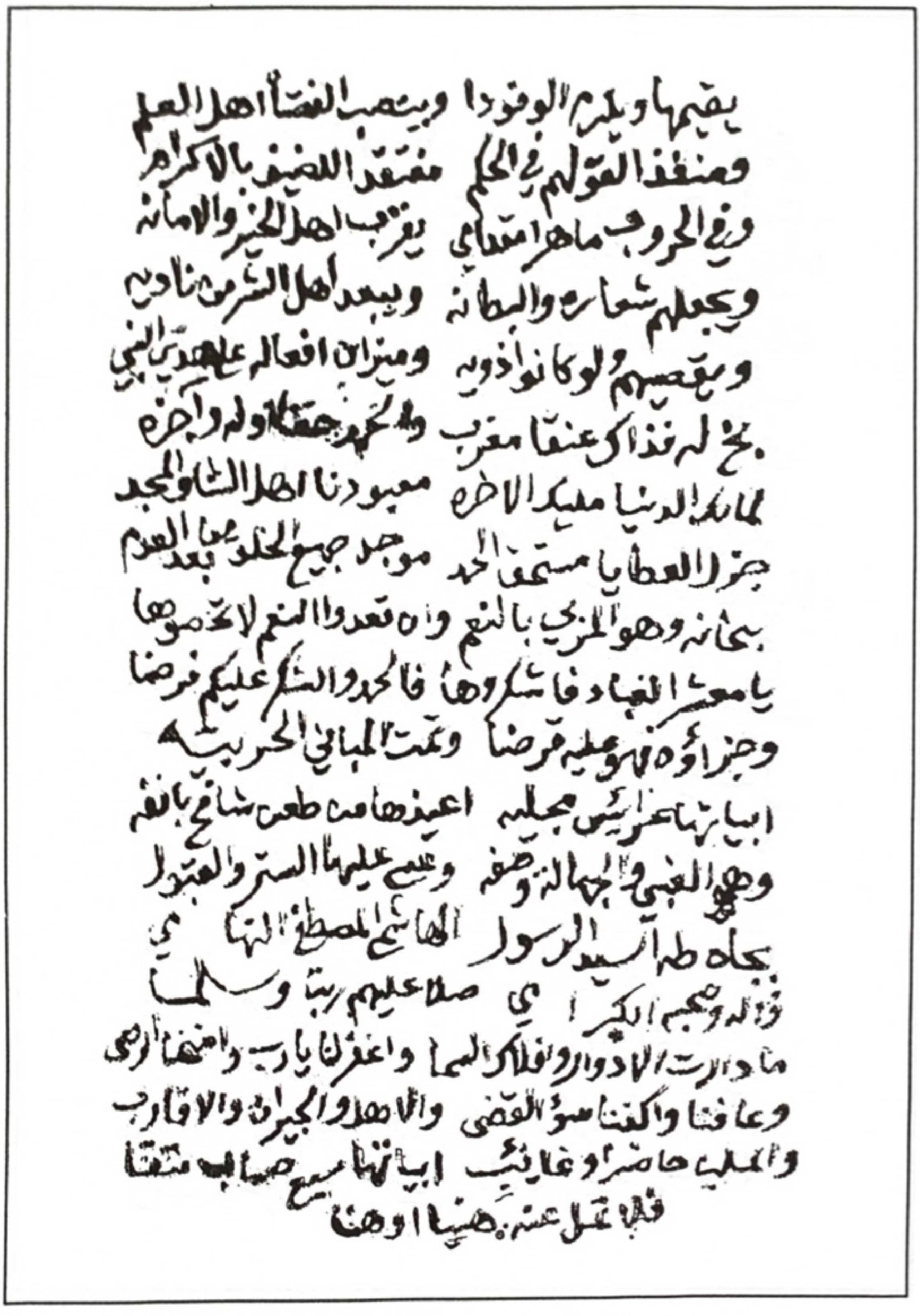


وخلفوه بقصره وحيدا — وقضى الإله فليس عنه محيدا
وأخرجوه من منيع أوطانه — فعز من لا ينقضي سلطانه
ولا يرام ولا يكيده كائد — ولا يبيد وكل شيء بائد
مالك جميع العالمين دائم — وسواه مملوك وأنفه راغم
وملكه جديد ثابت الأركان — ولا يضام ولا له أعوان
وكم قبلنا أباد ربي من أمم — من بعد نوح مثل عاد وإرم
وفيما مضى كم دولة قد دالت — ثم انقضت مدتها وزالت
وكم في المقابر من أشم المعطسا — رماه سهم حادث فتقرطسا
وسكان نجد في حساب الناس — كقطرة في البحر بالقياس
ومصير دنيانا إلى المحاق — ثم البقا للواحد الخلاق
وذا العز بنا عن السعود — وعن كل محبوب لنا مفقود
وبعدهم أهل الظنون الفاسدة — تبقى النقمة عليهم خالدة
فانقلبت أيامهم دواهي — وبدلت دروسهم ملاهي
وبيوتهم ملاعب للبومي — يسمع بها صوت الصدا الموهوم
فيالها من بيضة تفلقت — وحدايق بعد التساق قطعت
وطالما كانت محل أنسه — ورحب ساحات بها ومجالس
وكم بها من ملك غطريف — وشيخ علم جهبذ ظريف
ومن آثار الملك ما رجالها — كل جبهه ثم قالا نالها

صورة الصفحة الرابعة من الأرجوزة

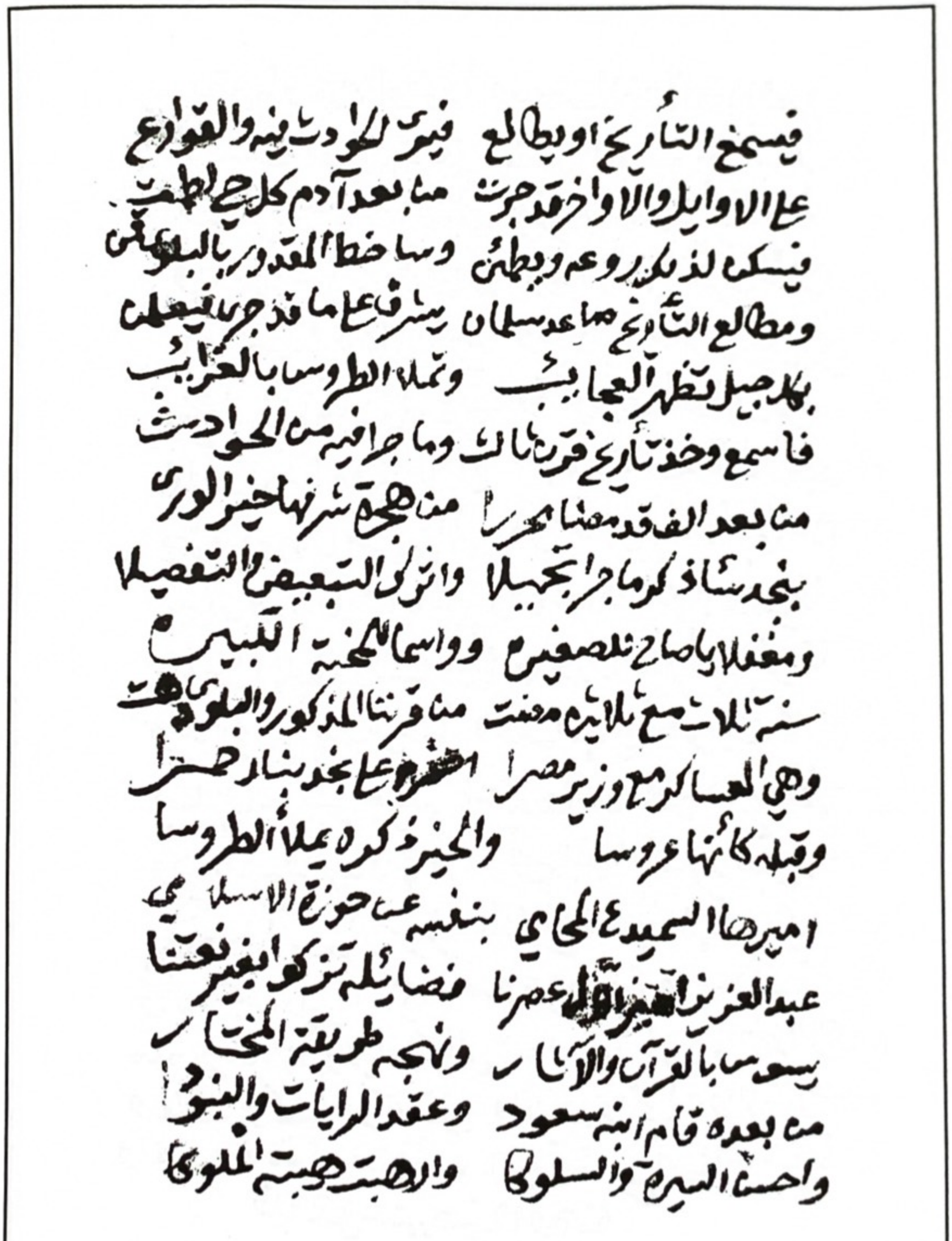


صورة الصفحة الخامسة من الأرجوزة



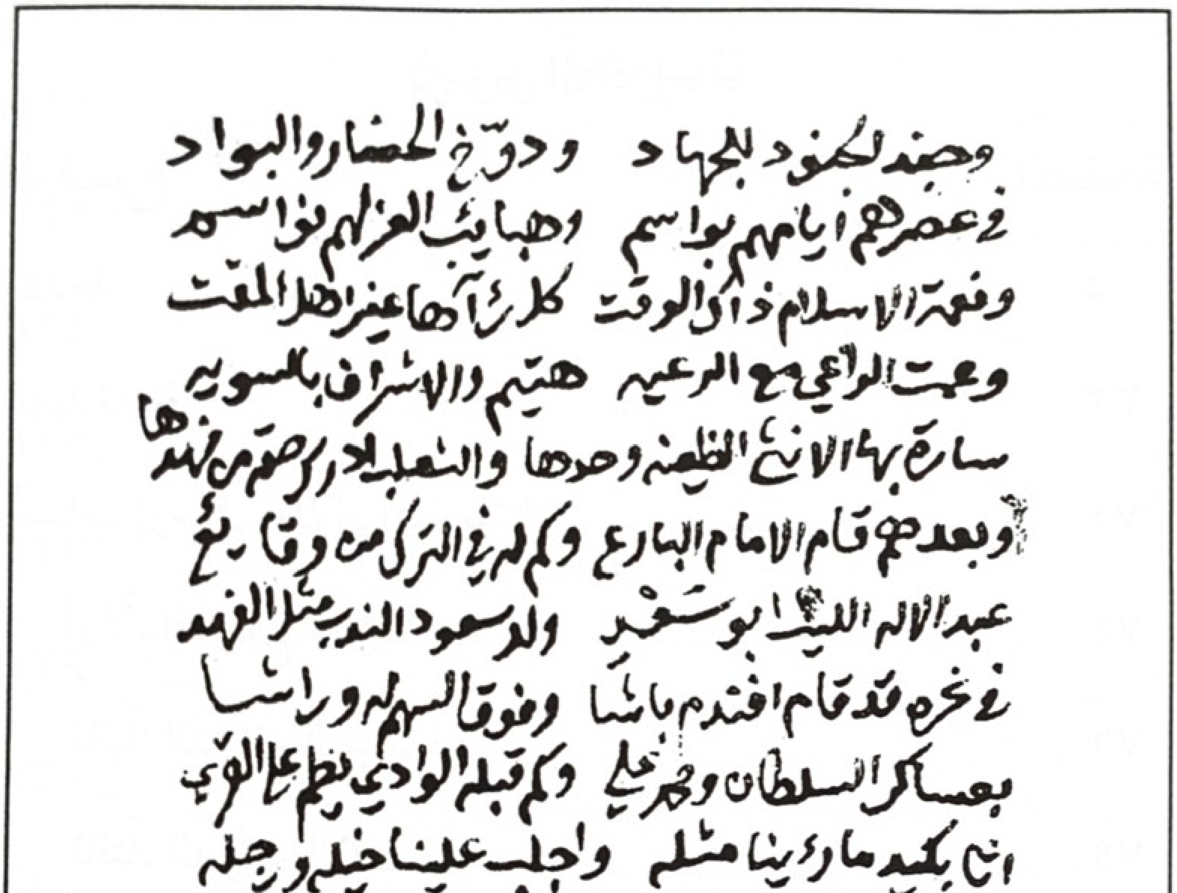
يقيمها ويكرم الوفودا / ويصحب الفضا اهل العلم
وصنفذ القول لهم في الحكم / متفقد للضيف بالاكرام
وفي الحروب ماهر مقدامي / يقرب اهل الخير والامانه
ويجعلهم شعاره والبطانه / ويبعد اهل الشر من ناديه
ويقصيهم ولو كانوا ذويه / وميزان افعاله على هدي النبي
بخ له فذاك عنقا مغرب / والحمد حقا اولا واخر
لمالك الدنيا مليك الاخره / معبودنا اهل الثنا والمجد
جزل العطايا مستحق الحمد / موجد جميع الخلق بعد العدم
سبحانه وهو المزجي بالنعم / وان تعدوا النعم لا تحصوها
يا معشر العباد فاشكروها / فالحمد والشكر عليكم فرضا
وجزاؤه فهو عليه قرضا / وتمت المباني الحربيه
ابياتها عشرين مجليه / اعيذها من طعن شانئ بالفم
وهو الغبي في الجهالة وصفه / وغمي عليها الستر والعتول
بجاه طه السيد الرسول / الهاشمي المصطفى التهامي
ثم على اله وصحبه الكرامي / صلى عليهم ربنا وسلما
ما دارت الادوار وافلاك السما / واغفر لنا يا رب وامنحنا الرضى
وعافنا واكفنا سوء القضى / والاهل والجيران والاقارب
والمسلمين حاضرا وغائب / ابياتها سبع صواب متقنا
فلا تقل عنه هجينا او وهنا

صورة الصفحة السادسة من الأرجوزة



فيسمع التاريخ او يطالع ... فيري الحوادث فيه والفوادع
على الاوايل والاواخر قد جرت ... من بعد آدم كل حي طالت
فيسكن الذكر روعه ويطمئن ... وسا خط المقدور بالبلو
ومطالع التاريخ من عهد سليمان ... يشرف على ما قد جرى فيعلم
بكل جيل تظهر العجايب ... وتملأ الطروس بالغرايب
فاسمع وخذ تاريخ قرن ثالث ... وما جرى فيه من الحوادث
من بعد الف قد مضى محررا ... من هجرة شرفها خير الورى
بنجد شاذكر ما جرى تجميلا ... واترك التبعيض والتفصيلا
ومغفلا يا صاح للصغيرة ... وواسما المحنة الكبيرة
سنة ثلاث مع ثلاثين مضت ... من قرننا المذكور والبلوى هت
وهي العساكر مع وزير مصرا ... اتوا على نجد بنار حمرا
وقبله كانتها عروسا ... والخير ذكره يملأ الطروسا
اميرها السميدع المحامي ... بنفسه عن حوزة الاسلام
عبد العزيز [illegible] عصرنا ... فضايله تزكو بغير نعتنا
يسعى بالقرآن والآثار ... ونهجه طريقة المختار
من بعده قام ابنه سعود ... وعقد الرايات والبنود
واحسن السيرة والسلوكا ... واذهبت هيبته الملوكا

صورة الصفحة السابعة من الأرجوزة



وجند الجنود للجهاد ودوّخ الحضار والبواد
في عصرهم ايامهم بواسم وهبات العز لهم نواسم
وفتحة الاسلام ذاك الوقت كلا رآها غيظ اهل المقت
وعمت الراعي مع الرعيه هيبتهم والاشراف بالسويه
سارت بها الانباء الظعنه وحدها والثعلب الاركص من بعدها
وبعدهم قام الامام البارع وكم له في الترك من وقائع
عبد الاله الليث ابو سعيد والاسعود الندب مثل الفهد
في نحره قد قام افندم باشا وفوق السهم له وراشا
بعساكر السلطان ومحمد علي وكم قبله الوادي نظم على القوي
اتى بكيد ما رأينا مثله واجلب علينا خيله ورجله
ونصبت ... فوق الرس ثلث السنه يفزبهم بالقبس
وصبروا وصبرهم قد بانا اصبر في الهيجا من ابانا
رجال صدق في اللقا والباس اعيانهم وشيخهم قرناس
ساوموهم تمدينا بطرقني فنعم باهل الرس وطوق الرس
وعلى عنزه مع بريد هكلا فراعهم منه سواد الاطلا
وقالت اربابهم وضاق المرجا والذل في قلوبهم توجا
وابتهجوا بالصلح والامان وهم رجال الحرب والطعان

صورة الصفحة الثامنة والأخيرة من الأرجوزة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

* * *